الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
و العلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

MAG-200-04
ATT 87.1
معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد 919
تاريخ الوصول
رقم الترتيب 4

طبيعة الإنسان في القرآن

" دراسة تحليلية لطبيعة الإنسان التكوينية "

رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا

إعداد الطالب :
بلبشير محمد

إشراف :
الأستاذ الدكتور : شايف عكاشة

السنة الجامعية :
1421 هـ /1422 هـ
2000 م / 2001 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين (٧) ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين (٨) ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم
السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٩)

التجليد ١٩-٨-٧١

شكر و تقدير

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

لا يسعني و قد أنهيت هذا البحث -بعون الله و توفيقه- إلا أن أتقدم بوافر التقدير وجزيل الشكر للأستاذ الدكتور شايف عكاشة الذي تكرم بالإشراف عليه، ومتابعته منذ أن كان فكرة إلى أن تجسد نسخة مطبوعة، حيث كان -حفظه الله- موجها، و مصححا و مرشدا.

كما أعترف أنني وجدت فيه علم العالم الكبير، و توجيه الأستاذ القدير وإرشاد الباحث الخبير. فجزاه الله تعالى عني و عن العلم خير جزاء.

بيد أن هذا لا ينسيني أن أسجل فضلا و شكرا للأستاذ الأب الصديق: بلبشير ميلود، ولأساتذة و اخوة و أخلاء أوفياء أعانوني على ما بذلته من جهد بالتوجيه والمراجع و الطبع.

فجزاهم الله عني خير جزاء و بارك فيهم.

الإهداء

إلى والدي عرفانا وبرا

إلى كل من علمني حرفا تقديرا وإخلاصا

إلى كل الاخوة والأخوات، وكل أفراد العائلة صلة وإحسانا

إلى الروحين الطاهرتين:

روح جدي بلقاسم وروح جدي علي

وإلى جدتي مامة والزهراء

ترحما ووفاء

إلى كل الأحبة والأخلاء محبة وصداقة

إلى كل من نظر وتدبر في آيات الله إيمانا وتصديقا

أهدي هذا العمل المتواضع

بلبشير محمد

المقدمة

إذا تمعنّا في كلمة أنثروبولوجيا من ناحية المعنى الاشتقاقي ،نجد أنّها كلمة إغريقيـــة مكوّنة من مقطعين ، الأوّل (ANTHROPE) و يعني الإنسان ،و الثاني (LOGY) ويعني علم، و بذلك تكون الكلمة تعني " علم الإنسان " [1] .

و تدرس الأنثروبولوجيا الإنسان سواء أكان في الأزمان السحيقة أم المعاصـــرة ، و ذلك من خلال دراسة طرق حياة الإنسان القديم ، و هكذا تفعل مع الإنسان المعـاصر . و من هنا كان الموضوع الذي تهتم به الأنثروبولوجيا يتّصف بالاتّساع و التّشعب، و ذلـك بسبب اشتماله على فروع و تخصصات متعددّة يركز كلّ منها على أحد الأشكال المختلفـة للخبرات البشرية [2].

و انطلاقا من هذا نجد أنّ الدّراسات في هذا الحقل تتباين، فالبعض يـــهتم بدراســة الإنسان من حيث السلالة (العنصر) ،وهذا ما يدرسه علماء الأنثروبولوجيـــا الطبيعيـــة ، والبعض الآخر يهتم بدراسة النظم الاجتماعية السائدة في المجتمعات البسيطة التّي اصطلح على تسميتها بالمجتمعات البدائية ، وهذا ما يقوم به علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعيـــة... ولكن لم يلبث هذا المفهوم أن تغـيّر وأخـذ الأنـــثروبولوجيون الاجتمـــاعيون يوســعون اهتماماتهم ، ويدرسون المجتمعات المعاصرة و المجتمعات التّاريخية[3].

و نحن في هذا البحث المتواضع لم نقحم أنفســـنا فـــي الأنثروبولوجيـــة الطبيعيـــة والأنثروبولوجيـــا الاجتماعيـــة ، أو غيرهمـــا ... و إنمّـــا حاولنـــا أن ندرجـــه ضمـــن "الأنثروبولوجيا الدّينيّة " الّتي تعنى بدراسة الإنسان ككل لا يتجزأ علـــى خـــلاف العلـــوم

---

(1) الجوهري محمد : الأنثروبولوجيا – أسس نظرية و تطبيقات عملية – دار التضامن للطباعة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1400هـ / 1980م، ص: 10 .

(2) لمعرفة أقسام الأنثروبولوجيا يراجع : عامري محمد حسن : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، د.ط ، 1991م، ص: 16 و ما بعدها .

(3) سالم عبد العزيز محمود : محاضرات في الأنثروبولوجيا ، مطبوعات الملك عبد العزيز ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د. ط .د. ت ص: 14 .

الأخرى التّي تدرس الإنسان من زاوية معيّنة ، و لذلك كانت جميع الأجوبة التّي قدمتها لا تعّبر إلاّ عن جزء من الحقيقة التّي ينطوي عليها الإنسان[1].

و الواقع أنّ مشكلة الإنسان من أعقد المشكلات ، و من ثمّ لا يمكن القول إنّ الأنثروبولوجيا الدينيّة قادرة على حل لغز الإنسان، حلاّ نهائيّا، و لكن يمكنها أن تدفعنا إلى مرحلة عليا لمعرفة الإنسان و طبيعته، معرفة واسعة و ذلك على خلاف العلوم الجزئية التّي تدرس جانبا واحدا من الإنسان كالعلوم الاجتماعية ، و الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الطبيعية و غيرها . إذ نجد أنّ كلّ فرع من هذه الفروع يدرس الإنسان حسب اتجاهه و لهذا لم نعد نمتلك فكرة واضحة عن الإنسان .

و لعلّ هذا ما عبّر عنه " الكس كاريل " في معرض حديثه عن دراسة الإنسان بقوله: " لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبّارا لكي يعرف نفسه و لكن على الرغم من أنّنا نمتلك كثيرا من الملاحظة التي كدّسها العلماء و الفلاسفة و الشعراء ، و كبار العلماء الرّوحانيين في جميع الأزمان فإنّنا استطعنا أن نفهم جوانب معيّنة فقط من أنفسنا ... إنّنا لا نفهم الإنسان تماما ... إنّنا نعرفه على أنّه مكوّن من أجزاء مختلفة و حتّى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا ... فكلّ واحد منّا مكوّن من مركّب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة ، و واقع الأمر أنّ جهلنا مطبق ، فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذّين يدرسون الجنس البشري ، تظل بلا جواب ... فمن الواضح أنّ جميع ما حقّقه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان غير كاف ، و أنّ معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائيّة في أغلب الأحيان ..." [2].

و يمكننا القول إنّ هناك صعوبة أخرى تعوق دراسة الإنسان هي أنّ العلوم المختلفة التي أشرنا إليها لم تتمكّن من دراسة المشكلة إلاّ بصورة جزئيّة ، لأنّها تفترض المعرفة سلفا بطبيعة الإنسان؛ و هذا ما فعلته الأنثروبولوجيا الطبيعية و الأثنولوجيا (علم الأجناس البشرية) ، أما الأنثروبولوجيا الدينيّة فإنّها تمتاز عنهما بأنّها تبحث في

---

[1] أكبر أحمد : نحو علم الإنسان الإسلامي ، تعريف و نظريات واتجاهات ، ترجمة : عبد الغني خلف الله ، دار البشير، عمان 1990 ، ص: 15 و ما بعدها .

[2] الكيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، تعريب: شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 1980م ، ص: 18و19.

المعرفة التّي تعدّها العلوم الأخرى قضية مسلّم بها ، و لأنّها أيضا تدرس الإنسان كشيء مغاير لكلّ الموجودات الأخرى [1].

ومن هنا تبدو أهمية الأنثروبولوجيا الدينيّة واضحة ، و في ذلك يقول أحد المفكرين:" إذا كان هناك عمل علمي يمكنه إنقاذ عصرنا من هاوية اليأس فهو الأنثروبولوجيا الدينيّة ، ...العلم القائم على دراسة الإنسان و طبيعته" [2]. و من الواضح أنّ هذا المفكر رأى أنّ المشكلات الأساسية لمختلف العلوم تعود جذورها إلى قضيّة ما الإنسان ؟ و يتفاءل في إيجاد حلّ هذه القضية في الأنثروبولوجيا الدينيّة .

و يبدو أنّ مشكلة الإنسان ليست مشكلة منهج ، و إنّما هي تكمن في تعقيد الإنسان نفسه . فمعرفة الإنسان لذاته شيء أشبه بالمستحيل ، و أنّ الإنسان مشكلة ، لأنّه الموجود الذّي لا يوصف له سوى أنّه لا يوصف . إنّه الموجود الذّي يفلت من كلّ تحديد، و يخرج عن كلّ قاعدة و يند عن كلّ تعريف ، إنّه الموجود الذي لا يفتأ يعيد النظر في كلّ شيء ، ولا يكاد ينتهي حتّى يبدأ من جديد ...[3]، و الإنسان مشكلة ، لأنّه يحيا على التناقض في نفسه ، فإنّ وجوده في صميمه لا يمثل سوى توتر بين الزّمان و الأبديّة ، بين الحرّية والضرورة ، بين التناهي و اللانهاية ، بين التعدّد و الوحدة ، بين الجسم و الرّوح [4].

و انطلاقا من هذا ، اختلفت نظرات العلماء و الفلاسفة إلى حقيقة الإنسان وطبيعته ، و تعدّدت بتعدّد العصور ، فقال أرسطو قديما : " إنّ الإنسان حيوان ناطق " ، و قال الماديّون :" إنّ الإنسان جزء من الطبيعة ،يخضع لما تخضع له من قوانين وأسس، فهو جزء منها وليس منفصلا عنها وسلوكه مقنن ومحدّد في ضوئها" . و قال آخرون : " إنّ الإنسان كائن تتحقق ذاته في ضوء ما يقوم به من فعل ، و إنّ ماهيته ليست سابقة على وجوده ، بل إنّ وجوده سابق على ماهيته ، و إنّ طبيعة الإنسان طبيعة روحية

---

[1] أكبر أحمد : المرجع السابق ، ص: 26.

[2] نقلا عن ابن عرفة علي : قراءة في كتاب " قيمة الإنسان " ، لعبد المجيد النجار ، مقال بمجلة " إسلامية المعرفة " تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، أمريكا ، العدد : 11 ، 1418هـ /1998م ، ص: 167.

[3] زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر ، 1967 م ، ص: 07.

[4] زكريا إبراهيم : المرجع نفسه ، ص: 76.

منفردة و ليست امتدادا للطبيعة الحيوانيّة بل ليست من نوع هذه الطبيعة الأرضية بوجه عام "[1] .

و لعلّ هذا الاختلاف في وجهات النظر بشأن طبيعة الإنسان ، ناشئ عن عدم فهم طبيعة الإنسان فهما سليما، ممّا آل بمذاهب كثيرة إلى الفشل حينما بنت نظراتها على تصور مغاير لحقيقة الإنسان ، كتلك النظرة التّي حسبته بعدا روحيا ، و ليست المادة فيه إلاّ شيئا عارضا منقوصا عالقا به ، أو تلك التي حسبته بعدا ماديّا ليس وراءه أشواق روحية متجاوزة للمادة ، فكان مآل الأولى قعودا عن عمارة الكون و استثماره بسبب الانشغال بتخليص الرّوح من عالم المادة ، و كان مآل الثانية عَودًا على الإنسان نفسه بالظلم و القهر، كما بدا في حركة الاستعمار منذ قرون ، و كما ينذر اليوم بدمار للإنسانيّة بفعل التجميع المهول للأسلحة المدمّرة .

و إذا كانت هذه المذاهب تمثل بعض إسهامات الفكر الغربي حول مفهوم طبيعة الإنسان ، فإنّ الفكر الإسلامي المستمد من القرآن الكريم و السنّة النبويّة ، استطاع أن يقدّم فهما واعيا لطبيعة الإنسان في جوانبه المختلفة بالصوّر التّي خلق عليها كما أرادها الله تعالى . فلقد جاءت رسالة الإسلام إنسانية عالميّة ، فكرّمت الإنسان و جعلته محورها؛ وزوّد الله تعالى الإنسان بالطاقات و الاستعدادات ليؤدي المهمّة التّي كلّفه بها والتّي يجب أن تقوم علي الاستقامة و التربيّة الصّالحة .

و نحن نرى أنّه إذا أردنا معرفة الإنسان ، فلابدّ من دراسته في القرآن الكريم الذي كرّمه و فضّله على كثير من المخلوقات ، و يبدو ذلك جليّا من آي القرآن و معالجته لطبيعة الإنسان بطريق شمولية : من حيث تكوينه و ماهيته ، و خصائصه ، و غاية وجوده و مصيره ، و كيفية تحقيق الإنسان هذه الغاية ، يقول الله تعالى:﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾(الأنعام : 38) .

---

[1] يراجع هذه الآراء عند :

فليب فينكس : فلسفة التربية ، ترجمة: محمد لبيب النجيمي ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج2 ، ص : 199 و 704 و ما بعدهما .

و انطلاقا ممّا سبق اخترت هذه الدراسة ،محاولا التعرّف على طبيعة الإنسان من خلال الركائز الفطرية في الطبيعة البشريّة ؛ و قد كان هدفي في هذا البحث المتواضع محاولة الوصول إلى نموذج طبيعة الإنسان التّي قال الله سبحانه و تعالى فيها :

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72) ﴾(ص : 72ـ71) .

و قال أيضا: **﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ(7)ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(8)ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ(9) ﴾**(السجدة : 7-8-9).

و غير خاق أنّ الفهم الصحيح لطبيعة الإنسان هو منطلق العمليّة التربوية ؛ حيث إنّ الإنسان هو المادة الخام في تلك العمليّة ، و أنّ التربيّة تعمل على تنمية الإمكانات الفطرية لدى الإنسان و توجيهها إلى كلّ فضيلة و تجنّب كل رذيلة . و من ثمّ فإنّ الخطأ في تربية الإنسان يرجع إلى عدم وضوح التصور السليم لطبيعته.هذا من جهة ، و من جهة أخرى فإنّ طبيعة الإنسان لا يمكن أن تتحدّد دون تحديد العناصر التّي تتكوّن منها ، إذ بدونها لا يمكن أن تتضح أبعاد الطبيعة الإنسانيّة و خصائصها .

إنّ الإنسان ــ وفق القرآن الكريم ــ قد حباه الله تعالى تكريما بالإمكانات و القدرات التي تمكنه أداء رسالته و تحقيق غاية وجوده . و كذا طبيعته ، فإنّها تستمد من آياته الكريمة ، حيث نجد أنّ أبعاد هذه الطبيعة مترابطة و متكاملة و منسجمة .

و من ثمّ ، فإنّ إشكالية هذه الدراسة تتلخص في محاولة استخلاص طبيعة الإنسان في القرآن الكريم ، من حيث طبيعته التكوينيّة ، و محاولة تحديد أبعاد عناصرها (الجسم ، الرّوح و العقل) .

و كذا محاولة الإجابة عن السؤال التالي :

ما الأسس التّي يبني عليها القرآن الكريم طبيعة الإنسان ، و التّي في ضوئها تتحدّد أبعاد عناصر تكوين طبيعته ؟ .

و عن هذا السؤال تتفرع التساؤلات التالية :

1 ــ ما محددات المنظور القرآني إلى طبيعة الإنسان " التكوينيّة " ؟.

2 ــ ما العناصر التي تتكون منها طبيعة الإنسان ؟.

3 ــ ما الأبعاد التي تستند إليها هذه العناصر ؟.

4 ــ ما الترابط والتكامل في عناصرطبيعة الإنسان التكوينية(الجسم،الرّوح والعقل)؟

و تهدف الدراسة إلى محاولة التعرّف علىالتصـــور القرآنـــي لطبيعـــة الإنســـان التكوينيّة، كما يمكن استخلاصها من القرآن الكريم ، و التّعرّف على العناصر التكوينيّـــة التّي أودعها الله سبحانه و تعالى في مكنون الفطرة الإنسانيّة ، والتّي تتحدّد فـــي ضوئـــها الأبعاد المرتبطة بها ، ثمّ يحاول الباحث الكش عما في هذه الأبعاد من تكامل و ترابط .

أما أهميّة هذه الدراسة فتتّضح في ضوء ما تتوصل إليه من نتائج ، و في محاولـــة الإجابة عن تساؤلات الدراسة في بعدين متكاملين :

الأوّل : يتعلق بمحاولة التّعرّف على طبيعة الإنسان من حيث التكوين فـــي القـــرآن الكريم و عناصرها (الجسم ، الرّوح و العقل) ، و أبعاد هذه العناصر .

الثاني : محاولة الابتعاد– قدر المستطاع – عن المواضيع المختلفـــة المعتـــادة فـــي دراسة الإنسان ، مثل: (العادات و التقاليد...) [1] . على أنّ الباحث لا ينكر ــ هنـــا ــ أنّ هذه الدراسات ساهمت مساهمة إيجابية في إرساء لبنات كثيرة في جدار دراسة الإنســـان ، و لكنه أراد ــ بدوره ــ أن يساهم في تدعيم تلك الدراسات بلبنته المتواضعة ، التّـــي لـــم يرم من ورائها سوى طرح البديل لمعرفة و دراسة الإنسان، مع إعادة قيم الإنســـان إلـــى طبيعتها الأصلية في الارتباط بين المعرفة و القيم القرآنيّة ، ثمّ بيان أنّ القرآن الكريم المصدر الأساس لمعرفة الإنسان .[2] .

---

[1] ناقش المؤتمر الثاني عشر للاتحاد الدولي لعلوم الأنثروبولوجيا و الأثنولوجيا الذي عقد في زغرب– يوغسلافيا– عام 1988، النظرة المستقبلية لعلم الأنثروبولوجيا . و أعلن عن نقطة تحول في هذا العلم ، و أنّه بحاجة إلى تحرير نفسه من بعض الدراسات المعتادة حول الإنسان ... للتوسع ينظر :

– إيكينا نزيميبيرو : النظرة المستقبلية لعلم الأنثروبولوجيا لعام 2000 ، مقال بالمجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، اليونسكو ، باريس ، فرنسا، العدد : 116، ماي 1988 م ، ص : 31 و ما بعدها .

[2] يسعى بعض المفكرين إلى أسلمة المعرفة ،و وضع أسس لهذا المشروع بدراسة العلوم الإنسانية و الاجتماعية و ...، في المنظور الإسلامي فلسفة و أصولا و منهجا ، و تبنى هذا المشروع " المعهد العالمي للفكر الإسلامي " الولايات المتحدة الأمريكية . للتوسع ينظر :

- الوجيز في إسلامية المعرفة ، مجموعة من الأساتذة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، أمريكا ، 1987، ص : 16 و ما بعدها .
- كما أن هناك كتاب قيد الطبع لـــ : محمد عبده محجوب بعنوان : " علم الانسان في القرآن " جامعة الاسكندرية .

أما المنهج الذي اتّبعته في هذا البحث المتواضع فيمكن إرجاعه إلى منهج قائم على الاستقراء و الوصف و التحليل و الاستنباط ، و ذلك لأنّي ارتأيت أنّه مناسب لرصد معالم التّصوّر القرآني لطبيعة الإنسان (من حيث التكوين) . و قد تمّ ذلك استنادا على دراسة الآيات القرآنية ، لتحديد عناصر طبيعة الإنسان و أبعادها كما جاء بها القرآن الكريم .

و قد قسمت هذا العمل إلى أربعة فصول و خاتمة .

في الفصل الأوّل تناول البحث " ماهية الإنسان " ، وقد عرض الباحث في ضوئه ثلاثة محاور :

- مفهوم الإنسان (لغة و اصطلاحا و في القرآن الكريم).
- مكانة الإنسان في القرآن الكريم .
- الاتجاهات الفلسفية حول طبيعة الإنسان .

أما الفصل الثاني فكان حول " التكوين المادي في طبيعة الإنسان ". و قد أمكن تحديد معالم هذا التكوين في عنصرين :

- خلق الإنسان .
- البعد الجسمي في الطبيعة الماديّة لدى الإنسان.

و قد حدّد الباحث هذين العنصرين في ضوء طبيعة الإنسان المرتبطة بالأصل المادي في تكوين الإنسان .

و في الفصل الثالث تناول هذا البحث" التكوين الرّوحي في طبيعة الإنسان " ، و قد أمكن تحديد معالم هذا التكوين في عنصرين :

- مفهوم الرّوح (لغة ، اصطلاحا و في القرآن الكريم).
- البعد الرّوحي في طبيعة الإنسان (التديّن و العبادة و الأخلاق).

وقد تطرّق الباحث لهذين العنصرين في ضوء طبيعة الإنسان المرتبطة بالأصل الرّوحي في تكوين الإنسان ، و التّي يفضل وجودها في طبيعته استحق التّكريم والمكانة الوجودية في الكون، و قد تجلّى ذلك في التديّن و العبادة و الأخلاق ...

أما الفصل الرابع فقد تعرّض هذا البحث المتواضع إلى التكوين العقلي في طبيعة الإنسان " مشتملا على :

- مفهوم العقل و القلب (لغة واصطلاحا و في القرآن الكريم)
- البعد العقلي في طبيعة الإنسان (المعرفة و التفكير...) .

و قد درس الباحث ذلك اعتمادا على طبيعة الإنسان الذي كرّمه الله تعالى بالعقل و الذي بفضل وجوده في طبيعته أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم .

و في الخاتمة توصل الباحث إلى نتيجة عامّة و ذلك من خلال محاولته ربط فيها عناصر تكوين طبيعة الإنسان ، التي توصّل إليها بالتكامل و الاعتدال والتوازن.

أما المصادر و المراجع التي اعتمد عليها في إنجاز هذا البحث فهي متنوعة، ويمكن تصنيفها في ما يلي :

- القرآن الكريم .
- علوم القرآن .
- الحديث و علومه .
- الدّراسات الأنثروبولوجية و الاجتماعية و النفسية و الفلسفية ... .
- الدّراسات العلميّة و اللغوية .

و صفوة القول : إنّ هذا البحث مجهود متواضع بذلته لمحاولة الكشف عن معالم التصور القرآني لطبيعة الإنسان كما يمكن استخلاصها من آياته الكريمة ، و لست أدّعي أنّني استوفيت بحث هذا الموضوع من كلّ جانب فمثل ذلك عزيز المنال ، فحسب الباحث أنّه بذل ما في وسعه لتحقيق ذلك. فإن أصبت فذلك ما ابتغيت ، و إن أخطأت فهذه بداية في مجال البحث .

الفصل الأول

ماهية الإنسان

أوّلا : مفهوم الإنسان .

أ-مفهوم الإنسان لغة.

ب- مفهوم الإنسان اصطلاحا.

ج-مصطلح الإنسان في القرآن الكريم.

ثانيا : مكانة الإنسان في القرآن الكريم.

أ-غاية وجود الإنسان .

ب-الإنسان وسائر المخلوقات.

ج-الإنسان والكون.

ثالثا : الاتجاهات الفلسفية حول طبيعة الإنسان .

أ – الاتجاه المادي.

ب- الاتجاه الرّوحي.

ج – الاتجاه الواقعي.

أوّلا : مفهوم الإنسان.

أ- مفهوم الإنسان لغة.

يقصد بكلمة "إنسان" في المدلول اللّغوي، البشر و آدم و ذرّيته،و تطلق على الذّكـر و الأنثى من الجنس البشري، في المفرد و الجمع، والذّي يدلّنا على أنّها تطلق علىالواحد قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ (العصر : 02)، ثم قال ﴿ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر:03)، ففي استثناءالجماعة من هذا الاسم المفرد دلالة بيّنة على أنّ المراد العموم و الكثرة [1].

أمّا اشتقاق كلمة "إنسان"، ففيه آراء كثيرة، و قد جمع النويري (ت:1332)، أشهر هذه الآراء في سؤاله التالي : "هل هذا الاشتقاق من الأنس، الذي هو نقيض الوحشة،أوالإيناس الذّي هو بمعنى الإبصار، أو النّسيان، و هو نقيض الذّكر؟ "[2].

و من اللّغوين من يرى أنّ كلمة "إنسان" مشتقة من مادة "نسي" أي من النّسيـان. و همزته زائدة، كما أنّ تصغير الإنسان "أُنَيْسِيَانٌ" فردّوا اليّاء في حالة التصغير، إلاّ أنّهم حذفوها لمّا كثر النّاس في كلامهم ، "لأنّ الاسم لا يكثر استعماله مصغّرا، كثرة استعماله مكبّرا، و التصغير يردّ الأشياء إلى أصولها "[3].

---

[1] ينظر:

ـــ ابن منظور،محمد بن مكرم بن علي : لسان العرب، دارلسان العرب، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت، مادة " أنس "

وـــ بطرس البستاني : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان ، د.ط، 1987 مـــ ، مادة " أنس "

وـــ ابن سيده ،أبو الحسن علي بن إسماعيل : المخصص ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، د.ط، د.ت ، ج1، ص: 15.

[2] النويري شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، د.ت ج 2، ص: 05

[3] للتوسع ينظر:

ـــ الأنبا ري أبو البركات كمال الدين : الأضداد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1407هـــ / 1987مـــ ، ص: 07 .

وـــ ابن منظور ، المرجع السابق ، مادة " أنس " .

وـــ ابن فارس ، أبو الحسين بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق و ضبط : عبد السلام هارون ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 1399 هـــ /1979 مـــ ، مادة " أنس " .

و يبدو أنّ تصغير الإنسان جاء شاذّا على غير قياس لأنّ قياسه "أنَيْسَانٌ" على وزن "فُعَيْلاَنٌ"، ولإثبات ذلك استدلّوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث ابن صيّاد: "**انْطَلَقُوا بِنَاإِلَى أُنَيْسِيَانِ قَدْ رَأَيْنَا شَأْنَهُ** "، و أنيسيان هنا تصغير إنسان كما يذكر صاحب لسان العرب[1].و يقول ابن عبّاس(ض):"**إنّما سمّي الإنسان إنسانا لأنّه عهدإليه فنسي**"[2].

و إلى هذا المعنى يذهب أبو تمّام الطائي في قوله :

لا تَنْسَ هَاتِيكَ العُهُودَ فَإِنَّمَا سُمِّيْتَ إِنْسَانًا لأَنَّكَ نَاس[3]

و على هذا الأساس يذكر أبو هلال العسكري (ت: 400 هـ)، أنّ "الإنسان يقتضي مخالفة البهيمة، فيذكرون أحدهما في مضادة الآخر و يدلّ على ذلك أنّ اشتقاق الإنسان من النّسْيَان و أصله إنْسيَانٌ، فلهذا يصغر فيقال "أُنَيْسيَانٌ". و النسيان لا يكون إلاّ بعد العلم، فسمّي الإنسان إنسانا لأنّه ينسى ما علمه، و سميّت البهيمة لأنّها أبهمت على العلم و الفهم ولا تعلم و لا تفهم فهي خلاف الإنسان"[4].

و هناك من اللغويين من يرى أنّ الإنسان مشتق من مادة "أنس" و الهمزة أصليّة ويبرهنون رأيهم بما يلي :

الإنسان مأخوذ من الأنس، و هو ظهور الشيء، و كلّ شيء خالف طريقة التوحّش وسميّ الإنس إنسانا لظهورهم، كما سميّ الجنّ جنّا لاجتنانهم أي استتارهم،ويقال: "آنست الشيء" إذا رأيته. قال الله تعالى :﴿ ...فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا... ﴾ (النساء :06) وقال أيضا على لسان موسى عليه السلام :﴿ **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ﴾ (القصص : 29).[5]

---

(1) ابن منظور :المرجع السابق ، مادة " أنس " .

(2) ابن منظور: المرجع نفسه ، مادة " أنس ".

(3) أبو تمام ، حبيب بن أوس : ديوان أبو تمام ، مراجعة : محمد عزّت نصر الله، دار الفكر ، القاهرة، مصر ، د. ط ، د. ت ، ص : 113

(4) أبو هلال العسكري : الفروق في اللغة ، تحقيق :لجنة إحياء التراث العربي ،منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،لبنان ط 7، 1411هـ/1991مـ ، ص : 269 .

(5) ابن فارس : المرجع السابق ، مادة " أنس " .

و يقال آنست الشيء إذا سمعته، وهذا مايفهم من قول الحارث بن حلّزة في معلقته:

آنَسَتْ نَبْأَةً وَ أَفْزَعَهَا القـ ـنَاص عَصْرًا وَ قَدْدَنَا الإمْسَاء[1]

كما نجد بعض اللّغويين يأخذون بالرّأيين السابقين و منهم الراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، الذي يقول : "و الإنسان قيل سميّ بذلك لأنّه خُلِقَ خِلْقَةً لا قوام له إلاّ بإنس بعضهم ببعض، و لهذا قيل :"الإنسان مدنيّ بالطبع" من حيث لا قوام لبعضهمّ إلاّببعض، و لايمكنه أن يقوم بجميع أسبابه؛ و قيل سميّ بذلك لأنّه يأنس بكلّ ما يألفه؛ وقيل هو إفعلان و أصله إنسيان سميّ بذلك لأنّه عهد إليه فنسي" [2].

و الحق أنّ هذا الاختلاف في تبيان اشتقاق لفظ الإنسان يرجع إلى اختلاف لفظيّ لايتحقّق به غرض الاصطلاح العلمي ، و سواء أكانت هذه اللفظة مشتقة من "أنس" أم من "نسي"، فهي تحمل في معناها جانبا اجتماعيّا و نفسيّا، فإذا تناولناها من الجانب الاجتماعي الذي يتطلّب الأنس و الألفة و الجماعة، فهي إلى مادة "أنس" التّي تدلّ على خلاف الوحشة أقرب؛ و إذا تناولناها من الجانب النفسي و العقلي ــ باعتبار النسيان حالة نفسيّة عقليّة تجابه الإنسان في حياته نتيجة ما قد يصيب ذاكرته ــ فهي إلى النسيان أقرب.

و الأنس و النسيان صفتان من صفات الإنسان، ولا يمكن لأي كائن بشري أن يخلومنهما.

و ممّا سبق ذكره يمكن القول : إنّ كلّ رأي له حججه و تبريراته ــ في اشتقاق كلمة "إنسان" ــ التّي تجعله يحظى باحترام اللّغويين، و لهذا فمن الصّعب أن نرجّح رأيا على آخر، و من ثمّ يمكن لنا أن نكفّ عن النّظرة الأحاديّة في فهم اشتقاق كلمة "إنسان" لننظر نظرة تركيبيّة، ترجع تسمية إنسان إلى تظافر وجهات نظر شتّى، و إمكانات قيّمة كثيرة ، تدخل جميعها في المفهوم اللّغوي للإنسان.

---

[1] ينظر البيت عند الزّوزني : شرح المعلقات العشر ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1983م، ص : 259

[2] الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط، د.ت ، مادة " أنس " .

ب- مفهوم الإنسان اصطلاحا :

لقد أثارت قضية مصطلح "إنسان" آراء و تصورات و تفسيرات كثيرة بين الفلاسفة و العلماء، و ذلك لأنّهم يتناولون الإنسان من خواصه المميزة كطبائعه ونظمه و ضوابطه السلوكيّة و تفاعلاته من حيث اللّغة و التاريخ و الدّين و العلاقات الاجتماعية ...، و ذلك حسب تنوع نزعات المفكرين و اختلاف الجوانب التّي يهتمون بها في طبيعة الإنسان و شخصيته.

و من هذه الآراء و التّفسيرات لمصطلح "الإنسان " نذكر ما يلي[1] :

لقد اعتبر فلاسفة اليونان كأرسطو (ت: 384 ق م)، و كثير من الفلاسفة المسلمين كالفارابي (ت :319هـ)، و ابن سينا (ت: 428هـ) و غيرهم... من أنّ الإنسان "حيوان ناطق"[2] أو "كائن حي ناطق"[3]، قال ابن سينا :" ليس الإنسان إنسانا بأنّه حيوان أو مائت، [من يقارب أن يموت]، أو أي شيء آخر، بل بأنّه مع حيوانيّته ناطق"[4].

و جاء على لسان ابن مسكويه (ت :1030هـ) في تعريفه لكلمة "إنسان" " أنّ هذه اللّفظة موضوعة على الشّيء المركب من نفس ناطقة و جسم طبيعي لأنّ كلّ مركب من بسيطين أو أكثر يحتّاج إلى اسم مفرد يعبّر عن معنى التركيب و يدلّ عليه كما فعل ذلك بالصورة التّي تجمع مادة الفضة فسميّ خاتما، و كما تجمع صورة السريرمع مادة الخشب فيصير اسمه سريرا [5]"

---

[1] للتوسع ينظر :

- الشيباني عمر التومي : مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1990م،ص:.233 وما بعدها .

و- الأعسم عبد الأمير : المصطلح الفلسفي عند العرب ، منشورات مكتبة الفكر العربي ، بغداد ، العراق ، 1985 ، ص : 166 و ما بعدها ، و ص : 233 و ما بعدها .

[2] الجرجاني علي بن محمد : كتاب التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،1982،ص:39.

[3] الأعسم عبد الأمير : المرجع السابق ، ص: 167 .

[4] ابن سينا : النجاة ، طبعة محي الدين صبري الكردي ، القاهرة ، مصر ، 1938 مـ ،ص: 11.

[5] ابن مسكويه : الفوز الأصغر ، مطبعة الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان ، 1966 ،ج1 ، ص : 30.

فمفهوم الإنسان عند هؤلاء الفلاسفة و من نحا دربهم يمتاز بالعقل و التفكيرو الحياة، ففي لفظة "حيّ " ــ في التعريف السابق ــ دلالة على الحس و الحركة، و فـــي "النطـــق" دلالة على العقل و الرّوية، و المائت دلالة على السيلان و الاستحالة[1].

و هناك من عرّف الإنسان بأنّه "حيوان متديّن"[2]، و ذلك لأنّ التديّن عنصر أساسي في تكوين الإنسان، و الحسّ الدّيني إنّما يكمن في أعماق كلّ قلب بشري، بل هو يدخـــل في صميم ماهية الإنسان[3].

و إذا سلّمنا بأنّ الحسّ الدّيني جزء أساسي في تكوين الإنسان و أنّه موجود بدرجـات متفاوتة عند النّاس جميعا، فقد يفسر مفهوم الإنسان حسب التّصور العقيدي عند كثير مـــن المفكرين بتفسيرات متعددة.

فجوهر هوية الإنسان الدينيّة من منظور الأنثروبولوجيا الدّينيّة (علم الإناسة الدّينيّـــة) في الإسلام يختلف عمّا في المسيحيّة ، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنّه مخلوق "عبـــد لله"، بينما المسيحيّة تنظر إلى الإنسان على أنّه مخلوق يحمل صورة الله و شبيهه و لكنّـــه خاطئ و ضعيف ، و الله ينقده بالخلاص عندما يصير الله إنسانا[4].

و لا شك أنّ بين العبوديّة و البنّوة دقائق من لطائف المعاني اللاهوتيّة تسم بميســـمها الصاهر فرادة كلّ دين على حدة ؛ و هنا نجد الأنثربولوجيا المسيحيّة تعقّد المسألة أكـــثر ممّا تعطي مفهوما للإنسان ، و ذلك بتجسيد الإلـــه و إنزاله إلى مستوى الإنسان الذي هـــو مشكلة في حد ذاته.أمّا الإنسان ككائن خاطئ يتوق إلى الله و الخلاص ففكرة إيمانيّة تدعّـــم الجانب الرّوحي للإنسان، وهي موجودة في الإسلام بدليل قوله صلى الله عليه و سلم :"**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَ خَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**"[5].

---

[1] ابو حيان التوحيدي : المقابسات ، تحقيق : حسن السندوبي ، مطبعة القاهرة ، مصر ، 1929 ، ص : 316.

[2] ينظر: نوفل عبدالرزاق : بين الدين والعلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، د.ت ، ص: 25 و ما بعدها .

[3] ولترستيس : الزمان و الأزل – مقال في فلسفة الدين – ، ترجمة: زكريا إبراهيم و مراجعة : أحمد فؤاد الأهواني ، المؤسسة الوطنية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط، د.ت ، ص :40

[4] للتوسع ينظر :

– محمد عبده: الإسلام و النصرانية بين العلم والمدنيّة ، منشورات الأنيس، الجزائر ، 1987 م ، ص : 53 و ما بعدها

و ــ شايف عكاشة : الدين في ضوء العلم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 ، ص : 71 و ما بعدها .

و ــ مشير باسيل عون : بين المسيحية و الإسلام ، المكتبة البولسيّة ، جونيه ، لبنان ، 1997 م ، ص : 53 و ما بعدها

[5] رواه أحمد : أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، د.ت، ج5 ، ص: 390.

و إلى جانب أولئك الذين يغلّبون الجانب الدّيني في مفهوم الإنسان، نجد من يركّز على عامل الأخلاق في تعريف الإنسان . فالإنسان حسب هؤلاء "مخلوق ذو نزعة خلقية"، أو "حيوان أخلاقي" أو "مسؤول خلقيا" ، و هذا بحكم فطرته المتضمنة لعنصر الأخلاقية[1]، و هو ما يميّز الإنسان عن بقية الحيوانات ، لأنّ الحيوان لا يفهم معنى الأخلاقيّة و ليس له ذلك الشعور الذي نسميه "الضمير"[2]، و هذا ما أكده ابن مسكويه بقوله :"إنّ الإنسان هو الذي من بين الموجودات كلّها يلتمس له الخلق المحمود و الأفعال المرضيّة ، و إنّ أفعاله و قواه و ملكاته التي يختص بها من حيث هو إنسان ، و بها تتّم إنسانيّته و فضائله هي الأمور الخلقيّة أو الأمور الإراديّة التّي تتعلق بها قوة الفكر و التمييز".[3]

و ممّا سبق نلاحظ أنّ هذا المفهوم يركز على الأفعال الإرادية للإنسان ، و ينظر إلى الإنسان من جانب مجموعة القواعد السلوكية التي تحدّد السلوك الإنساني و تنظمه، و ينبغي أن يحتذيها الإنسان فكرا و سلوكا في علاقاته الاجتماعيّة و مواجهة المشكلات المختلفة التي تمكّنه من الاختيار الخلقي في المواقف الأخلاقيّة، و التّي تبرر المغزى الاجتماعي لسلوكه بما يتّفق و طبيعة الآداب و القيم الاجتماعيّة السائدة في مجتمعه[4].

و إلى جانب الذين يغلبون الدين و الأخلاق على مفهوم الإنسان ، نجد آخرين يركزون على الجانب الاجتماعي و لذلك قالوا : إنه " حيوان اجتماعي"أو حسب ابن خلدون "الإنسان مدني بالطبع" [5]؛ و يعنون بذلك أن الإنسان ذو نزعة اجتماعية و له

---

[1] سيد أحمد عثمان : المسؤولية الاجتماعية و الشخصية المسلمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1979، ص: 134.

[2] للتوسع ينظر :

- منصور علي رجب : تأملات في فلسفة الأخلاق،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، مصر، دط،1961، ص:227 وما بعدها

و- نديم الجسر : شبابنا المثقف أمام الإيمان و التدين ، الشركة المصرية للطباعة والنشر،ا لقاهرة،مصر،1971م ص:21وما بعدها .

[3] إبن مسكويه : تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراف ، تحقيق : قسطنطين زريق ، مطبعة الجامعة الأمريكية ، بيروت، لبنان، د .ط ، 1966، ص : 10-11.

[4] الشرقاوي حسن : الأخلاق الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، مصر 1985، ص : 237.

[5] ابن خلدون : المقدمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للنشر ، تونس ، 1984 ، ج 1، ص : 77 و ما بعدها

استعداد لبناء علاقات اجتماعية و تعاون اختياري مع غيره من بني جنسه ، الذّين يتميّزون باستعدادات لصنع الثقافة و الحضارة . و لذا يعتبر الإنسان مدنيا بالطبع أو اجتماعيا بالطبع لأنّه لا يستطيع الاستغناء عن عون الآخرين ومساعدتهم في سدّ حاجاته الضروريّة . "فكل بني آدم، لا تتمّ مصلحتهم في الدنيا ، و لا في الآخرة ،إلاّ بالاجتماع والتعاون و التناصر، فالتعاون على جلب منافعهم ، و التناصر لدفع مضارّهم، فإذا اجتمعوا لا بدّ من أمور يفعلونها يجلبون بها المصلحة و أمور يدرأون بها المفسدة".[1]

و من خلال تفاعل الإنسان مع حياة و ثقافة مجتمعه يكتسب خبراته المتجددة باستمرار، و يكتسب كثيرا من معارفه و مهاراته و اتجاهاته ،و يكوّن شخصيته، و يحقق أمنه و حريته، و يشبع كثيرا من حاجاته الأساسية التّي ما كان له أن يشبعها لو عاش بمفرده بعيدا عن المجتمع البشري.

و هناك من يعرّف الإنسان بأنّه "الحيوان الرامز، أو القادر على استعمال الرموز، أو الصانع للرمز"، و على الأخص الرموز اللغويّة، أو هو الحيوان القادر على وضع المصطلحات" لما يوجد حوله من أشياء، و على تسميّة الأشياء لتمييز بعضها عن بعض.[2]

فالإنسان في نظر هؤلاء لا يواجه الواقع مباشرة، فهو لا يستطيع أن يراه وجها لوجه؛ و لهذا يصح القول بأنّه لا يحيا في عالم طبيعي، بل يحيا في عالم رموز، فهو لا يتأثر بالأشياء مباشرة، كما هو الحال عند الكائنات الأخرى، كما أنّه لا يؤثر فيها مباشرة لأنّ الأشياء لا تظهر لروحه إلاّ متخفية في أشكالها الرمزية التّي هي من صنع روحه كذلك.

---

(1) ها ملتون جيب : الإتجاهات الحديثة في الإسلام ، ترجمة : هشام الحسيني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان ، د. ط ، د.ت ، ص : 224.

(2) للتوسع ينظر :

- الحبابي محمد عزيز : تأملات في اللغو و اللغة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، د.ط ، 1980، ص : 107 و ما بعدها و ص : 129.

و – أرنست كاسير :" مقال عن الإنسان " تقديم : أحمد حمدي محمود ، مقال بمجلة "تراث الإنسانية" وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة، مصر، دون ذكر العدد ، د.ت ،ج 1 ، ص: 377 و ما بعدها .

و– أوتوكلينبرع :علم النفس الإجتماعي ، ترجمة: حافظ الجمالي، دارمكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1967 ص: 90 و ما بعدها

فلدى الإنسان جهاز صانع للرموز، و ساعدت هذه الميزة على اتساع الواقع الإنساني وظهور أبعاد جديدة فيه ، فالأشكال الرمزية المختلفة كاللّغة و الأسطورة و الفن و الدّين قد زادت الواقع الإنساني اتساعا، بل أصبحت هي الواقع ذاته.[1]

فالإنسان كما يمتاز بخاصية التفكير و العقل، فإنّه يمتاز أيضا باستعداده لاكتساب أيّ لغة من اللغات الإنسانية و بقدرته على استخدامها عن طريق الكلام و البيّان و التعامل برموز و ألفاظ ذات دلالات لغوية، و هي القدرة التّي لا يمتلكها أيّ من أنواع الحيوان الأخرى مهما بلغت درجة رقيّه[2].

فلغة الإنسان ظاهرة اجتماعية، كما أنّها عنصر جوهري من عناصر الثقافة، فالكلمة التي يستخدمها الإنسان تتكوّن من مجموعة من المعاني، وتتألّف من طائفة من الارتباطات التّي تجمّعت حولها. و لذلك نجد أنّ علماء الأنثروبولوجيا اللغوية يدرسون البناءات والأنساق اللغوية السائدة في المجتمع، للحصول على المعلومات حول ثقافة هذا المجتمع[3].

و بعد هذا يبدو أنّ التعريف الذي أتى به فلاسفة اليونان و من سار على نهجهم و الذي يعرّف الإنسان بأنّه "الحيوان الناطق"،هو التّعريف الذي يكاد يكون جامعا ومانعا.

فهذا التعريف يمكن أن نعدّه من نوع التعريف بالحدّ[4]، لأنّه جمع كلّ أفراد الإنسان و منع كلّ كائن غير الإنسان من الدخول فيه، أو لأنّه لا يخرج عنه أيّ فرد من أفراد النوع الإنساني، و لا يدخل فيه أيّ شيء من خارج النوع الإنساني.

و إذا ما توسّعنا في فهمنا لهذا التعريف فإنّنا نجده يتكون من الجنس القريب بالنسبة للنوع الإنساني، و هو "الحيوانية"، و من الفصل القريب الذي هو "النطق" الذّي يتجاوز معناه مجرد القدرة على الكلام إلى القدرة على التفكير و القيام بغيره من العمليات

---

(1) أرنست كاسير : المرجع السابق ، ص:383.

(2) الشيباني عمر التومي : المرجع السابق ، ص : 132

و- عائشة بنت الشاطئ : القرآن و قضايا الإنسان ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1972 ، ص : 59 و 55

(3) غامري محمد حسن : المرجع السابق ، ص : 24.

(4) الغزّالي أبو حامد : معيار العلم في فن المنطق ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 1981،ص: 194 و ما بعدها .

و- الأعسم عبد الأمير : المرجع السابق ، ص : 233 و165 .

العقلية العليا، فالمقصود بالنطق هنا العقل و الكلام و التفكير و ليس مجرد التعبير[1].

و كلّ الخصائص التي تضمنتها التعريفات الأخرى مرتبطة بطريقة أو أخرى بخاصيّة العقل و التفكير، و الركنان أو العنصران اللذان يتكوّن منهما تعريف الإنسان "الإنسان حيوان ناطق"، تتكوّن منهما ماهية الإنسان في العقل، و ليس "للحيوانية" التي هي جنس الإنسان، و لا "للنّطق" الذي هو فصله وجود خارجي متميّز، لأنّه لو كان لأحدهما مثل هذا الوجود الخارجي المتميّز المستقل لامتنع من الناحية المنطقيّة حمل أحدهما على الآخر، لأنّ المتمايزين بالوجود الخارجي "لا يمكن حمل أحدهما على الآخر، و معنى الحمل أنّ المتغايرين مفهومان متحدان ذاتا، و لو كان لكلّ واحد منهما وجود مستقل لما اتحدا ذاتا..ففي الوجود شيء واحد هو زيد مثلا، فإذا تصوره العقل ينتزع منه ماهية كليّة، من أمر مبهم محتمل للإنسان و الفرس و غيرهما، غير مطابق بنفسه لشيء منهما و هو جنسهما، الذي هو "الحيوان"، و من أمر آخر يحصل الأوّل و يعينه، أي يجعله مطابقا لحقيقة زيد، و هو فصلها الذي هو "الناطق"، فيحصل من اجتماعهما فيه حقيقة زيد، و هي الإنسان، فهما جزآن عقليان للإنسان لا خارجيان"[2].

و إذا كان الجزء الأوّل من التعريف ــ وهو الحيوان ــ يعبّر عن خاصية لصيقة بالإنسان، فإنّ هذا يصدق على جميع أنواع الحيوان التّي لا يعدو الإنسان أن يكون أحدها، و الجزء الثاني منه،و هو "النطق" يعبّر عن خاصية أخرى لصيقة بالإنسان تميزه عن بقيّة أنواع الحيوان[3].

و ممّا سبق يبدو أنّ التعاريف السابقة للإنسان تكمّل بعضها بعضا، و لذلك فليس هناك ما يمنع من جمعها في تعريف واحد يشمل العناصر الأساسيّة التي اشتملت عليها.

و من ثمّ نستطيع القول :"إنّ الإنسان هو ذلك الحيوان الناطق القادر على الكلام وعلى استعمال اللغة كأداة للتفكير و التعبير، و على وضع المصطلحات و الرموز

---

(1) الدمنهوري أحمد : إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق ، الطبعة الحجرية ، ص : 6 وما بعدها.

و ــ الأعسم عبد الأمير : المرجع السابق ، ص : 320 و272و235.

(2) الطوسي علاء الدين : تهافت الفلاسفة ، تحقيق : رضا سعادة ، الدار العالمية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1981، ص: 198.

(3) الجاحظ عمر بن بحر : البيان و التبيين تحقيق : عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ج 1 ، ص : 77.

للأشياء لتمييزها و التصرف فيها، و على الإيمان بالغيب، وعلى التمييزبين الخيروالشرّ، وعلى أن يعيش في جماعة و يبني علاقات اجتماعية واعية مع غيره من بني جنسه فيحصل بينهم تجاوب في شؤون الحياة الفكرية و الماديّة".

ج- مصطلح الإنسان في القرآن :

وردت مادة "الإنسان" في القرآن الكريم معرّفة بـ "الـ" الدالة على استغراق الجنس ثماني و خمسين مرة[1] : خمسين مرة في تسع و أربعين آية، في اثنين و ثلاثين سورة مكيّة[2]، وثماني مرات في ثماني آيات في ست سور مدنيّة[3].

و جاءت مرة واحدة مجردة من "الـ" نكرة،لتشمل الذكر و الأنثى[4]، في الآية الثالثة عشرة من سورة الإسراء و هي مكيّة، فقال الله تعالى :﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا** ﴾ (الإسراء :13)

كما جاءت مقرونة بلام الجرّ ستّ مرات[5] : خمس مرات في خمس آيات، في أربع سور مكيّة[6]، و مرة واحدة، في آية مدنيّة واحدة، و هي قوله تعالى : ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾.

(الحشر :61 .)

كما تجدر الإشارة إلى أنّ مادة "الإنسان" ذكرت معانيها كثيرا، في ألفاظ أخرى مثل: "بني آدم" و "النّاس" و "البشر"...

---

(1) عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مكتبة الإسلامية ، دار الخياط ، بيروت ، لبنان ، د ت ، مادة "أنس" .

(2) السور المكية حسب الترتيب في المصحف مع الآيات التي ذكرت فيها مادة " الإنسان" .

يونس : 12 ،هود : 36 ، النحل : 4، الإسراء : 11-13-67-100، الكهف : 53، مريم : 66-67،الأنبياء :37، المؤمنون: 12، العنكبوت : 7، لقمان: 13، السجدة : 7، يس: 76، الزمر : 9-46 ، فصلت : 48-50 ، الشورى : 45، الزخرف : 14 ، ق: 16 ، المعارج: 19 ، القيامة : 02-04-09-12-13-35، النازعات : 35 ، عبس : 17-24 ، الانفطار: 6، الانشقاق: 6 ، الطارق : 5، الفجر:15-26،البلد: 4، التين : 4، العلق: 2-5-6، العاديات : 6، العصر:2.

(3) السور المدنية حسب الترتيب في المصحف مع الآيات التي ذكرت فيها مادة " الإنسان " :

النساء : 28 ، الحج: 64، الأحزاب : 72، الرحمان : 2-12 ، الإنسان: 1-2 ، الزلزلة : 3.

(4) (5) عبد الباقي محمد فؤاد : المرجع نفسه ، مادة " أنس " .

(6) السور المكية حسب الترتيب في المصحف مع الآيات التي ذكرت فيها مادة " إنسان "مربوطة بلام الجرّ :

يوسف : 5 ، الإسراء : 53 ، الفرقان : 29 ، النجم : 24-39 .

فـ "الإنس" جاءت في ثماني عشرة موضعا[1]، أربع عشرة مرة في ثلاث عشرة آية، في سبع سور مكيّة[2]، و أربع مرات في أربع آيات أيضا، في سورة مدنيّة واحدة[3].

و كلمة "أناس" وردت خمس مرات، و "أناسي" وردت مرة واحدة و "إنسي" مرة واحدة كذلك[4].

و قد استعمل القرآن لفظ " البشر" في خمسة و ثلاثين موضعا[5]، واحد و ثلاثين موضعا في تسع عشرة آية، في تسع عشرة سورة مكيّة، و أربعة مواضع في ثلاثة آيات، في ثلاث سور مدنيّة.

و من مجموع لفظ "البشر" الوارد في القرآن، نجد أنّه ورد خمسا و عشرين مرّة في بشرية الرسل و الأنبياء، مع النّص على المماثلة، فيما هو من ظواهر البشرية و أعراضها الماديّة، بينهم و بين سائر البشر[6].

كما أنّ القرآن ذكر كلمة "بني آدم" ست مرات في مكيه و مدنيه، و كلمة "النّاس" التي ذكرت مائتين و أربعين مرة في مكي القرآن و مدنيه[7].

و حريّ بنا بعد هذه الإحصائيات أن نذكر ما يلي :

ـ إنّ أهميّة "الإنسان" في نظر القرآن، لا تلمس بكثرة ترديد لفظه صراحة، أو كثرة التحدث عنه ضمنا في نطاق حديثه عن ألفاظ لها صلة بمعناه، بل تدرك ـ أيضا ـ بما

---

(1) عبد الباقي محمد فؤاد : المرجع السابق ، مادة " أنس " .

(2) السور المكية حسب الترتيب في المصحف مع الآيات التي وردة فيها مادة " الإنس " .
الأنعام : 113-128-131. ، الأعراف : 36-139. ، النمل :17 ، فصلت : 24-28 ، الأحقاف : 17 ، الداريات : 36، الجن : 5-6.

(3) السورة المدنية حسب الترتيب في المصحف مع الآيات التي وردت فيها مادة " الإنس " . الرحمان 31-38-55-73 :.

(4) عبد الباقي محمد فؤاد : المرجع نفسه ، مادة " أنس " .
ـ مادة " أناس "جاءت في السور التالية : (البقرة : 59 مدنية . و الأعراف : 81-160 ، الإسراء : 71 النمل : 58 . و كلها سور مكية)
ـ مادة " أناسي " جاءت في سورة الفرقان : 49 و هي مكية .
ـ مادة " إنسي " جاءت في سورة مريم : 25 و هي مكية .

(5) عبد الباقي محمد فؤاد : المرجع السابق ، مادة " بشر " .

(6) عائشة بنت الشاطئ :المرجع السابق ،ص: 15.

(7) عبد الباقي محمد فؤاد : المرجع نفسه ، مادة " الناس " و" آدم ".

اختصت به منزلته من تركيب متميّز مقصود، كتكريمه و تفضيله على سائر المخلوقات[1]...

ــ إنّ الآيات التي ورد فيها ذكر "الإنس" تأتي دائما مقرونة بكلمة "الجنّ"، و هذا على وجه التقابل، يطرّد ذلك و لا يتخلف في كلّ الآيات الثماني عشرة المذكورة آنفا، مثل قوله تعالى :﴿ **يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنس إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ**﴾ (الرحمان : 33).

كما نلاحظ أنّ الإنسيّة هنا، بما تعنيه من عدم التوحش تفهم صراحة من مقابلتها بالجنّ في دلالتها أصلا على الخفاء الذي هو قرين التوحش[2].

ــ لقد أورد القرآن الكريم لفظة "الإنسان" بصيغة الفرد و الجمع، فذكر كلمة "إنسان" مفردة عن مخاطبة الفرد إيضاحا للثواب و العقاب؛ و الخير و الشّر. فقال الله تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ (القيامة :36)، و قال عزّو جلّ : ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا** ﴾ (الإسراء : 13) و قوله كذلك :﴿ **يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ (الإنفطار : 06)؛ ففي هذه الآيات كان المقام التعبير عن المفرد فذكر "الإنسان" ، أما إذا كان مقام التعبير عن الجمع يذكر كلمة "إنسان" بصيغة الجمع، و جاء هذا في كثير من الآيات التي خاطبت الجنس البشري عامة، نحو قوله تعالى :﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ (الحج : 01) و قوله سبحانه وتعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة: 243) و قوله أيضا :﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(1)مَلِكِ النَّاسِ(2)إِلَهِ النَّاسِ**﴾ (الناس :1 ــ 2 ــ 3).

ففي هذه الآيات جمعت كلمة "الإنسان" التي هي أصلا تحتمل الإفراد و الجمع بكلمة "النّاس"[3]، و كلمة النّاس هي عوض عن أناسي الذي هو الجمع القياسي لإنس[4].

---

[1] عائشة بنت الشاطئ :المرجع السابق ،ص: 17.

[2] عائشة بنت الشاطئ :المرجع نفسه، ص : 18.

[3] مفيد محمد قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان،1980، ص : 19

[4] ابن عاشور محمد الطاهر :تفسير التحرير والتنوير ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1966،ج1،ص:247.

ـــ ذكرت كلمة "الإنسان" في السور المكيّة أكثر من السور المدنيّة. حيث ذكرت ست و خمسون مرّة في السور المكيّة بنسبة 80.15 % من مجموع خمس وستين مـــرّة ،وتسـع مرات في السور المدنيّة بـــ 13.84 % من نفس المجموع (65 مرة)، فالفارق بين ما ذكر فـي السور المكيّة و المدنيّة شاسع جدا حيث بلغ66.31 %.

و هذه النسبة تؤكد لنا أنّ القرآن الكريم تناول "الإنسان" في السور المكيّة أكثر مـــن السور المدنيّة كما تكشف عن أهميّة الإنسان و العناية التي أولاها القرآن للإنســـان منـذ العهد المبكر من النزول[1].

و لعلّ أبرز دليل على ذلك أنّ أوّل ما نزل من آيات القرآن على الرسول صلى الله عليه و سلم، خمس آيات من سورة العلق ذكرت كلمـــة "الإنســان" فـي اثنتيـن منـها، ومضمونها كلها العناية بأمر الإنسان يقول الله تعالى :﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الإِنسَانَ مَـا لَـمْ يَعْلَـم** ﴾ (العلق : 1 ــ 2 ــ 3 ــ 4 ــ 5).

إنّ هذه الآيات تعبر أوضح تعبير عن نظرة القرآن إلى الإنسان و علاقتـــه بـالله تعالى، و علاقة الله تعالى به، و إن كانت خطاباً للرّسول صلى الله عليه و سلم، لكنّها هـي كذلك لكلّ إنسان يفهم الخطاب من بعده.

فقد بيّن مصطفى المراغي أنّ في هذه الآيات دليل على أنّ الله خلق الإنسان الحـي الناطق ممّا لا حياة فيه و لا نطق، و لا شكل و لا صورة و علّمه أفضل العلـوم و هـي الكتابة، و وهبه العلم و لم يكن يعلم شيئا[2].

و قد علّق يوسف القرضاوي على هذه الآيات بقوله : "الإنسان في هـذه الآيـات مأمور أن يقرأ، و القراءة هنا رمز لكلّ علم نافع يقوم به الإنسان، و إنّما خصّ القراءة

---

(1) دروزة محمد عزة : التفسير الحديث ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، 1381هـ/1962مـ،ص:50.

(2) المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط، د.ت، ج 30، ص : 20 .

بالذكر لأنّها نقطة الإنسان، و مفتاح رقيّه..."[1].

فمن كرم الله تعالى و فضله، أنّه علّم الإنسان ما لم يكن يعلمه، و خصّه بالعلم الذي يقوده إلى الإيمان بما أمر به، فيسعى اعتماداً على تعلّمه و إيمانه لبناء ذاته و عمارة حياته و إقامة دنياه على ميزان من العدل ، فيمشي بنّور ربّه على صراط مستقيم.

هذه بعض الملامح العامة لصورة الإنسان، و خصائص إنسانيته و طبيعتـــه كمـــا وردت في أوّل الآيات المنّزلة. ثم تتابعت الآيات من بعد ذلك لتتّم نعمة الكرامة و المكانـــة الإنسانيّة في القرآن الكريم.

فالإنسان في القرآن كائن رفيع القيمة في ذاته، و رفيـــع القيمـــة بالنســـبة لســـائر الكائنات. يقول الله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ (ص:71 ــ 72)، و يقول أيضا :

﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا** ﴾ (الإسراء : 70).

ثانيا : مكانة الإنسان في القرآن الكريم :

أ – غاية وجود الإنسان :

يعدّ وجود الإنسان غاية من وجود العالم كلّه، و جميع ما يجري من أحداث قدرهـــا الله سبحانه و تعالى إنّما هي ليسير مهمة الإنسان في وجوده لتحقيق غايته. فالغرض مـــن خلق الله تعالى الإنسان هو أن يعبد الله، كما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَمَـــا خَلَقْـــتُ الْجِـــنَّ وَالإِنسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ** ﴾(الذاريات : 56). و أن يقوم بمهام الخلافة، كما جـــاء فـــي قولـــه تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (البقرة : 30).

و من ثمّ فإنّ الغاية من خلق الإنسان كما قدّرها سبحانّه و تعالى هـــي عبـــادة الله ورسالة ينبغي أن يقوم بها لتحقيق هذه الغاية، و أداء الأمانة و الوفاء بمهام الخلافـــة و إنّ هذه الغاية التي خلق الإنسان من أجلها ليست غريبة عن تكوينه، و لكنّها غايـــة خلقـــه الله تعالى مهديا بطبيعته إلى تحقيقها، و هي هداية بالتسخير و الإلهام و الفكـــر ؛ بـــل إنّ الله

---

[1] القرضاوي يوسف:الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان، ط 3، 1405هـــ/ 1985مـــ ، ص : 67.

سبحانه و تعالى جعل سعادته في تلك الغاية، و خلق فيه النزوع إلى تلك السعادة الدنيوية و الأخروية[1].

و العبادة في الإسلام ليست مقصورة على مناسك التعبد (من صلاة ،صوم زكاة،وحج...) و لكنّها مفهوم أعمق من ذلك بكثير ؛ إنّها العبوديّة لله وحده، ثمّ هي الصلة الدائمة بالله في كل الأحوال. فالإسلام يوسع من مفهوم العبادة حتى تشمل كلّ عمل يتوجه به الإنسان إلى الله ابتغاء مرضاته و طمعا في ثوابه، و كلّ عمل يقوم به الإنسان تقربا لله و احتسابا فهو عبادة، و كلّ شعور نظيف في باطن النّفس، و كلّ امتناع عن شعور هابط من أجل مرضاة الله عبادة، و كلّ ذكر لله في اللّيل و النّهار، هو عبادة ؛ و من ثمّ يصبح الإنسان عابدا لله حيثما توّجه إلى الله ، و حينئذ يصبح مجموع النّشاط الإنساني كما قدّره الله.[2]

فعلى الإنسان أن يسعى إلى الهدف الذي يعينه على تحقيق سبب خلقه، و أن يحيا الحياة التي تساعده على أن يعبد الله. و كل حياة تبعد الإنسان عن تحقيق هذه الغاية هي حياة خاسرة، ثم إن هناك غاية مثلى ينبغي العمل على تحقيقها دائما و هي السعي نحو المثل الأعلى و الكمال الذاتي، فينبغي أن يتطلع الإنسان إلى المثل العليا و يتجه بكل طاقته نحو تحقيقها في حياته، و ذلك في مجال العقيدة والعمل و السلوك الخلقي و الالتزام بالقيم و المبادئ الإسلامية[3].

و عليه فإن كل فعل يتحراه الإنسان و يبتغي به وجه الله تعالى، هو عبادة. و من ثمّ فإن الحكم الإلهي يحاسب كل فعل من أفعال الإنسان، و يكون الإنسان محققا للعبادة إذا تحرى ذلك الحكم في كل أفعاله. فالعبادة فعل يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى[4].

---

[1] الراغب الأصفهاني: تفصيل النشأ تين وتحصيل السعادتين –الإنسان وجودا وقيمة وغاية –تقديم وتحقيق :عبد المجيد النجار،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،1988،ص:32.

[2] قطب محمد : منهج التربية الإسلامية ،ج 1، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط 7 ، 1983 مـ ، ص : 67.

[3] المليجي يعقوب : الأخلاق في الإسلام– مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية –، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الأسكندرية ، مصر ، 1985مـ ، ص : 175 .

[4] ابن العربي محمد بن عبد الله :أحكام القرآن ، تحقيق محمد علي البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر، 1387 هـ/ 1967 م ، ص : 154-155.

كما حدّد القرآن الكريم رسالة الوجود الإنساني في ما أخبر به عن قصة خلق الإنسان، فالله تعالى قدّر للإنسان رسالة من وجوده عند خلقه، و هي الخلافة في الأرض كما جاء في قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...** ﴾ (البقرة : 30)، و قوله أيضا :﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا** ﴾ (فاطر : 39).

و الخلافة في اللغة : مصدر خلف يخلف خلافة، أي بقي بعده، أو قام مقامه، و كلّ من يخلف شخصا آخر يسمىّ خليفة، لذلك سميّ من يخلف الرسول في إجراء الأحكام الشرعية و رئاسة المسلمين في أمور الدين و الدنيا خليفة، و يسمّى المنصب خلافة وإمامة[1]. كما هي ــ الخلافة ــ النيابة عن الغير إما لغيب المنوب أو لعجزه أو لتشريفه[2].

أما تعريف الخلافة في الاصطلاح : فقد عرّفها ابن خلدون بقوله : "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية و الدنيوية الراجعة إليها" ثمّ فسّر هذا التعريف بقوله : "فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في دراسة الدّين و الدّنيا"[3].

و اختلف العلماء في جواز تسمية الإنسان خليفة الله[4]، فذهب بعضهم إلى عدم جواز تسميته بخليفة الله، لأنّ أبا بكر الصّديق (ض) نهى عن ذلك لمّا دعيّ به ، و قال : "لست خليفة الله ، و لكنّي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم " [5] ، كما أنّ الاستخلاف إنّما هو في حق الغائب، و الله منزه عن ذلك[6].

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، المرجع السابق ، مادة " خلف " .

(2) الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم،المرجع السابق،مادة "خلف "

(3) ابن خلدون ، المقدمة ، المرجع السابق ، ج 1 ص : 43 .

(4) للتوسع في هذه المسألة ينظر :

ــ أحمد حسن فرحات : الخلافة في الأرض ، دار الأرقم ، الكويت ، د.ط ، 1983، ص : 12 و ما بعدها .

و ــ البهي الخولي : آدم عليه السلام – فلسفة تقويم الإنسان و خلافته ، مطبعة وهبة ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1974م ، ص : 123 و ما بعدها .

(5) رواه أحمد ، مسند أحمد بن حنبل ، المرجع السابق ، ج1 ، ص : 61 .

(6) ابن خلدون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص : 243 .

و أجازه بعضهم ــ الإنسان خليفة الله على أرضه ــ اقتباسا من الخلافة العامة للآدميين في قوله سبحانه تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (البقرة : 30)، و قوله عزّ وجلّ : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ** ﴾ (فاطر : 39). فالجعل يفيد أنّه خليفة الجاعل، و لا شك أنّ الذي جعله كذلك هو الله ، و الجعل في هذا المقام لا ينصبّ على الخلق فقط ، بل ينصبّ أيضا على التكليف. قال الطبري (ت : 310هـ):في تفسير قوله سبحانه :﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾(البقرة : 30) " أي مستخلف في الأرض"[1] .و ليس المقصود بآدم في الآية شخصه فقط ، بل المقصود به نوع الإنسان عامة ، كما بيّنه الزّمخشري (ت : 538هـ) بقوله : "أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغني بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم"[2].

و بيّنه ابن عاشور في قوله : "فالخليفة آدم، و خلفيّته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض"[3] "و أن يكون قائما مقام من استخلفه، يجري أحكامه و مقاصده"[4].

و الحقيقة أنّه ليس لهذا الاختلاف من مبرّر، لأنّ من بين أغراض الخلافة في اللّغة تشريف المستخلف كما بيّنه الراغب الأصفهاني[5]. و عليه فالإنسان هو خليفة عن الله سبحانّه و تعالى.

و على هذا المعنى تكون رسالة الحياة الإنسانيّة في نطاق عقيدة الخلافة، هي أن يقوم الإنسان بحركة تعمير في الأرض وفق أوامر الله و نواهيه، بحيث يكون في كلّ عمل ماديّ أو معنويّ متّجها إلى الله تعالى ، يستجلي مراده و يتحرّاه ، و يبتغي مرضاته و يجدّ في الفوز بها. و تبعا لذلك تكون حركته التّعميريّة في الأرض في كلّ اتّجاهاتها الفردية والاجتماعية، و الماديّة و المعنويّة، حركة عبادة لله تعالى، و يصبح بالتالي مفهوم التّحضّر ــ الذي هو الطّور الرّاقي من حركة التّعمير الإنساني ــ مفهوما مشربا معنى العبوديّة لله،

---

(1) الطبري محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1373 هـ / 1954 مـ ، ج 1 ص : 200

(2) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج 1 ، ص : 271.

(3) ابن عاشور الطاهر : المرجع السابق ، ج1 ، ص : 399 .

(4) الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، تحقيق : عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج1 ، ص : 332 .

(5) الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، مادة " خلف " .

إذ هو ليس إلاّ إنجاز لمهمة الخلافة، و الخلافة قائمة على العبادة كما يفيد قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات : 56)، فقد سوّيت بها بجعل كلّ منهما غاية لوجود الإنسان[1].

فالخلافة هي العمل بأمر الله تعالى و تحكيم شريعته و تطبيق أوامره و نواهيه التي تجتمع كلّها عند تحقيق مصلحة الإنسان الشاملة عبر التفاعل مع الكون ، بما يؤدي إلى الترقي الرّوحي و المادي بمباشرة الكون و استثمار ما سخره له الله سبحانه و تعالى فيه و استيعاب أسراره و إقامة العمران فيه، يقول تعالى :﴿ **هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ (هود : 61). و من ثمّ فإنّ الوفاء بمهام الاستخلاف لا يتم إلاّ بالعبادة جهادا للنّفس ، و جهادا للتّعمير، و بها يتحقّق نفع الإنسان في الدّنيا و الآخرة.[2]

و على قدر وفاء ما يقوم به الإنسان بمهام الخلافة في إطار منهج الله تعالى وتحكيم شريعته، يكون الثّواب و الجزاء من عند الله كما جاء في قول الله سبحانه و تعالى : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ**﴾ (النور : 55) .

و قوله أيضا :﴿...**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ... ﴾ (الأنبياء : 105).

فمضمون الخلافة لن يتحقّق إلاّ إذا كان الإنسان في سلوكه و خلقه و عمله على صورة التّكريم التّي أنعم الله سبحانه و تعالى بها عليه، فيسمو إلى مصاف الصّالحين الأبرار[3].

و بهذا تكون الآية السابقة : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾(البقرة : 30)، دالة على ترقية الذات الإنسانيّة من خلال نظام قائم يعمل إزاء البيئة الكونيّة، يهدف إلى تحقيق السّمو الفردي، في مراقي الفضيلة و الثّقافة و العلم و معاني الإنسانيّة، و السّمو المنهجي في التّعامل مع بيئة الكون كما يضمن الانتفاع بها و المحافظة عليها على أحسن الوجوه من الانتفاع و المحافظة، و كلّ ذلك في نطاق الاقتراب من الله تعالى بتطبيق أوامره ونواهيه في ابتغاء ذلك التّرقّي تحقيقا للعبوديّة التي تتأسّس عليها الخلافة[4].

---

[1] النجار عبد المجيد : خلافة الإنسان بين الوحي و العقل ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، 1987 ، ص : 47

[2] الأصفهاني : تفصيل النشأتين و تحصيل السعادتين ، المرجع السابق ، ص : 108.

[3] بركة عبد الفتاح عبد الله : العقيدة و بناء الإنسان ، دار التراث الإسلامي ، القاهرة ، مصر، 1991 ، ص : 76.

[4] النجار عبد المجيد : الإنسان في القرآن ، مقال بمجلة الموافقات ، تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر ، العدد 3 ، ذو الحجة 1414 هـ/ جوان 1994م ، ص : 55 .

و من هنا تنتج ــ عن كون الإنسان خليفة في الأرض ــ العناصر التالية :

ــ إنّ الإنسان هو السيّد في الأرض، و من أجله خلق الله سبحانه و تعالى الخيرات فيها،و إنّ الإنسان هو العامل الرئيس في شؤون الحياة، ومن ثمّ يتوقّف صلاحها و فسادها على صلاحه و فساده، و هذا ما يجب وضعه في الاعتبار مهما تغيّرت الظروف والأحوال، و اختلفت النظريات الفلسفيّة و الاجتماعيّة، و التّشريعات الوضعيّة،والاجتهادات الفقهيّة و العلميّة.

و أنّ الله تعالى أودع في الإنسان بعض الصفات الإلهيّة، ليقوم بالخلافة الصّحيحة في الأرض، و هي صفات نبيلة في الإنسان، و سجايا فاضلة تسمو به نحو الرّفعة و الكمال، كالرّحمة و الرّأفة، و العلم، و الإرادة، و القدرة، و الاختيار، و الكرم، و الجود والتّدبير، و الحكمة، و السمع، و البصر،و...، و إن كانت هذه الصّفات نسبيّة أمام صفات الله تعالى المطلقة[1] .

ــ الإنسان هو الخليفة في الأرض لإقامة شرع الله و دينه، و تطبيق أحكامه، والسير على منهجه، و من ذلك إقامة الحق، و الحكم بالعدل، والقضاء بالقسط[2]، يقول ابن جرير الطّبري مفسّرا الآية السّابقة :﴿ **إنّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ "من يخلفني بالعدل بين خلقي، و إنّ ذلك الخليفة هو آدم، و من قام مقامه في طاعة الله و الحكم بالعدل بين خلقه فيفصل في الخصومات و المظالم، و يردع عن المحارم و المآثم، و يحكم في القتل،ويمنع الفساد"[3].

و قد أشار القرآن إلى هدف الاستخلاف فقال : ﴿ **يَادَاوُودُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...**﴾ (صٓ : 26).فالاستخلاف المقصود في الآية، يهدف إلى إقامة العدالة في الأرض، و تحقيق الخير و هدى النّاس[4].

---

(1) ابن العربي : المرجع السابق ، ج 4 ، ص : 1941 .

(2) القرطبي محمد بن احمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب للعربي ، القاهرة ، مصر ، 1376هـ/1957م ، ج 1 ، ص: 263

(3) الطبري محمد بن جرير : المرجع السابق ، ج 1، ص : 200.

(4)الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1411هـ / 1991م ، ج 1 ، ص:127.

و-الصابوني محمد علي:صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ، ط 4، 1402هـ/ 1981م،ج 3، ص: 56

ـــ إنّ الإنسان خليفة في الأرض لإعمارها، و كشف أسرارها، و الاستفادة من خيراتها ، و تطويرها ، قال الله تعالى :﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾ (هود : 61). فالله كلّف الإنسان بعمارة الأرض و إسكانها[1] ، مع إقامة حضارة عمرانيّة و هذا كلّه وفق أوامر الله و نواهيه. و حينها يكون معنى الخلافة هو التّعمير في الأرض وفق أوامر الله و نواهيه، و يكون التّحضّر هو ممارسة الإنسان التّعمير في الأرض أيضا فينتج الجمع بين الطرفين و يفضي ذلك إلى مفهوم للتّحضّر في الميزان الإسلامي يقوم على مفهوم الخلافة نفسه، فإذا هو في ذلك الميزان محكوم بالوجهة التي يبتغي فيها وجه الله تعالى بالتزام أوامره و نواهيه، و إذا هو يعني في نطاق تلك الوجهة، التّرقّي بالإنسان سموّا بذاته الفرديّة، و هيئته الاجتماعيّة، و منهجيّته في التعامل البيئي، ابتغاء فضل الله في الطبيعة.

و على ضوء ما سبق، فإنّ الخلافة هي تحديد القرآن الكريم مركز الإنسان الوجودي و وظيفته الكونيّة و درجته بين المخلوقات جميعا، كما أنّها التعبير القرآني عن رسالة الإنسان في حياته الدنيا. و من ثمّ فالخلافة هي تعبير عن علاقة بين الإنسان ـــ المستخلف ـــ و بين الله سبحانه و تعالى الذي استخلفه من جهة، و عن علاقة أخرى بين الإنسان ـــ الخليفة ـــ و بين كلّ ما استخلفه الله عليه في الأرض من جهة أخرى.

فالعلاقة الأولى ذات طبيعة خاصة، و هي تتمثّل في الخضوع و الطاعة والاستجابة لأمر الله سبحانه و تعالى، "إنها العبودية لله عزّ و جلّ"، و منهج تحقيق العبودية نزل من عند الله ، ممثلا في كتاب الله و سنة نبيّه الكريم (صلى الله عليه وسلم) أما العلاقة الثانية فإنّها تتمثّل في سيطرة الإنسان القائم بمهام الاستخلاف و هيمنته واستغلاله و حاكميته وتسخيره لكلّ ما استخلفه الله عليه في الأرض ـــ ما عليها و ما في باطنها من أشياء وأحياء ـــ ، و هذه العلاقة تسمى "السيادة"[2].

فالقرآن يضع الإنسان أمام مسؤولياته في هذا الوجود، و في مقدمتها مسؤوليته الكبرى أمام الله ، التي تتدرج تحتها جميع التكاليف و جميع المسؤوليات، يعمق في حسّه

---

[1] الصابوني محمد علي : المرجع نفسه ، ج 2، ص: 29
و- المراغي أحمد مصطفى : المرجع السابق ، ج 11، ص: 52

[2] الدسوقي فاروق أحمد : مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 1986ص: 38

معنى التّوجه إلى الله بالعبادة و الشكر و التّوبة و الإنابة، و يحثّه على العمل المنتج و على اكتساب الخبرة التي تصل إلى حد الإتقان،ومن ثمّ يحقق الإنسان وجوده في الأرض ؛ وجود الخليفة الراشد المكلّف بعمارة الأرض بمقتضى منهج الله ، يقيم فيها شرع الله ويمشي في مناكبها بعون الله، و يجاهد لإقامة الحق و العدل الذي يأمر به الله، و يكون في أثناء ذلك كلّه متخلقا بأخلاق القرآن الكريم و السنّة النبويّة، فيتحقق بذلك المعنى الحقيقي لعبادة الله[1].

و بهذا المعنى فإنّ الخلافة عبودية و سيادة في آن واحد ؛ فإذا لم يحقق الإنسان عبوديته لله فإنّه يضيّع سيادته في الأرض؛ و بالتّالي سيسقط في هوة عبوديته لغيره ، ومن ثمّ يفقد سيادته على هذا الغير. فعبادة الله بهذا المعنى هي الطريق الوحيد لتحقيق غاية الوجود ، و في ضوئها تتحقق مهام الاستخلاف، و من أخطأ طريق العبادة فقد أخطأ غاية وجوده.

ب – الإنسان و سائر المخلوقات :

خلق الله تعالى آدم خلقا مخالفا لكلّ مخلوقاته، و خصّه بدور يمتاز به عمّا سواه، ويهيئه للتّقدم نحو المستقبل. فالإنسان وجده كلّفه الله بتبليغ الرسائل السمّاوية و منحه القدرة على إحداث التطور في الطبيعة، وخلق الحضارة، و بناء المجتمعات ، وهذه ميزة نابعة من خاصيّة متفردة كرّم الله بها الإنسان و فضّله على كثير من خلقه لقوله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾** (الإسراء : 70).

و تكريم الإنسان و تفضيله على سائر المخلوقات أظهرته قصة خلق آدم و ما وقع فيها من أحداث. فقد بيّنت أنّ الكائن الجديد أدّى مقدمته إلى تغيير جدري في النسب بين الموجودات حتّى الملائكة[2]. يقول تعالى :**﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾** (البقرة : 33) و قوله أيضا: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ**

---

(1) الكيلاني ماجد عرسان: أهداف التربية الإسلامية – دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية و الأهداف المعاصرة – دار الثراث ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط 2 ، 1988 م، ص: 374.

(2) النجار عبد المجيد : خلافة الإنسان بين الوحي و العقل ، المرجع السابق ، ص : 40 .

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ (ص :من 71 إلى 74).

و من هنا نرى هاتين الآيتين قد أبانتا أنّ الله سبحانه و تعالى أخبر الملائكة بخلق آدم قبل إتمام الخلق ... ، ثمّ أصدر أمرا للملائكة ساعة إتمام خلقه أن يسجدوا له.

و قد علّق القاسمي على هذا السجود بقوله : "...أمرهم بالسجود على وجه التّحيّة و التّكرمة تعظيما له [الإنسان] ، و اعترافا بفضله، و اعتذارا عما قالوا فيه، [﴿ **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...**﴾ (البقرة : 30)] و هذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم عليه السلام، و هو سجود تعظيم، و تسليّة، و تحيّة ، لا سجود عبادة " [1] .

فسجود الملائكة لآدم و قد كانوا أشرف المخلوقات[2] و نيلهم بذلك الرّضى الإلهي وامتناع إبليس عن السجود و نيله بذلك اللّعنة و الخسران، إنّما هو رمز لتحول في قطبية المخلوقات لتكون في صالح هذا القادم الجديد[3] .

و لقد حرص القرآن الكريم على أن يبرز باستمرار ما يتميّز به الإنسان من قيمة رفيعة بمقتضى معنى الإنسانيّة فيه، و هو المعنى الذي عبّر عليه في الآية السابقة

---

[1] القاسمي محمد جمال الدين : محاسن التأويل ، مطبعة البابلي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، دط ،1376 هـ / 1957 م ج: 2 ، ص : 102 و101 .

[2] اختلف العلماء هل الملائكة أفضل من البشر ، أم البشر افضل ؟، فرأى بعضهم أن الملائكة أفضل من البشر ،و رأى بعضهم أنّ البشر أفضل من الملائكة ، و في رأيي أنّ التوقف عن الخوض في ذلك أولى ، و إن كنت أرجح تفضيل الملائكة على الإنسان لقوله تعالى : ﴿ **وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ (الأنعام :50) .

و لمزيد معرفة أراء العلماء في المسألة ينظر :

ـ الرازي فخر الدين :التفسير الكبير ، دار الكتاب العلمية ، طهران ، إيران ، ط2 د.ت ، ج:1 ، ص :125 و234.

و ـ الزحيلي وهبة : المرجع السابق ، ج :1 ، ص: 144 .

و ـ الأشقر عمر سليمان:عالم الملائكة الأبرار ،قصر الكتاب البليدة ، الجزائر، د.ط ،د.ت ،ص:83 وما بعدها .

[3] النجار عبد المجيد :المرجع السابق ،ص:40 .

(الإسراء : 70) بلفظ "كرّمنا" و هو تضعيف "كرم" أي جعلنا له كرما، و فضلا[1]، ثـــمّ زاد ذلك ببيان الفضل و تشديد "فضّلنا".

كما نجد الفكر العربي الإسلامي قد عني بمعنى الكرامة مشتقا من لفظ كرم.و الكـرم لغويّا ضد اللؤم، يكون في الرجل بنفسه و يسمّى كريما و هو الصفوح عن الذنب، الجـوّاد الكثير النفع بحيث لا يطلب منه شيء إلاّ أعطاه كالقرآن الكريم[2].

و نجد في القرآن الكريم خمسة و أربعين موضعا ورد فيها لفظ الكريـم و الكـرام والمكرم والمكرمين و الأكرم و ما يتصل بفعل أكرم و كرم بدون أن نجد لفظ الكرامـة[3]. ومنها قوله سبحانه وتعالى :﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَـاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِلاً...**﴾ (الإسراء : 70) ، وقوله أيضا : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُـمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات : 13).

و قد تباينت أراء المفسرين في إيضاح معنى الكرامة من أنصار التفسير اللغـــوي إلى أتباع التفسير المذهبي أو الصوفي، و نذكر منها ما يلي :

ـــ "و لقد كرّمنا" فضلنا بني آدم بالعلم و المنطق و اعتدال الخلق و غير ذلك،و منه طهارتهم بعد الموت"[4].

ـــ "و لقد كرّمنا" بني آدم بحسن الصورة و المـــزاج الأعـــدل، و اعتـــدال القامـــة والتميّز بالعقل و الإفهام بالنطق و الإشارة و التهدّي إلى الأسباب و المسببات العلويّة و السفليّة إلى ما يعود عليهم بالمنافع، إلى غير ذلك مما يعني الحصر دون إحصائه"[5].

---

(1) القاسمي :المرجع السابق ،ج17،ص:6201.

(2) أبوالبقاءالكفوي :الكليّات ،تحقيق :عدنان درويش ومحمد المصري ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ،دط ،1974م،ص:350.

(3) عبد الباقي محمد فؤاد :المرجع السابق ، مادة " كرم" .

(5)السيوطي جلال الدين و المحلي جلال الدين : تفسير الجلالين ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، 1986 مـــص : 280.

(5) البيضاوي ناصر الدين : أنوار التنزيل و أسرار التأويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر ، 1926،ص :407

ـــ و قد علّق الزمخشري على الآية بقوله : "و لقد كرّمنا بني آدم، قيل في تكرمة ابن آدم : كرّمه الله بالعقل و النطق و التمّييز و الخط و الصورة الحسنة و القامة المعتدلة و تدبير أمر المعاش و المعاد . و قيل بتسليطهم على ما في الأرض و تسخيره لهم"[1].

ـــ و يرى القرطبي أنّ : "(كرّمنا) تضعيف "كرم" جعلنا لهم كرما أي شرفا وفضلا و هذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال . و هذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة و حسن الصورة، و حملهم في البر و البحر مما لا يصلح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمّل بإرادته و قصده و تدبيره ، و تخصيصهم بما خصّهم به من المطاعم و المشارب و الملابس، و هذا لا يتّسع فيه حيوان اتسّاع بني آدم ، لأنّهم يكسبون المال خاصّة دون الحيوان، و يلبسون الثيّاب و يأكلون المركّبات من الأطعمة..."[2]

و يكفي أن نمعن النّظر في هذه اللّمحات من التّفاسير حتّى ندرك صلة الكرامة الإنسانيّة بموقع الإنسان في نشاطه الحضاري ، و قد فطن لذلك هؤلاء المفسّرون القدامى و أضرابهم و إن أهملوا زاوية القيم الإنسانيّة التّمدينيّة. فكرامة الإنسان عندهم ترجع إلى خصائص جماليّة و علميّة و سياسيّة و ... إنّه يتميّز بحسن الصّورة، و بالعلم، و المنطق، و اعتدال الخلق، و بالعقل و الإفهام و الإشارة و الخط و التهدّي إلى الأسباب و المسبّبات، ... و إلى تدبير أمر المعاش و المعاد و التسلّط على ما في الأرض،و تسخير سائر الخلق لهم، و حملهم في البرّ و البحر، و تفرّدهم بالشّرف و الفضل و بنفي النّقصان..."فالكرامة لا تكون إلاّ باجتناب الرذائل الذي هو أصل التقوى"[3].

بيد أنّ الفكر الإسلامي في الفترة المعاصرة يفهم الكرامة الإنسانيّة فهما جديدا ينتهي إلى ربطها بالقيم التّمدينيّة ربطا محكما. و في هذا نجد عبد الله دراز يشير إلى أنّ للإسلام رسالة عالميّة و إن كان قد جاء لتأليف أمّة إسلاميّة ناهضة ، فقد دعا إلى أخوّة عالميّة على أساس من التعارف ، ودعا إلى العلاقات القائمة على أسس من الحبّ و البرّ والعدل

---

[1] الزمخشري : المرجع السابق ، ج:2 ، ص : 368.

[2] القرطبي : المرجع السابق ، ج :10 ، ص : 293.

[3] ابن عربي محي الدين : تفسير القرآن الكريم ، تحقيق و تقديم : مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت ، لبنان ، ط3 1401 هـ / 1981 م ، ص : 130.

و الكرامة التّي يقرّرها الإسلام للشخصيّة الإنسانيّة ليست كرامة مفردة، و لكنّها مثلثة : كرامة عصمة و حماية. و كرامة عزّة و سيادة. و كرامة استحقاق و جدارة.

فهذه الكرامة التي كرّم الله بها الإنسانيّة هي الأساس الذّي تقوم عليه العلاقات بين بني آدم، و قد جعلها الإسلام درعا واقيا يدرأ به عن الإنسانيّة نزوات الطغاة والجبّارين... و لم يكتف الإسلام بأن عرّف كلّ فرد حقّه في هذه الإنسانيّة، و لكنّه أمر بأن يدافع عنه، و طفق يحرّضه أشدّ التحريض على أن يقاتل دونه، و أن يضحّي بنفسه في سبيله[1].

و صفوت القول ، إنّ النّظرة الإسلاميّة العربيّة[2] إلى الكرامة الإنسانيّة توضّح التقاء هذا المفهوم الإسلامي العربيّ بالمفهوم السّائد حاليّا عن معنى المدنيّة الإنسانيّة،والتّي أساسها قيمة الكرامة الإنسانيّة، و كرامة الأشخاص و الأمم و الدوّل. فهذه القيمة في الواقع تمثّل الأساس الحديث لمطالب الأخلاق و التّشريع القانوني الوضعي في ما يسمّى الحقوق المدنيّة و الحقوق الدّوليّة، و مختلف نماذج الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان والمواطن ، و حقوق الطّفل و المرأة، و حقوق الشّعوب في تقدير المصير... فالكرامة مطلب أمثل تودّ البشريّة أن توجّه إليه تاريخها الدّنيوي، و ترى أنّه غاية ما تتوخّاه الحضارات في مسيرتها بهدف أنسنة وجود الإنسان لتحقيق أكمل مصير جائز في هذه الدّنيا، ذلك المصير اللاّئق بكرامة البشريّة جمعاء . و لقد أصبحت للكرامة الإنسانيّة قيمة اجتماعيّة و ثقافيّة و أخلاقيّة تلازم الإنسان و تبيّن مدى تهذّب سلوكه نتيجة النّضال الأخلاقي و الانتقال من اعتماد القوّة و القسر و الإكراه و العنف إلى سبل الحوار والمناقشة، و الرّضى و التّعاون بالانتقال من الإرغام إلى الإقناع ، و من القهر إلى الاختيار، و من هنا نجد أنّ الإنسان يبقى مستمرّا في النّضال الموصول . ظاهرا و خفيّا لصوت الكرامة الإنسانيّة.

و يبدو أنّ ميزات تفضيل الإنسان وإعلاء شأنه بين سائر المخلوقات كثيرة ،ومنها :

ــ ما خصّ به تكوينه الذّاتي، حيث اجتمعت فيه العناصر التي تتأسّس منها سائر المخلوقات الكونيّة، و هي العناصر التّي ترجع إلى عنصرين رئيسيّين : عنصر ترابي ماديّ، و عنصر روحي عقلي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

---

[1] دراز محمد عبد الله : نظرات في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1958 ، ص : 95.

[2] العوا عادل : معالم الكرامة في الفكر العربي ، دار الفكر ،دمشق ، سوريا ، 1969 ، ص : 24 .

خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر: 28–29).

ــ إنّ الله تعالى خلق الإنسان على أحسن هيئة، و أكمل صورة، لهذا جاء القرآن الكريم ليبيّن حقيقة التّقويم الإنسانيّ فقال تعالى في معنى جامع :﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ (التين : 4).

كما أكّد القرآن هذا التّكريم في حسن الخلقة [1]، فقال تعالى :﴿... **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ...﴾ (غافر : 64)، لهذا قال وهبة الزّحيلي :"خلق [الله] الإنسان في أحسن صورة و أجمل شكل ، منتصب القامة ، سويّ الأعضاء ، حسن التّركيب، يأكل بيده ، يتميّز بالعلم و الفكر و الكلام و التّدبير و الحكمة ، فصلح بذلك أن يكون خليفة مستخلفا في الأرض كما أراد الله له " [2].

و ذكر الطّبري أنّ التّفضيل هو أن يأكل بيده، و سائر الحيوانات بالفم، و روي ذلك عن ابن عبّاس، و قال الضحّاك :"بالنّطق و التّمييز"، و قال عطاء :"كرّمهم بتعديل القامة و امتدادها". إلاّ أنّ الطّبري قال :"[التّفضيل] بتسليط الإنسان على سائر الخلق وتسخير سائر الخلق له" [3].

ــ إنّ أهمّ ميزة للإنسان يستحقّ بها التّفضيل على غيره هي العقل و الإدراك،و هو ما رجّحه القرطبي و بيّنه، فقال :" و الصّحيح الذّي يعوّل عليه أنّ التّفضيل إنّما كان بالعقل الذي هو عمدة التّكليف، و به يعرف الله، و يفهم كلامه، و يوصل إلى نعيمه وتصديق رسله...و إنّما التّكريم و التّفضيل بالعقل"[4] .

---

[1] القرضاوي يوسف : المرجع السابق، ص : 74.

[2] الزحيلي وهبة : المرجع السابق ،ج:30 ، ص:306.

[3] الطبري : المرجع السابق ، ج :15 ، ص: 125. و ج :30، ص: 242.

[4] القرطبي : المرجع السابق ، ج :10 ، ص : 294 .

كما فسّر ابن عاشور قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ."إنّ المراد بالتّقويم : تقويم العقل الذي هو مصدر العقائد الحقّة ، و الأعمال الصّالحة " [1].

و بهذه الميزة يكون الإنسان قادرا على الاستيعاب المعرفي للكائنات ، إذ هو مهيّأ بوسائله الإدراكيّة، لأن ينقل العالم الخارجي في مواصفاته الكميّة إلى عالمه الدّاخلي على سبيل التّصور، فيصبح هذا الكائن الصّغير حاملا في ذاته لذلك العالم الكبير، فتحصل له بذلك القيومية و الإشراف على سائر الكائنات،[2] ، و هذا يدلّ على أنّ في طبيعة الإنسان قوى إدراكية مختلفة الأنواع ، منها العقل و منها الحوّاس ، و منها البصيرة ؛ و كلّها تصله بموضوعات المعرفة ، سواء أكانت خارجيّة أم داخليّة ، ماديّة أم معنويّة ، و بها يكون إدراك حقائق تلك الموضوعات.

و ممّا سبق نخلص إلى أنّ كلّ الخصائص التّي ذكرناها مرتبطة بطريقة أو بأخرى بخاصيّة العقل و التّفكير، و هذه الخاصيّة ــ العقل ــ هي من مظاهر التّكريم الإلهي للإنسان. فبالعقل يدرك الأشياء و يميّز الأمور، و يتعرّف على حقيقتها ، و يطّلع على تركيب الموجودات و خصائصها ، و يكشف أسرار الكون ، و يعرف وظيفته نحو نفسه، و نحو مجتمعه، و نحو ربّه، و قدرته على القيام بالعمليّات العقليّة العليا،كما أنّه يمتاز بقدرته البيانيّة و اللّغويّة و الرمزيّة، باستخدام الرّموز المختلفة للتّعبير عمّا يجيش في نفسه وذهنه و من صور و أفكار و معان ،و من ثمّ يدرك أنّه ذو نزعة تساؤلية .

و لعلّ " زكي نجيب محمود " كان واضحا في إبراز هذه الخاصيّة بقوله :"إنّ أبرز ما يميّز الإنسان من النّاحيّة العقليّة هو أنّ إدراكه للعالم من حوله لا يقتصر على مجرّد انطباع حواسه بألوان و أصوات وما إليها ، بل هو إدراك لا بدّ له من شيء آخر وراء هذه المحسوسات لينظّمها و يرتّبها ويصل بينها بحيث تصبح معرفة علميّة معقولة..."[3].

---

[1] ابن عاشور محمد الطاهر : مقاصد الشريعة ، دار التوزيع و النشر ، تونس ، 1966 ، ص : 59 .

[2] النجار عبد المجيد : المرجع السابق ، ص : 41 .

[3] زكي نجيب محمود : فلسفة وفن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1963م، ص : 39 .

إنّ العقل منحة إلهيّة عظيمة، و هو أسمى شيء في الإنسان، و أبرز ميزة تميّزه وتفضّله على غيره، قال الحارث المحاسبي : " لكلّ شيء جوهر، و جوهر الإنسان عقله وجوهر العقل التّوفيق"[1]. و قال أيضا : "...ما تزيّن أحد بزينة كالعقل ، و لا لبس ثوبا أجمل من العلم، لأنّه ما عرف الله إلاّ بالعقل، و ما أطيع إلاّ بالعلم"[2].

و لقد اعتبر علماء الإسلام العقل أحد الضّروريات الخمس[3] التّي يقوم عليها أمر الدّين و الدّنيا في حياة النّاس ، لأنّ الله تعالى وهب الإنسان العقل و أعطاه ، كلّ ما يكفل سلامته و تنميّته بالعلم و المعرفة ، و حرّم كلّ ما يفسده أو يضعف قوّته، كشرب المسكرات و تناول المخدّرات ، و أوجب العقوبة الزّاجرة على من يتناول شيئا منها فضمن بذلك حفظ العقل الذّي يعدّ مناط التّكليف.

جـ – الإنسان و الكون :

من مقتضيات مكانة الإنسان في القرآن الكريم أن سخّر الله له ما في الكون وجعله تحت تصرّفه ، و مكّنه من استغلاله و استعماله و الانتفاع به ، لتحقيق مصالحه و رعاية أسباب حياته و رفاهيّته، و ليعرف جلال الله في عظمة ملكه ، و رحمته في لطيف تدبيره ، فقال عزّ شأنه :﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاهُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ (لقمان : 19). و قال أيضا :﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الجاثية : 12).

إنّ المتأمّل في هاتين الآيتين يدرك أنّهما تضمّنتا تقريرا لأبلغ وسائل التّعبير والبيان، بأنّ الله تعالى قد أخضع المظاهر الكونيّة المختلفة للإنسان أيّما إخضاع ،و ذلك في أمور كثيرة منها :

---

[1] المحاسبي الحارث بن أسد : رسالة المسترشدين، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، 1412 هـ ، ص : 23.

[2] المحاسبي : المرجع نفسه ، ص : 56 .

[3] الضروريات الخمس هي : " الدين ، النفس ، العقل ، النسل و المال " ينظر شرح هذه الضروريات بالتفصيل عند
ـ الزحيلي وهبة : أصول الفقه الإسلامي : دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1992 م،ج 2 ، ص : 1020 و ما بعدها .
و ـ البوطي محمد سعيد رمضان : ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ، مكتبة رحاب ،الجزائر د.ط ، د.ت، ص :107 و ما بعدها .

ـ السّماء المعلّقة في الفضاء بلا عمد، قال تعالى :﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...**﴾ (الرعد : 02) ؛ موزونة الحركة ، تدور أجرامها في مداراتهاالمرسومة لها ، و لا يصطدم فيها نجم بنجم ، و قد جعلها الله زينة و بهجة جمالا و في تناسب أشكالها و حسن أوضاعها [1]، فقال سبحانه و تعالى :

ـ ﴿ **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ**﴾ (الصفات : 06).

ـ ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ (الحجر : 16).

ـ ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾ (ق :06).

ـ ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾ (الملك : 06).

كما أنّ النّجوم في كبد السّماء مصابيح هداية للإنسان في متاهات البرّ و البحر، قال تعالى :﴿ **وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنعام : 98).

فالاهتداء بالنّجوم في ظلمات البرّ و البحر يحتاج إلى علم بمسالكها، و دورانها و مواقعها و مداراتها، كما يحتاج إلى قوم يعلمون دلالة هذا كلّه على الصّانع العزيز الحكيم[2].

و قد تردّد في القرآن الكريم آيات كثيرة ، عن تسخير الشّمس و القمر و النّجوم، منها قوله تعالى : ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأعراف : 54). و قوله كذلك :﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ (إبراهيم : 33). و قوله عزّ و جلّ : ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (النحل : 12). و قوله أيضا :﴿ **... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى...** ﴾(الرعد : 02).

---

[1] قنيبي حامذ صادق : الكون و الإنسان في التصور الإسلامي ،مكتبة الفلاح ،الكويت ،1400هـ/1980م، ص:104.

[2] قطب سيد : في ضلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط 15 ، 1408هـ/1988م ، ج:3 ، ص : 321.

فالشّمس و القمر سخّرهما الله تعالى للإنسان و جعله ينتفع بشعاعهما و نورهما وذلّلهما ، و جعلهما يسيران في حركة دائمة ، لإصلاح حياة الإنسان والنّبات وغيرهما.

و بهما تنتظم أمور المخلوقات الأرضيّة و تختلف الفصول و بهذا الحسبان انتفع بهما الإنسان في شؤون الزّراعات كمواعيد البذر و الحصاد ، و ما ينفع منهما في كلّ من الفصول ، كما يذكر المراغي[1] في تفسير قوله تعالى :﴿ **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ (الرّحمان : 05).

و الآيات الّتي تشير إلى تقدير الشّمس و القمر تقديرا كميّا خاضعا للقياس أو الحساب كثيرة في القرآن ، و حسبنا أن نشير هنا إلى قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (يونس : 05).

إنّ الله تعالى سخّر الأرض للإنسان و جعلها مقرّا له و مستقرّا ، ثمّ أمره بالمشي في أرجائها ، و السّعي في جنباتها ، فقال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ (الملك : 15). كما مهّد الله الأرض للإنسان ، و جعل ما فيها من الخيرات نعمة و رزقا ، و أرساها بالجبال ، و فجّر فيها الينابيع . و سلك له فيها سبلا و هيّأ له المنافع ، و أنبت فيها الزّروع و أخرج الثّمار، فقال تعالى : ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى(53)كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى**﴾ (طه : 53 ــ 54).

ونحن إذا تأملنا كلمة :" ذلولا " في قوله تعالى :﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ (الملك: 15)، " وهي صيغة مبالغة بمعنى مذلّلة نفهم كيف صورت الأرض ، وكأنّها مائدة وضعت بين يدي الإنسان بكل ما في باطنها من ذخر ،وبكل ماعلى ظاهرها من خير ليعمل فيها قدرته العضليّة ومواهبه الفكريّة ، وليستخرج منها كلّ ما يطمح إليه من أسباب السعادة والنفع " [2].

---

(1) المراغي : المرجع السابق ، ج:27 ، ص : 107.

(2) البوطي محمد سعيد رمضان :منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1982م،ص:98.

كما أنّ هناك آيات كثيرة تدل على تسخير الأرض ومافيها للإنسان ، فقد حفلت سورة الرحمان وحدها بمشاهد من النّعم الأرضيّة تدل دلالة لاتقبل الريب على أنّ الله تعالى جعل الأرض ومافيها من مظاهر النعم والمنافع مسخرة لمنفعة و خدمة الإنسان جاء في سورة الرحمان قول الله تعالى :﴿ **وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ(10)فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ(11)وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**﴾ (الرحمن:10 ــ11 ــ 12)، وقوله أيضا: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(19)بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ(20)فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(21)يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ(22)فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(23)وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ(24)فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(25)** ﴾(الرحمن:19ــ25).

وممّاتجدر الإشارة إليه أنّ مابين تسخير السمّاء والأرض للإنسان علاقة عطاء وتفضّل وتكامل[1] ، فالماء ينزل من السمّاء فيكون رحمة ونعمة تهتزّ له الأرض وتستجيب فإذا هي تربو، وتنبت من كلّ صنف ناضر بهيج ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأنعام :99).

وبهذا حبّب القرآن الكريم الماء إلى الإنسان وقارنه بالنّعمة والرزق والمنفعة والرحمة ،يقول تعالى : ﴿ **الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ(10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11)** ﴾ (النحل:10ــ11) ، فالماء ينزل منّ السماء وفق النواميس التّي تدبر حركاته ،وتنشأ نتائجها وفق إرادة الخالق وتدبيره .هذا الماء هو نعمة من نعم الله كونه شرابا لبني الإنسان وكونه سببا في الشّجر الذّي ترعى فيه دوابّه ،والذّي يجد فيه طعامه وفاكهته وكثيرا من حاجاته .

ومن هنا نرى أنّ القرآن الكريم قد وثّق الصلة بين الإنسان و نعمة الماء ، فراح يقرّبها إلى نفسه بالأوصاف الدّالة على المنفعة و الخير ، فالبحر بكل ما فيه نعمة و رحمة

---

[1] البهي الخولي : المرجع السابق ، ص:133.

و منفعة ، رحمة حين يحمل الإنسان من مكان إلى مكان بالفلك المواخر فيه كـــالأعلام ، ونعمة حين يجد فيه طعاما شهيّا و لحما طريّا ، وزينة و حلية من اللؤلـــؤ و المرجـــان وغيرهما من الأحجار الكريمة ؛ قال سبحانه و تعالى : ﴿**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِـــي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ (الإسراء :66) .

ثم راح القرآن الكريم يعرض للحسّ مظاهر تلك المنفعة في البحر ، فالفلك تجـــري فيه بما ينفع النّاس مسخّرة بأمر الله ، و قد جعل هذا التسخير منوطا بقدرة الله وحده فقـــال عزّ وجلّ :﴿ **اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُـــوا مِـــنْ فَضْلِـــهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (الجاثية:12).

ولقد علّق الزّمخشري على قوله تعالى : ﴿**... وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ...**﴾ بقوله: "وهذا بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ و المرجان واستخراج اللّحم الطرّيّ و غير ذلك من منافع البحر "[1]؛ فالبحر أحد عناصر الكون التّي سخّرها الله للإنسان ، فهداه إلى شيء من ســرّ تكوينه ، و مكّنه من الإنتفاع به كجريان السفن فيه ، و الإتجار بين الأقطار، و الغـــوص على الدّرّ ، و صيد الأسماك ،وغير ذلك من المنافع و المكاسب .

ـــ إنّ الله تعالى خلق اللّيل و النّهار ، و لم يجعلهما متنافرين مصارعين ، أو قوّتيـــن مهلكتين تتعاقبان على فناء الإنسان ، بل بيّن القرآن بجلاء أنّ هذا التّعاقب إنّما هو لمنفعة الإنسان و خيره في هذه الحياة فقال تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَـــا آيَـــةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَـــابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**﴾ (الإسراء :12).

فاللّيل و النّهار آيتان كونيتان كبيرتان تسيران بدقّة الناموس الكوني الذي لا يصيبـــه الخلل مرّة ، و لا يدركه التعطيل مرّة واحدة ، ...فاللّيل للراحة و السكون ، والنّهارللسّعي و الكسب و القيام ، و من المخالفة بين اللّيل و النّهار يعلم الإنسان عدد السنين ، و حساب المواعيد و الفصول و المعاملات .[2]

ومشهد اللّيل الساكن ، والنّهار المبصر ، خليقان أن يؤكدا تدبير خلق الله هذا الكـــون مناسبا لحياة الإنســـان ، لا مقاومـــا لـــها و لا حربـــا عليـــها و لا معارضـــا لوجودهـــا

---

[1] الزمخشري: المرجع السابق ، ج3 ، ص : 510.

[2] قطب سيّد : المرجع السابق ، ج 5 ، ص : 340.

أواستمرارها ، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس: 67) .

كما قرّب القرآن اللّيل من الإنسان حتّى جعله أقرب ما يكون إليه من ضروريات حياته ، فوصفه بأنّه " لباس " فقال الله تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان :47).

ـ إنّ الله تعالى خلق الأنعام و ملّكها الإنسان ، ثمّ ذلّلها له للركوب ، و الأكل والشرب و المنافع ، فقال عزّ و جلّ :﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(71)وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ(72)وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾ (يس :71-73) ، و قال الله سبحانه وتعالى في سورة النحل : ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5)وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ(6)وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(7)وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النّحل :5-8).

كما توجد سورة كاملة باسم الأنعام ، لبيان تسخيرها للإنسان ، فلإنسان في الأنعام دفء و منافع ، و له في قطعانها العادية و الرائحة جمال [1]،و هذه الأنعام كانت ومازالت حتّى في عصر الآلة و السرعة اليوم ، زينة محببة مشتهاة من قبل الإنسان .

و ممّا سبق نستطيع أن نخلص إلى مايلي :

ـ إنّ نظرة القرآن الكريم إلى الكون ـ كما يمكن استخلاصها من آياته ـ تجمع في كلّ متكامل بين عناصر كونيّة تلهب في النّفس الإنسانيّة طاقة إيمانية وإحساسا جماليا ،هما المقدمة الضرورية لضمان علاقة الصداقة والمودّة بين الإنسان والكون .

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الكون ونعم الله تعالى فيه ،أو الإنسان والمخلوقات جميعا ،يبرز منفعة الإنسان من هذه المشاهد الكونيّة وهذا ممّا يدفع ويوجّه فعاليّات النشاط الإنساني نحو استثمار موجودات الكون ،أو التعايش معها.

---

[1] الخطيب عبد الكريم : التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1967 ، ج: 14 ،ص: 280.

فمن حيث علاقة الإمكانات الكونية بتنمية القيم الإيمانيّة والإحساس الجمالي في النّفس الإنسانيّة نجد أنّ الكون في التّصور القرآني هو هذا الوجود الخارجي الذّي يدركه الإنسان ويوّجه إليه عقله وقلبه ،كما أنّه هذه السماوات والأرض، وهذه النّجوم والكواكب، وهذه الكائنات الحيّة ، وهذا اللّيل والنّهار ،والنّور والظّلام .

وحين يوّجه القرآن الإدراك الإنساني إلى هذا الكون كدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته وإرادته وهيمنته وتقديره ،فإنّه يوّجه إلى هذا الكون ذي الكينونة الواقعية والآثار الملموسة [1].

فالوجود الإلهي يملأ القلب الإنساني ، من خلال الرؤية القرآنية و المشاهدة الواقعية على السواء ، و يتّجه المنهج القرآني في الإشارة إلى معالم الوجود في الكون كلّه إلى الحديث عن مقتضياته كذلك في الضمير الإنساني و في الحياة الإنسانيّة .

وإنّ المتأمّل خلق الله في الكون سوف يصل في النّهاية إلى إدراك معنى الألوهيّة و يدرك عظمة الإسلام في رعايته للإنسان ، إنّه التّعبير عن تنميّة و إثراء القيم الإيمانيّة في النّفس الإنسانيّة [2].

وبتدبّر آيات القرآن الكريم في هذا المعنى ، يمكن استنباط عظمة البيان القرآني في مخاطبة الذات الإنسانيّة في الجمع بين التّأكيد على العنصر الإيماني في النّفس الإنسانيّة و النفع الإنساني ، بما يبرز علاقة التفضيل و التكريم و العطاء بين الخالق و الإنسان .

و القرآن الكريم يوجه الذات الإنسانيّة إلى تقدير حسن التدبير و النظام في الكون و يوجه القلب الإنساني إلى تلمس جمال الكون كلّه ، لأنّ إدراك جمال الوجود هو أقرب و أصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود [3] .

فحينما ينظر الإنسان إلى ما حوله في السّماء و الأرض يجد ما يمّتع نظره وقلبه ، و ما يغذّي روحه و عقله من روائع الجمال و الحسّ و الزّينة الباهرة ؛ فالجمال و الزّينة جواهر قائمة في تركيب كلّ شيء في الكون .

---

[1] ضميرية عثمان جمعه : التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ، دار الكلمة الطيبة ، القاهرة، مصر، ط 2، 1985م ، ص:17.

[2] ضميرية عثمان جمعة : المرجع نفسه ، ص : 19 .

[3] قنيبي حامد صادق : المرجع السابق ، ص : 103 .

و إنّ إدراك الجمال يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه ، وصولا إلى النّقطة التّي يتهيّأ فيها للحياة الخالدة في عالم طلق جميل ، بريء من شوائب العلم الأرضيّ والحياة الأرضيّة . و إنّ أسعد لحظات الإنسان هي اللّحظات التّي يلتمس فيها الإنسان جمال الإبداع الإلهيّ في الكون ، تهيّئ له أملا في جمال ما أعدّ الله له من نعم ، و التّعلّق بكمال و جمال الذّات الإلهيّة [1] .

ـ إنّ الإنسان كائن متميّز عن الكون بالتّكريم ، و عن سائر المخلوقات بما منحه الله عزّ و جلّ من حواس ناميّة و عقل يحلّل ما جمعته تلك الحواس ، و ينسّق بينها ويصنّفها ليسهل عليه حلّ ألغاز الكون وما جابهه من مشاكل وليدة الظّواهر الكونيّة، ثمّ استثمارذلك في جميع شؤون حياته . لذلك كانت صلة الإنسان بالكون شاملة لأمرين أساسيين وفق ما ورد في القرآن الكريم .

أ ـ صلة استثمار وتسخير و تذليل .

ب ـ صلة اعتبار وتأمّل و تفكّر و تدبّر .

" فهذا النسق العقائدي في صلة الإنسان بالكون : وحدة ورفعة وتسخيرا ينطوي على عناية إلهيّة بالإنسان تتمثل في إعداده ليتعامل مع الكون بما يحقّق وظيفة الخلافة التّي خلق من أجلها " [2] .

فالخلافة درجة وجوديّة عليا بين المخلوقات ، و مركز كونيّ متميّز اصطفى الله الإنسان من بين كلّ مخلوقاته للقيام به ، تكريما له ، كما أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم اعترافا بأحقيّته في الخلافة .

و قد شاء الله عزّ و جلّ بهذا الأمر ـ الخلافة ـ أن تحدّد رسالة الإنسان في هذا الكون و هي : الوفاء بمهام الاستخلاف ، ولقد سخّر الله موجودات الكون و أحكام النّواميس الكونيّة و الطّبيعيّة بحيث تلتقي غاية المخلوقات جميعا و أهدافها لتحقيق غاية الإنسان .

---

[1] قطب سيّد : المرجع السابق ، ج8 ، ص : 188و193 .

[2] النجار عبد المجيد : المرجع السابق ، ص : 43.

فقد سخّر الله سبحانه وتعالى للإنسان : الشّمس و القمر و النّجوم و البحار و الأنهار و النباتات و الأحياء ، و كلّ ما على الأرض من عناصر و كلّ ما تحت الثّرى من ثروات ، سخّر كلّ ذلك و جعله قابلا لتأثير الإنسان و فاعليّته ، بحيث يتمكّن الإنسان من تحقيق خلافته .

و الواقع أنّ الآيات الخاصّة بمسألة تسخير الكون للإنسان منبثّة في مواضع كثيرة من القرآن ، لكنّنا نقتصر هنا على آية جامعة عامّة ، تبيّن أنّ كلّ ما في الأرض خلق للإنسان ، قال الله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة : 29) .

يفسّر القاسميّ قوله تعالى ﴿ خَلَقَ لَكُمْ ﴾ " لأجلكم و لانتفاعكم ،... . ولا فرق بين الحيوانات و غيرها ، ممّا ينتفع به من غير ضرر ، و في التّأكيد بقوله تعالى ﴿ جَمِيعًا ﴾ أقوى دلالة على هذا ..." [1] .

و لقد وقف الإنسان ممّا سخّر له في الكون موقف النّاظر المتأمّل ، فكان الكون يبدو له منذ البداية مجموعة من الألغاز التّي تتطلّب الحلّ ، و بالتالي فإنّ العلاقة بين الإنسان و الكون ، قد اتّخذت منذ اللّحظة الأولى طابع التساؤل و الجدل .

و حسبنا أن نرجع إلى تاريخ الإنساني من وجهة الأنثروبولوجيا الثّقافيّة [2]، لنجد أنّ الإنسان قد أبى منذ أقدم العصور أن يقبل الواقع على ما هو عليه ، فلم يقنع في أيّة لحظة من اللحظات بالاستسلام لظواهر الكون و الاكتفاء بالخضوع لها ، و إنّما عرف

---

[1] القاسمي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص : 90 .

[2] للتوسع يمكن الرجوع إلى :

ـ فاروق اسماعيل : الأنثروبولوجية الثقافيّة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1984 ، ج 1، ص : 05 وما بعدها .

و لمعرفة خصائص الثقافة في تاريخ الإنسان ينظر :

-Palphl. Beals and Harry Harry,: Introduction To Anthropology , Fourth Edition, The Macmillan Company , . New-York 2nd primling,1972 , pp :574-599

– Stewart,E.W ,E Voling Life Sysles , MC Grawhill Book CO,New-.York 1973, pp : 111-220

تشمل هذه الصفحات بابا موسعا عنوانه " من الكاف إلى الفائض في مجال النمو الاقتصادي " و هو تحليل للمراحل التي قطعها المجتمع الإنساني بدءا بمرحلة الصيد و وصولا إلى مرحلة الثروة والطبقة .

عنه أنّه ــ في كلّ زمان ومكان ــ قد حاول أن يتحكّم في حياته ، و أن يبذل من الجهد ما لا يحصى في سبيل تغيير مجرى الظواهر الكونيّة و جعلها مسخرة له .

و من هنا يمكننا القول إنّ الإنسان البدائي لم يكن يملك من العلم و التكنولوجيا ما يستطيع أن يواجه به شتّى ظروف الحياة . و مع مرور الزمن لم يلبث أن تمكن رويدا رويدا من صنع بعض الآلات التي استعان بها على تحقيق بعض الغايات ، و بما أنّ مشروعات الإنسان في البداية كانت ساذجة ، بسيطة ، فإنّ ما صنعه من آلات كان بدائيا غليظا ، لأنّ علاقة الإنسان البدائي بالكون كانت لا تكاد تعدو الرعي والزرع والحرث والحصاد والصيّد و القتال .

أما اليوم فإنّ مشروعات الإنسان الحديث قد أصبحت متنوعة متعدّدة، و قد أضحت آلاته دقيقة محكمة ، لذلك أصبح يخترق جدار الصمت ، و يرسل الصواريخ عابرة القارات ، و يحاول جاهدا أن يحطّ قدميه على الكواكب الأخرى ، بعدما وضعهما على سطح القمر .

ثالثا : الاتجاهات الفلسفية حول طبيعة الإنسان .

قبل التطرق إلى طبيعة [1] الإنسان في القرآن الكريم ،يجدر بنّا أن نشير إلى بعض اتجاهات المدارس الفلسفيّة في ماهية الإنسان،بحيث نجد أنّ هذه المسألة أثارت جدلا كثيرا بين هذه المدارس،حتّى أدى ذلك إلى ظهور اتجاهات كبرى،ويمكن تلخيصها فيما يلي :

أ ــ الاتجاه الماديّ: يرى أنّ طبيعة الإنسان طبيعة ماديّة مركّبة من المواد الكيميائية المختلفة ، نشأة بسبب تطور المادة الحيّة الأوليّة [2].

---

[1] الطبيعة لغة : السجيّة التي جبل عليها الإنسان و طبع عليها سواء أصدرت عنها صفات نفسية أم خلقية أم خلقية أما الطبيعة في اصطلاح العلماء : فتطلق على معان منها : مبدأ أول لحركة ما هي فيه و سكونه بالذات لا بالعرض . للتوسع ينظر : التهانوي المولوي محمد أعلى بن علي : موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية (المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون) ، المكتبة الإسلامية ، منشورات شركة خياط ، بيروت ، لبنان ، 1966 ، ج4 ، 908-911.

[2] فليب فينكس : المرجع السابق ، ج2 ، ص : 199 .

و للتوسع في أراء هذا الاتجاه ينظر : الموسوعة الفلسفية ، لجنة من العلماء السوفيات ، ترجمة : سمير كرم ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان، ط 6 ، 1987 ، ص : 429 .

و بناء على هذا الاتجاه تكون الطبيعة الإنسانيّة طبيعة حيوانيّة ، و إذا كـــان هنـــاك فرق فهو في الدّرجة لا في النوع .

و لذلك يحاول أنصار هذا الاتجاه تفسير طبيعة الإنسان بالحيوانيّة ، و دراستها عـــن طريق الطبيعة الحيوانيّة باعتبارها أبسط من طبيعة الإنسان[1] . و لهذا السبب فإنّه يـــرون أنّ هناك اهتماما كليّا بالحاجات الحسيّة للإنسان ، و لم يعترفوا له بالحاجـــات الروحيّـــة ، كما اهتموا في تنظيمهم لحياة الإنسان و المجتمع بالناحيّة الماديّة فقط ، و أهملوا الجوانـــب الروحيّة تماما من هذه الحياة لأنّهم يعتبرون الإنسان مجرّد ظاهرة طبيعيّة ، و مجرّد كائن حيّ (بيولوجي) راق تطور عن الكائنات الحيّة التي هي أقل منه رتبة[2] .

كما أنّ هذا الاتجاه يدرس الأعقد عن طريق الأبسط ، و يفسّـــر الطبيعـــة المعقّـــدة بالطبيعة البسيطة من نوعها [3].

فالماديون ينظرون إلى الإنسان على أنّه جزء لا يتجزأ من الكون ، يخضـــع لنفـــس القوانين التي يخضع لها سائرة أجزائه التي يتناولها العلم بالدراسة و التحليل ، و من ثـــمّ فإنّ الإنسان يخضع للدراسة العلميّة و الوصف العلمي كأنّه عينّة معمليّة .

و قد علّق محمد الغزالي على الاتّجاه المادي حينما ردّ جسم الإنسان إلى العنـــاصر الأساسية فيه فقال : " إذا جئنا بإنسان زنته مائة و أربعون رطلا (70 كـــغ) ، و غلغلنـــا النظر في تكوينه وجدنا بدنه يحتوي على المواد الآتية:

- قدر من الدهن يكفي لصنع سبعة قطع أقلام رصاص .
- قدر من الفوسفور يكفي لصنع مائة وعشرين رأسا من عود ثقاب .
- قدر من ملح المغنزيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات .
- قدر من الحديد يمكن صنع مسمار متوسط الحجم منه .
- قدر من الجير يكفي لتبييض بيت للدجاج .
- قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن شعره.

---

[1] مقداد يالجن : فلسفة الحياة الروحيّة ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص : 19.

[2] جيمس روس : الأسس العمة لنظريات التربية ، ترجمة : صالح عبد العزيز ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دط ، دت ، ص : 69

[3] مقداد يالجن : المرجع نفسه ، ص : 20 .

- قدر من الماء يملأ برميلا سعته عشر جالونات [الزجاجات] .

و هده المواد تشترى من الأسواق بمبلغ من المال ...و تلك هي قيمة الإنسان الماديّة ".[1]

ب ــ الاتجاه الروحي: ينطلق من السيطرة المطلقة للروح على المادة ، و يرى أنّ الطّبيعة الإنسانيّة طبيعة روحيّة منفردة ، و ليست امتدادا أو استمرارا للطّبيعة الحيوانيّة بل ليست من نوع هذه الطبيعة الأرضيّة بوجه عام [2].

و بناء على ذلك يجب دراسة هذه الطبيعة مستقلة عن الدراسات الطبيعيّة الأخرى ولا يصلح تفسيرها على غرار الطبائع البسيطة الأخرى ، لأنّ دراستها انطلاقا من الطبائع الحيوانيّة تهدم جوهر الإنسان ، و تفقده حقيقته المتميّزة .

غير أنّه حيثما تطبق آراء هذا الاتجاه يفضي إلى تصور تأملي يهمل المشكلات الزمنيّة و طبيعة الإنسان الأرضيّة ، ليعنى أساسا بكمال الرّوح و نجاتها ، و هذا ما يجرّد الإنسان من بعض خصائص طبيعته ، و لذلك يقول أحمد عروة : " ... و لكن الزهد والعزوبة و العزلة الإرادية ، لا يمكن إلاّ أن تكون صفة لبعض النّاس الذين لا يستطيعون حتّى في أقصى حدود روحانيتهم أن يتخلوا عن الطبيعة الماديّة ، و لو في ما يتصل بالماء الذي يشربونه ، والهواء الذي يستنشقونه ، فلا القس المسيحي ، و لا الدّرويش الصوفيّ ، و لا الفقير الهنديّ ، و لا الراهب البوذيّ ، يستطيعون أن يمثل بالنسبة لجماهير النّاس توازنا ممكن التحقق أو مثالا يحتدى "[3] .

ج ــ الاتجاه الواقعي: أما الاتجاه الثالث و الأخير ، فينتهج منهجا متوسطا بين المنهجين السابقين في دراسة طبيعة الإنسان ، لأنّه يؤمن بالماديّة و الروحيّة على حد سواء ، و يهتم بالحياة الماديّة كما يهتم بالحياة الروحيّة ، كما يثبت دعائم الوحدة القائمة بين المادة و الرّوح [4] ، " فمن الحكمة إذن أن نجعل لعالم الرّوح نفس الموضوعية التّي

---

(1) الغزالي محمد : نظرات في القرآن ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، د.ط ، 1992 ، ص : 58 .

(2) فليب فينكس : المرجع السابق : ص : 704.

و للتوسع يراجع:ــ الموسوعة الفلسفية : المرجع السابق ، ص : 450 و ما بعدها .

(3) عروة أحمد : الإسلام في مفترق الطرق ، نقله عن الفرنسيّة : عثمان أمين ، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع الجزائر ، د.ط ،1981 ، ص : 49 و50 .

(4) للتوسع يراجع : الموسوعة الفلسفية : المرجع السابق ، ص :453 و ما بعدها .

لعالم المادة " ،كما يقول ألكسيس كارل[1]، أو كما يقول " بوبر Buber " :" إنّ كلّ إنسان يعيش في أنا المزدوجة " [2] .

فهذا الاتّجاه حاول أن يصل إلى تفسير علمي شامل يتطلب النظر إلى الإنسان على أنّه كائن حيّ يتميّز بقدرته على الحياة ... كما يتطلب النظر إليه من زاوية ،علم الأحياء وعلم الاجتماع و علم الإنسان و علم النّفس في آن واحد . و بذلك يمكن النظر إلى الطبيعة الإنسانيّة على أنّها طبيعة مرنة ديناميكية متغيرة إلى حدود لا نهائية ؛ كلما أتيحت لها فرص النمو .

و لهذا لا يمنع أصحاب هذا الاتجاه من ناحية دراسة الطبيعة المادية للإنسان على غرار دراسة الطبيعة الحيوانيّة الماديّة .

و من ناحية أخرى يرون وجوب دراسة الإنسان أو دراسة الجانب المعنوي ، الذّي يتميز به الإنسان عن الحيوان دراسة مستقلة خاصة .

و ممّا سبق عرضه لكلّ اتجاه عن طبيعة الإنسان ، يمكن القول : إنّ كلّ اتجاه فسر طبيعة الإنسان حسب ما يراه أصلا في الإنسان .

فالاتجاه الأول يؤكد بعدا واحدا للطبيعة الإنسانيّة ، وهو البعد الماديّ ؛ أمّا الاتجاه الثاني ، فيؤكد بعدا آخر كذلك ، وهو البعد الرّوحي ؛ أمّا الاتجاه الثالث ،فهو اتجاه وسط يجمع بين الاتجاهين السابقين ، فهو يؤكد البعدين معا لطبيعة الإنسان .

و لعلّ أقرب الاتجاهات إلى الحقيقة ، الاتجاه الأخير ، لأنّ طبيعة الإنسان لا تفهم فهما واضحا دون فهم حقيقة جميع الأبعاد المحدّدة أو المكونّة لها ، سواء أكانت ماديّة أم روحيّة ، أمّا الاقتصار على دراسة البعد المادي فقط ، و إهمال الأثر البعد الروحي

---

[1] ألكسيس كارل : تأملات في سلوك الإنسان ، ترجمة : محمد محمد القصاص ، مكتبة المعارف ، بيروت، لبنان د.ط ، 1980 ، ص : 39-40.

[2] Buber , Martin ,Iand Thou , With a Pastxript by the Autor Added , Translated by Ronald Gregor Smith , New York .. 1958.p : 65

في الإنسان ، فإنّه لا يعطينا صورة واضحة ودقيقة لطبيعة الإنسان ،وكذلك الشأن بالنسبة للبعد الروحي .

و بذلك يمكن النظر لطبيعة الإنسان نظرة كلية شاملة ، ـ خاصة في وقتنا الحاضر ـ كنتيجة لتقدم العلم و المنهج العلمي و البحث العلمي ، في عديد من المجالات التي كشفت جوانب كثيرة من هذه الطبيعة .

فلقد تغيرت المفاهيم عن الإنسان بفعل التطورات التي حدثت في ميدان العلوم الإنسانية الحديثة ، النّفسية و الاجتماعية ، و في مجال العلوم النظرية و التطبيقية ، كما هو الحال لعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) القديم و الحديث [1] .

و لذلك نجد الفكر الحديث ينظر للإنسان نظرة متكاملة لا يفصل فيه بين جسم وروح وعقل ، أو بين وجدان داخلي وتفاعل اجتماعي .[2]

لقد حاولت أن أحدّد في هذا الفصل ماهية الإنسان .و تحقيقا لهذا الغرض ، فقد اشتمل على ثلاثة محاور :

ـ مفهوم الإنسان .

ـ مكانة الإنسان في القرآن الكريم .

ـ الاتجاهات الفلسفية حول طبيعة الإنسان .

و قد تبين من عرض هذه المحاور ما يلي :

1. إنّ الخلاف اللّغوي في تعريف " الإنسان " لدى العلماء يرجع أساسا إلى أصل اشتقاق كلمة " الإنسان " ، و لذلك فكل رأي له حججه و تبريراته التّي تجله يحظى باحترام اللغويين .

---

[1] جوزي ماتوس مار : الأنثروبولوجيا في القرن الحادي و العشرين ، مقال بالمجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، المرجع السابق ، ص : 13 و ما بعدها .

[2] للتوسع ينظر : محمد السيد سلطان : مقدمة في التربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، 1993 م ، ص : 21 .

2. لقد أثار مفهوم " اصطلاح الإنسان " آراء وتصورات شتى بين الفلاسفة والعلماء ، و ذلك حسب تنوع نزعاتهم و اختلاف الجوانب التي يهتمون بها في طبيعة الإنسان و شخصيته .

3. إنّ الإنسان له مكانة رفيعة في ذاته بالميزان القرآني ، بحيث تنص الآيات القرآنية على أنّ الله سبحانه وتعالى جعله خليفة في الأرض ، و هذه المنزلة الخاصة به تحمله مسؤولية إعمار الأرض و حسن التصرف في الخليقة .كما تنص على تكريم الخالق للإنسان وتفضيله على الكثير من المخلوقات .

فالإنسان الذي حظي بنعم الله ، ومكّن من السيادة على موجودات الكون لكي يتيسر له الانتفاع بها ، عليه أن يكتشف قوانين الطبيعة و كنوزها و أن يستجلي جمالها وروعتها ودلالتها على وجود عظمة خالقها .

و هذا ما أشار إليه القرآن الكريم في آيات متنوعة بأنّ إعداد الأرض و تسخير الشّمس و القمر و النجوم ،و الظواهر الكونيّة كلّها ضرورية للحياة و الأحياء وخدمة الإنسان .

4 — إنّ الاتجاهات الفلسفية المختلفة حول طبيعة الإنسان لها تأثير في النظرة إلى الطبيعة الإنسانيّة وتفسيرها ، وفي منهج دارستها و يمكن أن نميّز ثلاثة اتجاهات .

— اتجاه مادي .

— اتجاه روحي .

— اتجاه واقعي .

و إذا كانت هذه المحاور محاولة للتّعرّف على ماهية الإنسان فإنّ أهمية البحث عن تحديد مكانة الإنسان في القرآن الكريم والاتجاهات الفلسفية حول طبيعته، التي في ضوئها يتبن لنا طبيعة الإنسان في القرآن ضرورة نرى أنّه لا مفر منها قبل التطرق إلى موضوع الفصل الثاني بعنوان : " طبيعة التكوين المادي في الإنسان "

الفصل الثاني

التكوين المادي في طبيعة الإنسان

أوّلا : خلق الإنسان .

1- عناصر خلق آدم

2- مراحل خلق الإنسان

3- نظرية التطور و خلق الإنسان .

ثانيا : البعد الجسمي في الطبيعة الماديّة لدى الإنسان.

1- اهتمام القرآن الكريم بجسم الإنسان .

2- الجسم و علاقته بالعبادات

أ - الصلاة

ب -الصوم .

3- أهمية النوم لجسم الإنسان .

4- جسم الإنسان و المرض .

لقد كان للإنسان وجود في العالم الإلهي قبل أن يصبح له وجود عيني ، و وجـــوده في علم الله كان يتضمن تفاصيل كيانه ، كما كان يتضمن المهمة التّي سيعهد إليه القيام بها في الكون ، و هو ما يشير إليه قول الله تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِـــي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْـــنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾(البقرة : 30) ، و قوله كذلك : ﴿**هَلْ أَتَى عَلَـــى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** ﴾.(الإنسان : 01) .

و لهذا الاعتبار فإنّ الإنسان سبقت ماهيته في العلم الإلهي وجوده العينـــي فـي الكون ، فليس ذلك الوجود العيني إلاّ تحقيقا لتلك الماهية فيما كوّن الله من طبيعة ، و فيمـا ينبغي أن ينجز الإنسان من مهمة الخلافة ؛ و الوجود العيني للإنسان كانت نقطة البدايـة فيه خلق آدم أبي البشر جميعا [1] .

و على هذا الأساس تثار للباحث عدة قضايا متعلّقة بقضية الخلق من بدايتها الأولى من مراحل خلق آدم ، و الأطوار التّي مرّ بها الإنسان حتّـــى أخـذ شـكله و روحـه ، وسنعرض لذلك فيما يلي :

أوّلا : خلق الإنسان :

ورد في القرآن الكريم بيان طبيعة خلق الإنسان و تكوينه في نصوص كثيرة ،و قـد عالج هذا البيان في مرحلتين :

إذ تتعلق المرحلة الأولى بفعل الله تعالى في المادة ،و جعلها مستعدة لفيضان الرّوح عليها، و هو المعروف بالتسويّة .

أما المرحلة الثانية فتتعلق بإيجاد الرّوح ، و إفاضتها على هـــذه المـــادة المسـوّاة لتصير بشرا سويّا ، و هو ما عبر عنه بنفخ الرّوح[2] .

---

[1] النجار عبد المجيد : خلافة الإنسان بين الوحي و العقل ، المرجع السابق، ص: 36-37

[2] الدسوقي فاروق أحمد : مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، المرجع السابق،ص : 71

و قد أشار القرآن الكريم ، إلى المرحلتين فقال الله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (ص: 71-72) ، و قال كذلك:﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (الحجر:28-29)، وقال أيضا :﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ (**السجدة** : 7-8-9) .

و سنحاول هنا شرح مرحلتي التسويّة ، و نفخ الرّوح ، مستعينين بما قاله العلماء و المفسرّون حول قضية خلق الإنسان :

المرحلة الأولى : ورد تفسير لفظ " سوّيته " في تفسير الرّازي بمعنيين [1].

أ ــ سوّيت شكله بالصورة الإنسانيّة و الخلقة البشريّة، فالإنسان في صورته وشكله في أحسن تقويم في صورة مستوية.

ب ــ سوّيت أجزاء بدنه باعتدال الطبائع ، و تسلسل الأمشاج ، وورد ما يشبه ذلك في " روح المعاني " للألّوسي ، حيث قال : " فعلت به ما يصير به مستويا معتدلا مستعدّا لفيضان الرّوح .[2]

كما عرّف الغزّالي لفظ " التسويّة" بقوله : " ..فالتسويّة هي العملية التّي تقع في المادة لتجعلها صالحة لتقبّل الرّوح ، و هذه المادة هي جوهر الصلصال بالنسبة إلى آدم ، الإنسان الأوّل ، و هي " النطفة " بالنسبة إلى ذرّيته ، فيما سوى عيسى " [3] و قد أشار القرآن الكريم إلى المراحل التّي مرّ بها خلق نسل آدم ،ــ فيما سوى عيسى عليه السلام ــ و بالتّالي أشار إلى كيفيّة التّسوية فيما يتعلق بنسل بني آدم ، في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِّنْ طِينٍ(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً**

---

[1] الرازي فخر الدين : التفسير الكبير ، المرجع السابق، ج 20 ، ص: 235

[2] الألوسي أبو الفضل : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، ط 4 ، 1985 ، ج: 16 ، ص: 100.

[3] الغزالي أبو حامد : المضمون الصغير ، على هامش كتاب " الإنسان الكامل للجيلاني " ، مطبعة الحجازي ، القاهرة ، مصر ، د. ط ، 1368هـ/1949 م ، ج : 2 ص: 89 .

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14) ﴾(المؤمنون : 12 - 13 - 14) .

أما بالنسبة لآدم فلم يفصل القرآن في كيفية تسويته ، كما أنّه لم يحدد زمنا لتلك التسويّة، فمرحلة التسويّة بالنّسبة لنسل آدم عليه السلام، جاءت مبيّنة في سورة المؤمنون(من الآية:12 إلى 14)، في مراحل متتاليّة هي: نطفة، علقة ، مضغة ، عظام، ... ثمّ تنتهي المراحل بأن تكسى العظام لحما،وإلى هنا تتماثل مراحل تكوين أجنّة الحيوانات ــ أي الثدييات ــ مع مراحل تكوين أجنّة بني آدم [1].

ثمّ بعد ذلك يقول عزّ و جلّ : ﴿... **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ... ﴾ (المؤمنون :14) ، فالله تعالى يشير إلى أنّه أنشأ من هذا المخلوق ، أو من هذا النّوع نوعا آخر يختلف عن النّوع الأوّل تماما .

فهذا المخلوق كان بشرا بالتسويّة ثمّ صار إنسانا ، فارتفع من مستوى البشريّة إلى مستوى الإنسانيّة الأفضل و الأكرم [2] ، و هذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين : 4) .

المرحلة الثانيّة : جاءت عمليّة التّسويّة بعد ذكر المادّة الأرضيّة الترابيّة في مراحل تغيّرها ، ثمّ أردفت المرحلة الأولى في تكوين الإنسان بمرحلة ثانيّة ، متمثّلة في نفخ الرّوح ، و قد أشار الله سبحانه و تعالى لها بقوله: ﴿...**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ...﴾ (الحجر: : 29 وص:72).

و بهذه المرحلة تمّ تكوين آدم ، فقد سوّى الله عزّ و جلّ مادته الأرضيّة ، و جعلها مستعدة لنفخ الرّوح فيها ، أي " إضافة عنصر الحياة في المادة القابلة لها " [3]. و تعدّ هذه آخر مرحلة في تكامل الكيان الإنساني ، " فالنفخ عبارة عن إشعال نور الرّوح في فتيلة النطفة " [4].

---

[1] الدسوقي فاروق أحمد : المرجع السابق ، ص: 71 .

[2] الدسوقي فاروق أحمد : المرجع نفسه ، ص: 72 .

[3] الزحيلي وهبة : التفسير المنير ، المرجع السابق ، ج : 14 ، ص: 29 .

[4] الغزالي أبو حامد : المضمون الصغير ، المرجع السابق ج:2 ، ص: 89.

فبعد أن خلق الله الإنسان من تراب ، و جعله سويّا مستقيما ، و قوّم أعضاءه وعدّلها ، و أتمّها ، نفخ فيه الرّوح التّي هي من أمر الله عزّ وجّل .

1- عناصر خالق آدم:

لقد أشرنا إلى أن الله تعالى خلق الإنسان من مادة و روح ، فبعد أن مرّ التراب بعدة أطوار من التكوين ، نفخ الله تعالى فيه من روحه فخلق آدم عليه السلام ، و قد ذكر القرآن هذه الأطوار مبيّنا كلّ طور تبيانا كافيا، و سنذكر ذلك هنا طورا طورا .

الطور الأوّل : طور التراب .

أشار القرآن إلى خلق آدم من تراب ، إشارة إلى المبدأ الأوّل ، و قد جاء ذلك واضحا في آي القرآن الكريم، قال الله تعالى :

- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران : 59).
- ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا ﴾ (الكهف : 37) .
- ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ... ﴾ (الحج : 05) .
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم : 20).
- ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (فاطر : 11)
- ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ... ﴾ (غافر : 67)

ففي هذه الآيات وصف لخلق الإنسان الأوّل ــ آدم عليه السلام ــ ، وهذا بالإشارة إلى إحدى مراحل تكوين الجانب الأرضي له ،وهو التراب.

فآدم مخلوق من تراب هذه الأرض ، و هذا الخلق هو الذّي يجعل له الخلافة عليها، إذ طبيعته من طبيعة هذه الأرض ، كما يدلّ هذا الخلق على العلاقة الوثيقة التّي تربط الإنسان ببيئته و بالكون المحيط به ، و أنّه جزء لا يتجزّأ منه ، و على ضرورة تفاعله المثمر مع العالم المحيط بجسمه وعقله وروحه ، بحيث يؤثّر فيه و يتأثر به ،وينتفع بما أودعه الله فيه من أسرار و منافع ، و يحافظ على ثرواته و موارده ليستفيد منها [1].

---

[1] الشيباني عمر التومي : المرجع السابق ، ص: 166 .

الطور الثاني : طور الطين.

بعد أن أشار القران الكريم إلى خلق آدم من تراب ، أشار إلى طور يمثل العلاقة بين التراب و الماء ، وهو الطين . وقد جاء ذكر"الطين " في القران الكريم بعدد عدة الشهور عند الله : ــ اثنا عشر ــ [1]. منها الآيات التالية: يقول الله تعالى :

ــ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً..** ﴾ (الأنعام:02)

ــ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ (الأعراف:12).

ــ ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾ (الإسراء :61)

ــ ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ**﴾ (السجدة:07).

ــ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ** ﴾ (ص: 71)

إنّ هذه الآيات قد أشارت إلى خلق آدم من طين ،إشارة إلى الجمع بين التراب والماء ، فبعد تقرير جزء من مراحل الخلق بالتراب تجيء مرحلة الطين .

هذا وتتابع الآيات القرآنيّة لتبيّن عن جانب من جوانب المعجزة في الخلق ، ــ مرحلة السلالة من الطين ــ يقول تعالى:﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ** ﴾ (المؤمنون:12) أي و لقد خلقنا آدم عليه السلام من صفوة طين لا كدر فيه[2] .

وبدراسة علميّة لورود هذا الطور"التراب " أو "الطين" في الآيات القرآنيّة يمكن القول إنّ كلمة "تراب" أو "طين" إشارة إلي جسم الإنسان في تكوينه العضوي كما يؤكد علم الكيمياء العضويّة ، فجسمه يتكون مما يتّكون منه تراب الأرض وصعيدها... فالإنسان بل جميع الكائنات الحيّة تتركب كيميائيامن عناصر أوليّة جمعها الخالق سبحانه وتعالى وركّبها في شكل مادة كيميائيّة معقدّة ،هي المادة الحيّة (البروتوبلازم)،التّي تتركب منها الخلايا والأنسجة الحيوانيّة والنباتيّة، وهذه المادة الحيويّة تتركب من عناصر الأوكسجين والأيدروجين والكربون والكبريت والفوسفور والكالسيوم والحديد و.... [3].

---

[1] عبد الباقي محمد فؤاد : المرجع السابق ، مادة " طين "

[2] المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي ، المرجع السابق ، ج:18 ، ص: 09

[3] المراغي أحمد مصطفى : المرجع نفسه ، ج :18 ، ص: 10 .

أمّا في منهج القرآن الكريم حين يكون الطين سلالة فإنّما يتعرض لحالات منها مثلا أن يكون طينا لا ترابا، كما في قوله تعالى :﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ**﴾ (الصافات : 11).

فقد اصطفى الله تعالى من الطين ــ و هو الخليط من التراب و الماء ــ سلالة من الطين ثمّ عولجت هذه السلالة حتّى جعلها الله ثابتة شديدة الثبوت سهلة و جرّاجة، ورخوة تلتصق و تتشكل و تلتزم في سهولة و يسر[1].

الطور الثالث : الحمأ المسنوم .

أشار القرآن الكريم إلى خلق آدم من صلصال من حمإ مسنون، إشارة إلى قوامه اليابس، و سماع صلصلة منه، و قد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ (الحجر : 26)،و قوله أيضا : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ (الحجر : 28) .

فبعد أن تحدّث الله سبحانه و تعالى عن خلق الإنسان من سلالة من طين ، يتحدّث عن علاج هذه السلالة بالنّار حتّى صارت كما قال تعالى :﴿**مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ .

و الحمأ هو الطين الذّي عولج بالحرارة حتّى تغير وَ تهيأ و نضج و استوى لغرض خاص و فوائد يصير إليها .

أمّا المسنون فهو جريان الشيء و اطراده في سهولة وإرساله ؛ و الحمأ المسنون من ذلك كأنّه صب صبا [2].

الطور الرابع : الصلصال الذي يشبه الفخّار.

في هذا الطور أشار الله تعالى إلى خلق الإنسان : من صلصال كالفخّار ، يقول الله تعالى :﴿ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** (14) **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ**﴾ (الرحمان: 14 ــ 15).

و أصل الصلصال كما قال الراغب:" تردد الصوت في الشيء اليابس ، أما الفخّار فأصله واحد يدل على العظم و القدم ، و منه الفخر و الفاخر ، و يعبّر عن كلّ نفيس

---

(1) صابر طعيمة : العقيدة و الفطرة في الإسلام ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1398 هـ/1987 م ، ص: 77 .

(2) الراغب الأصفهاني : المرجع السابق ، مادة ، " مسنون "

بالفاخر،و يسمّى الفخار لصوته إذا نقر عليه كأنّه تصور بصورة من يكثر التفاخر به" [1].

فبعد معالجة الحمأ المسنون بالنّار يصير صلصالا كالفخّار ؛ و هكذا الإنسان له شهوة الطعام و الشراب و التزاوج ، لتبقى بنيّته و تدوم حياته بالمادة الأرضية التّي اجتذبها النبات من الأرض ، و له قوة غضبيّة تورثه الشجاعة و القوة ، ليحافظ على بقائه و حياته ..." [2].

هذا بعض ما ذكره القرآن الكريم ، عن خلق آدم ، أو الإنسان الأوّل ، و الأطوار التّي مرّ بها في خلقه ، ذلك الإنسان الذّي أصبح أبا للبشريّة جمعاء ، فالذّي يتدبّر الآيات السابقة يجد كلمات مختلفة في خلق الإنسان باعتبار مراتب الخلق: التراب، الطين، الطين اللاّزب ، الحمأ المسنون ، الصلصال كالفخّار؛ فهذه الكلمات لا تعني أنواعا مختلفة من المواد الأصليّة التّي خلق منها آدم ، و إنّما هي تعني المراحل المختلفة التّي مرّت بها المادة الترابيّة ، التّي خلق منها آدم ، فالتّراب يتحول إلى طين باختلاطه بالمّاء ، ثمّ يتغيّر بفعل الهواء فيصبح حمأ مسنونا ، و عندما ييبس و يجفّ ، و يسمع له صوت صلصلة إذا قرع يصير صلصالا ، ثمّ يصل الطين إلى تمام جفافه ــ كما يحدث من تحويل الطين إلى فخار بفعل النّار ــ فيكون صلصالا كالفخّار [3].

كما أنّ هذه الأطوار لم تذكر في مقام قرآني واحد على أنّها درجات متتاليّة ، ــ لكلّ منها خصائصها المميّزة ــ، و إنّما ذكرت في صورة تراكيب مختلفة تشير إلى عنصر واحد هو المادة ،فهذه التراكيب تندرج كلها ضمن المادة الميّتة [4].

---

[1] الراغب الأصفهاني : المرجع السابق ، مادة " الفخر "

[2] المراغي أحمد مصطفى : المرجع السابق : ج:27، ص: 111 .

[3] للتوسع ينظر: الراغب الأصفهاني : تفصيل النشأتين و تحصيل السعادتين ، المرجع السابق ، ص: 72 و 74 .
و ــ شايف عكاشة : المرجع السابق ، ص: 117.
و ــ زعراط محمد : الإنسان في القرآن ــ مرحلة الخلق نموذجا ــ مقال بمجلة الحضارة الإسلامية ، المعهد الوطني للتعليم ، العالي للحضارة لإسلامية ، وهران ، العدد 4 ، شعبان 1419 هـ / نوفمبر 1998 ، ص: 151 .
ويراجع "الإنسان في القرآن" ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة لنفس المؤلف .

[4] الراغب الأصفهاني : المرجع السابق ، ص: 73 .

إنّ الآيات التّي ذكرناها آنفا تتناول خلق الإنسان الأوّل من عناصر الأرض؛و بقي أن نشير إلى نفخة الرّوح الإلهيّة، بعد تسويّة جسد آدم،كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (ص:71 — 72).

فالذّي نستطيع أن نتدبره من هذه الآية الكريمة،أنّ الله نبّه على خلق الإنسان الأوّل — آدم — وجعله بشرا سويا بنفخ الرّوح فيه؛ وقد سبق أن بيّنا أنّ التّسويّة في خلق آدم مرحلة بين الصلصال و نفخ الرّوح،أو بين الطّين الذّي صار صلصالا، و بين نفخ الرّوح أيضا...

و على هذا يمكن أن نفهم من قول الله تعالى:﴿... **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ** ...﴾ أن الله سبحانه و تعالى ألبس جسد آدم — الذّي صار من صلصال كالفخّار— ألبسه نفسا فدبّت فيه الحياة و الحركة و الاتجاه والتّوجه و إمكان أن يفعل ما يشاء[1].

و لكي تتضّح لدينا صورة أطوار خلق آدم أكثر نستعين بالمخطط التالي:

(الشكل رقم: 01) .

و ممّا نلاحظ على الشكل أنّ التّراب والطّين هما القوّة السفليّة ، و روح الله هي القوّة العلويّة. كما نلاحظ أنّ المرحلة الأولى بأطوارها الأربعة معلومة التّكوين، فالطين ينشأ من اختلاط التّراب بالمّاء،و الحمأ المّسنون هو الطين الذّي يتغيّر بفعل الهواء،أما الصلصال كالفخّار هو الطين الذّي وصل إلى إتمام جفافه كما يحدث من تحويل الطين إلى فخار بفعل النّار.

أمّا المرحلة الثانيّة المتمثلة بنفخ الرّوح الإلهيّة ، فإنّها سرّ إلهيّ الذّي يهب الحياة للمادة ، أو الذّي تحيا به المادة ، فهذه المرحلة غير معلومة التّكوين[2].

أمّا المرحلة الثالثة فيتم فيها خلق آدم عليه السلام بقدرة الله سبحانه و تعالى .

---

[1] صابر طعيمة : المرجع السابق ، ص: 79-80

[2] الشعراوي محمد متولي : معجزة القرآن ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ج: 1 ، ص : 215 و 216 .

المرحلة الثالثة

المرحلة الثانية

المرحلة الأولى

	خلق آدم
	نفخ الرّوح
الطور الرابع	الصلصال كالفخار (طين جاف + نار)
الطور الثالث	الحمأ المسنون (الطين + الهواء)
الطور الثاني	الطين (التراب + الماء)
الطور الأول	

كما ذكرها القرآن الكريم

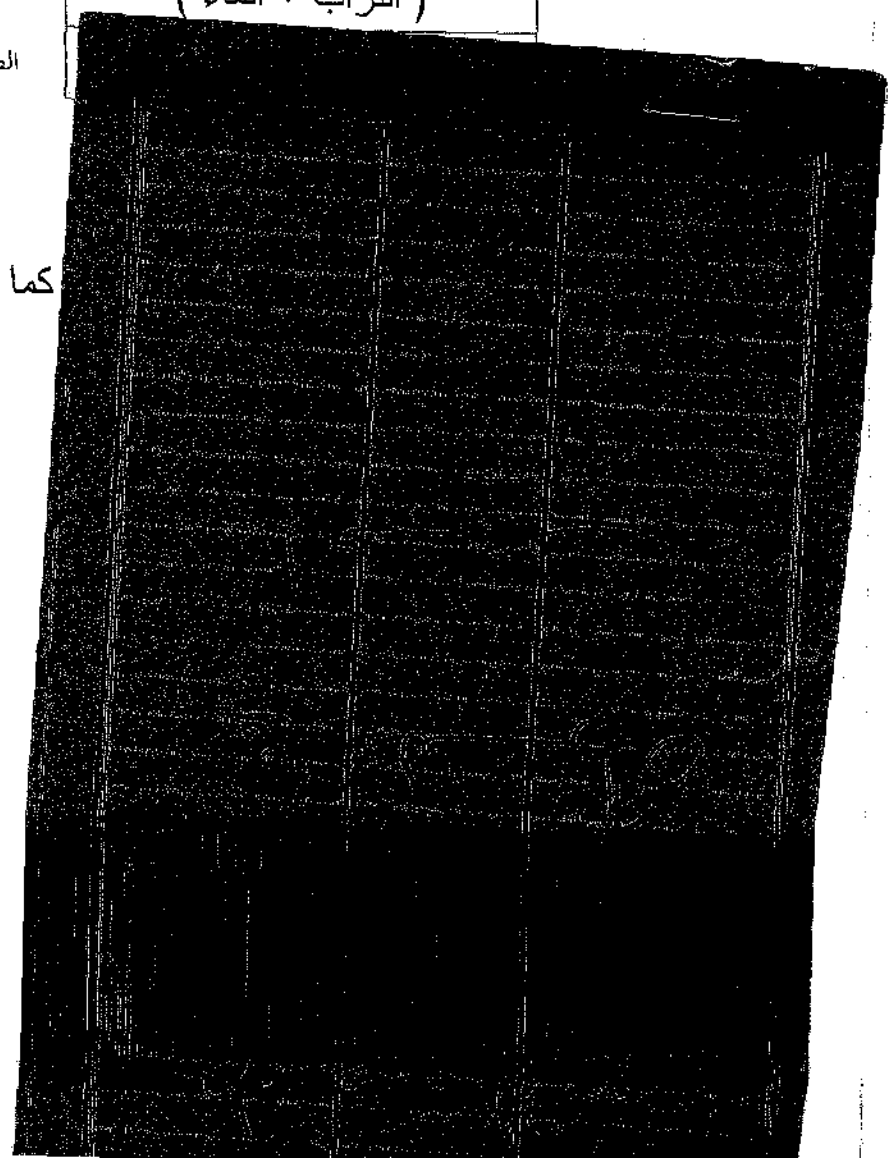

فالآية تتفق على أنّ النّاس جميعهم خلقوا من جنس واحد ، كما تفيد أنّ آدم قد خلق - أوّلا - ثمّ خلقت منه زوجه لتبدأ سنّة الازدواج تعمل عملها في الكائن البشري مع بدايّة الخلق[1].

و بهذا فالآيتان تضمنتا تقريرا لسنّة ثابتة مفادها أنّ عمليّة التخليق الخاصة بآدم ، غير عمليّة التخليق الخاصة بأبنائه . فآدم خلق من تراب ، ثمّ كان الخلق الأغلب المعتاد - وهو خلق النّاس - من الجنسين : الذكر و الأنثى ، و هذا بسبب التزاوج بينهما ، إذ يتركب الجنين في بطن الأنثى حينما تقوم إحدى الخلايا المنويّة للأب بتخصيب بويضة الأمّ الناضجة في الرّحم مكونّة بذلك ما يسمّى بالبذرة أو اللاّقحة ، و هي ما عبّر عنه القرآن "بالنّطفة " و بالنّطفة الأمشاج ، كما جاء في قول الله سبحانه و تعالى :﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ (الإنسان : 02) و قوله عزّ وجلّ: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ**﴾ (السجدة 87).

---

[1] يراجع : محمد عبده : تفسير المنار ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، د.ت ، ج:4 ، ص : 327 ، و ج: 9 ، ص : 517 .

و - ابن عاشور الطاهر : المرجع السابق ، ج:4 ، ص: 217 .

و - التومي محمد : المجتمع الإنساني في القرآني الكريم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2 ، 1990 م ، ص : 256 - 257 .

و هذه المرحلة سماها القرآن الكريم مرحلة النطفة[1]. وهذه إشارة إلـــى أنّ بدايـــة خلق الإنسان تبدأ بالماء الذي أشار إليه القرآن الكريم بالماء المهين ، قال الله تعالى :﴿ **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**﴾ (المرسلات: 20) وصفة المهين هنا الاحتقار[2].

---

[1] النطفة الأمشاج = الحيوان المنوي للرجل + بويضة المرأة .

ـــ **الحيوان المنوي** : ماء الرجل و ويبلغ طوله 60-70 ما يكرون (1 ما يكرون = 1000/1من ملم) ويتكون من رأس بيضوي الشكل بداخله نواة تحتوي على 23 صبغي (كروموزومات chromosomes) [22صبغي جسديّة Autosomal chromosomes+صبغي جنسي إما X أو Y sexe chromosome] . تحيط بها طبقة رقيقة من السيتوبلازم ، و تنغطى النواة جزئيا في الأمام بالجسم الطرفي الذّي يحتوي على انزيمات محللة لغشاء البيضة أثناء حادثة الإخصاب (الإلقاح) ، كما يمتد الرأس بمنطقة أقل اتساعا تسمّى القطعة المتوسطة تتجمع فيها الجسيمات الكوندرية ، التي تنتظم بشكل حلزوني ، ومن القطعة المتوسطة يمتد الذيل (طوله حوالي 50 مايكرون) المتميز إلى قطعة أساسية محاطة بغمد سيتوبلازمي و قطعة نهائية معراة (الشكل رقم :02)

ـــ **البويضة**: ماء المرأة يبلغ قطرها 0.2 ملم تحتوي نواتها على 23 صبغي (22 صبغي جسدية + صبغي جنسي من نوع جسدية X) ، محاطة بالطبقة الشفافة التّي تأوي الكرتين القطبيتين ، كما يحيط بالطبقة الشفافة الخلايا الجرابية مشكلة التاج المشع أو الشعاعي (coronaradiata) وقليل من الماء الأصفر.(الشكل رقم:03)

ـــ **النطفة الأمشاج** :هي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي الرجل ببويضة المرأة ، و هي البويضة الملقحة التّي تعتبربداية مرحلة خلق الإنسان وتبدأ تلك البويضة بالانقسامات الذاتية الداخلية في نفسها لتصبح في خلال أسبوع واحد أشبه بالكرة الجرتومة لا يزيد حجمها عن ربع مليمتر ، و يتّم هذا بعد أن تستقر الدفعة المنوية في مهبل المرأة ، التي تحمل ما يقارب ربع مليون من الحيوان المنوي ، و من بين هذا العدد الهائل يظفر حيوان واحد في العادة ليقوم بعملية الإخصاب لبويضة المرأة التي تكون آنذاك قد وصلت إلى قناة " فالوب " ، من رحم المرأة المخصبة ، ثمّ من بعدها إلى الرحم ، و بهذا تتمّ عمليّة الإخصاب ، و ينقطع دم الحيض بعد ذلك كأول علامة من علامات الحمل . (شكل رقم:04)

للتوسع ينظر :

ـــ بودر ربيع : معجزة التسعة أشهر ، دار الشهاب ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص : 12 و ما بعدها

و ـــ داود سلمان السعدي : أسرار خلق الإنسان ، العجائب في الصلب والترائب ، دار الحرف العربي، بيروت ، لبنان ، 1415 هـــ /1994 مـــ ، ص: 54 و ما بعدها .

و ـــ عدنان الشريف : من علم الطب القرآني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 36 و39 و51 .

و ـــ عبد الحميد دباب و أحمد قرقوز : المرجع السابق، ص : 80 و ما بعدها .

[2] للتوسع ينظر : ـــ الزمخشري : المرجع السابق ،ج:2، ص : 390

و ـــ الزحيلي وهبة : المرجع السابق ، ج: 11 ، ص : 188 .

و ـــ شايف عكاشة : المرجع السابق ، ص : 127 .

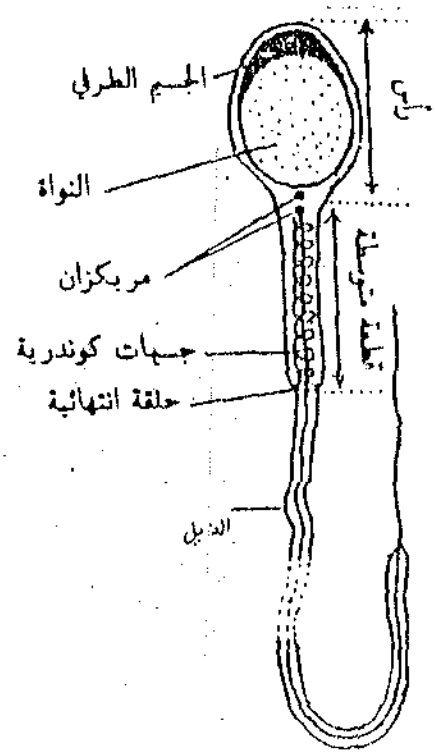

الشكل رقم : 02 . صورة تخطيطية لنطفة الذكر (الحيوان المنوي)

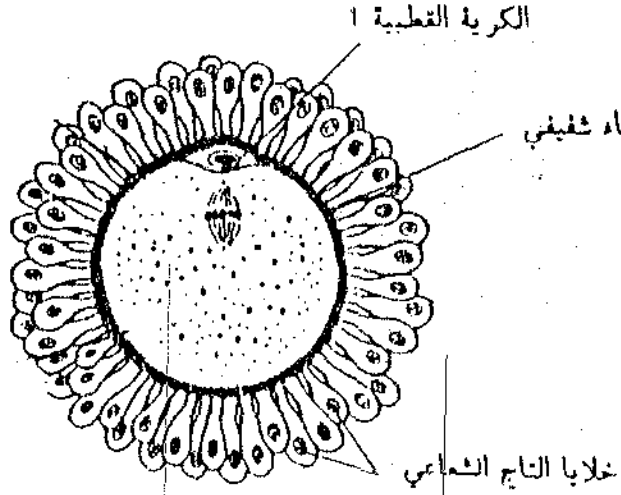

الشكل رقم : 03 مخطط لبييضة المرأة لحظة تحررها من المبيض

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾

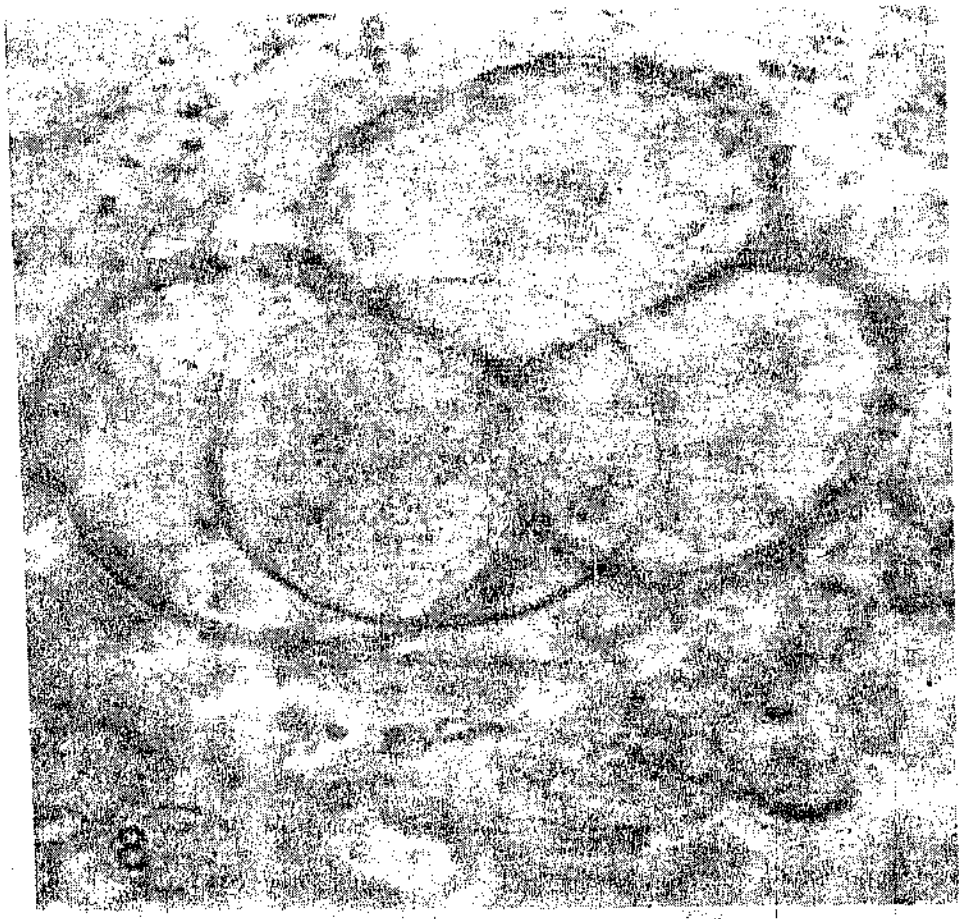

صور النطفة
(الأسبوع الأول من الحمل)

صورة حقيقية للنطفة : البويضة (في الوسط) محاطة بخلايا الطبقة الشفافة والتاج المشع ، بعد خمسين ساعة من تلقيحها بسلالة الرجل . وقد انقلقت البويضة إلى أربع خلايا . أما في آخر الحمل فيصبح تعدادها مئة ألف مليار خلية تقريباً

(الشكل رقم: 04)

كما بيّن القرآن الكريم مصدر خروج هذا الماء فقال تعالى :﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(6)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(7)إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**﴾ (الطارق : 8.7.6.5)، و بعد هذا تستقرّ النّطفة الملقّحة ، في مكان سمّاه القرآن الكريم "القرار المكين " ، وتسميه علم الأجنّة الرّحم " [1]، و هذا إشارة إلى بداية مراحل الحياة الجنينيّة التّي ذكرها القرآن الكريم في الآية التالية :﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(12)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ (المؤمنون 12 — 13 — 14)

عندما نتأمل هذه الآية يمكننا أن نفهم أنّ الطّور الأوّل من الحياة الأولى لخلق الإنسان ، يمرّ بخمسة مراحل ، يمكن تسميتها " طور ما قبل الولادة " و هي كالتالي [2]:

أ – مرحلة النطفة :

و في هذه المرحلة نجد أنّ النطفة الملقّحة (البويضة) تتحرك حتّى تصل و تستقر في قرار مكين ، في الرّحم.(الشكل رقم: 05)

---

[1] عدنان الشريف : المرجع السابق ، ص:39 .

[2] اعتمدنا في وصف مراحل نمو الجنين على :

- محمد علي البار : الوجيز في علم الأجنّة القرآني ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ،جدة السعودية ، د.ط ،1985م ص : 14و ما بعدها .

و— خلق الإنسان بين الطّب و القرآن ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ، جدة السعودية ، ط 6 ، 1986 ، ص : 191 و ما بعدها .

و— عبد الحميد دياب و أحمد قرقوز : المرجع السابق ، ص : 80 و ما بعدها.

و— داود سليمان السعيدي : المرجع السابق ، ص: 31-80 .

و— فؤاد البهي السيّد : الأسس النفسية للنّمو ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 4، 1975 ،ص : 90 و ما بعدها.

و— شايف عكاشة : المرجع السابق ، ص : 120 و ما بعدها

و— بوكاي موريس : التوراة والإنجيل و القرآن و العلم ، ترجمة: نخبة من العلماء ، دار الكندي ، بيروت ، لبنان ، 1978، ص : 34 و ما بعدها .

(الشكل رقم : 05) صور توضح تحرك النطفة الملقحة للوصول إلى الرحم

رسم تشريحي للجنين في طور العلقة (اليوم العاشر طوله $\frac{2}{10}$ ملم) يبين كيف أن الجنين بشكله الخارجي يشبه العلقة ويعيش كالعلقة في ماء التجويف الأمينوسي وينغلق بالرحم بواسطة شعيرات آكلة وماصة ؛ كما تتغلغل العلقة في الجلد لتمتص الدم

(الشكل رقم: 06)

ب- مرحلة العلقة [1] :

و العلقة هي المرحلة الثانية في خلق الجنين ، و تتكوّن من اليوم السابع من بدء الحمل ، و تنتهي في الأسبوع الثالث منه ، و خلالها يتعلّق الجنين بالطبقة الداخليّة للرّحم كي يتغذى من دم الأمّ مباشرة عن طريق الحبل السري ، ثمّ تبدأ الأغشيّة الجنينيّة في التّكوين ، فيكون الجنين في هذه المرحلة من حياته حتّى و لادته يعيش في محيط مائي وهو معلّق برحم أمّه بواسطة الحبل السرّي ، و العلق يعيش في المّاء ، و الجنين في طور العلقة يشبه في شكله الخارجي العلقة ، و هذا ما أجمله القرآن الكريم في قوله الله تعالى :﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ (العلق : 02) و قوله أيضا :﴿ **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(37)ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى**﴾ (القيامة : 37 ــ 38). (الشكل رقم:06).

ج- مرحلة المضغة :

تبدأ هذه المرحلة في نهاية الأسبوع الثالث من حياة الجنين ، و تنتهي في الأسبوع السابع من حياته ، حيث تظهر كتل جسميّة بدنيّة جهة رأس الجنين و تتكاثر تلك الكتل حتّى تبلغ حوالي أربعين زوجا ، فتعطيه شكل اللّحم الممضوغ ، و هذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى :﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**﴾ (المؤمنون : 13) ، و نجده يبيّن لنا أنّ هذه المضغة إمّا أن تكون مضغة مخلّقة أو مضغة غيرمخلّقة [2]،وهذا في قوله تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...** ﴾(الحج : 05).(الشكل رقم :07 أ ــ و07 ب)

---

[1] **العلقة لغة** : تقول علقت المرأة حبلت ، و العلق التشبث بالشيء .

ينظر : ــ الراغب الأصفهاني ، معجم معردات ألفاظ القرآن ، المرجع السابق ، مادة :" علق ".

[2] يذهب بعض العلماء إلى أنّ :" مخلّقه " تامة الخلق ، و" غير مخلّقة" السقط كما قال الفراء و قال ابن العربي ،" مخلّقه قد بدأ خلقها ، و غير مخلّقة " لم تتصور بعد ، و قال ابن رشد :" المخلّقة التي خلق فيها الرّأس و اليدان و الرجلان ، "و غير مخلّقة " التّي لم يخلق فيها شيء ، و قال ابن عباس (ض) :" المخلّقة " ما كان حيّا ، و غير مخلّقة السقط .

و نرى أن هذا خلاف في المعنى ، و كل المعاني الثلاثة لها واقعها في علم الأجنّة .

للتوسع يراجع : القرطبي ، المرجع السابق ، ج 11 ، ص : 6 و13 .

و ــ عدنان الشريف :المرجع السابق ، ص:53و55 .

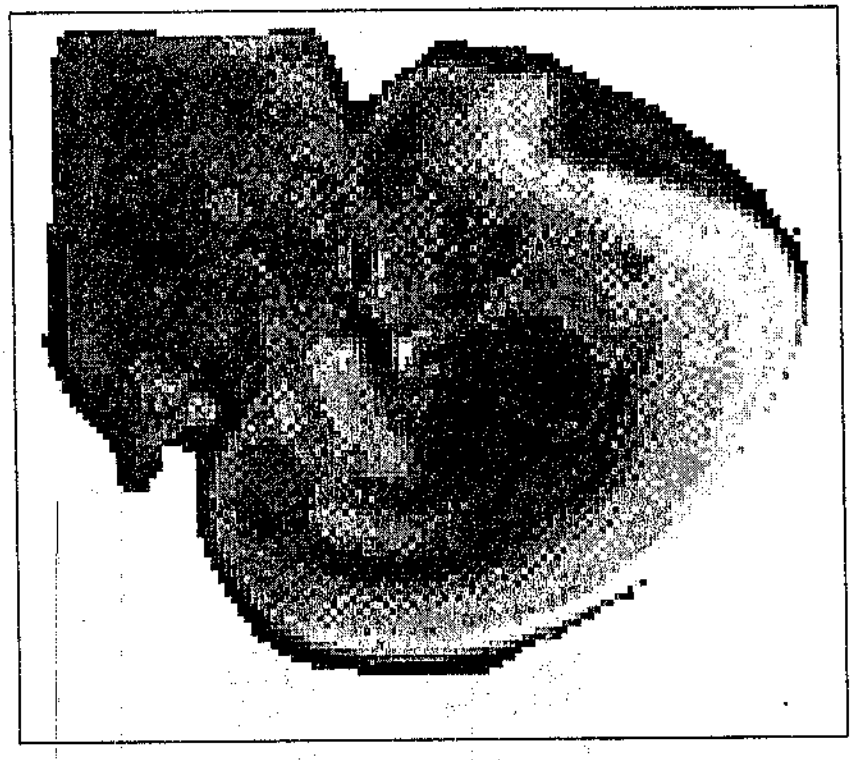

الشكل رقم : 07 أ

مرحلة المضغة

(بين الأسبوع الرابع إلى الأسبوع السابع من حياة الجنين)

﴿مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

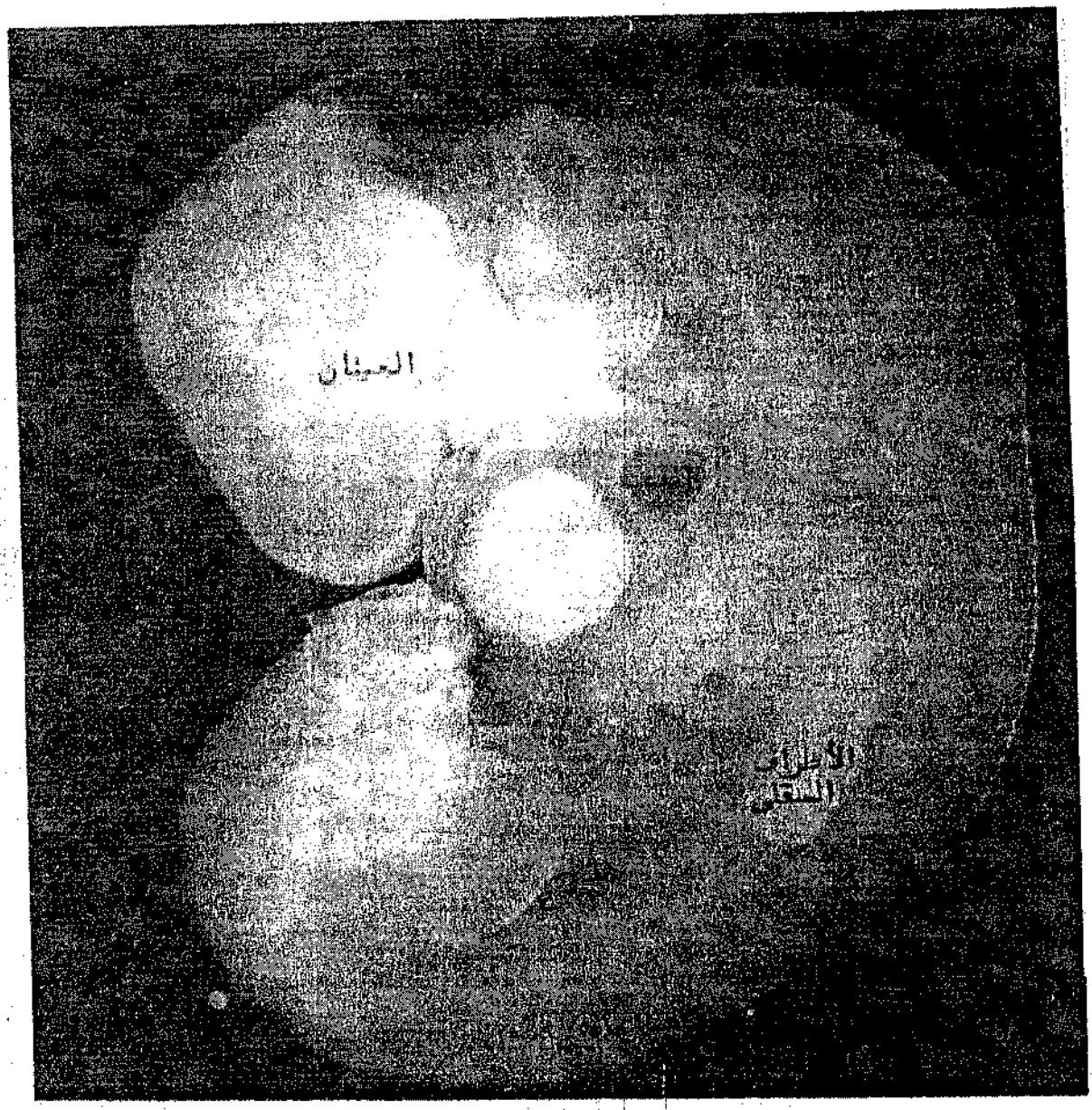

(الشكل رقم :07 ب)

جنين في الأسبوع الرابع ، في طور المضغة المخلقة و غير المخلقة : هناك أعضاء في الجنين يظهر تخلّقا جيدا كالعين و القلب و بداية الأطراف السفلى ، كما أن هناك أعضاء لم تخلق بعد.

د ــ مرحلة الهيكل العظمي :

تكون هذه المرحلة خلال الأسبوع السابع من الحمل ،حيث تتحول الكتل البدنيّة ــ التي أعطت الجنين شكل المضغة ــ من أنسجة غضروفية إلى أنسجة عظميّة ،لتشكّل العمود الفقري وبقية الهيكل العظمي ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقول الله تعالى:﴿... **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا...** ﴾(المؤمنون:14). (الشكل رقم:08) .

هـ ــ مرحلة التكوين العضلي اللحمي :

بيّن القرآن الكريم أنّ العظام في هذه المرحلة تكسى باللّحم لقوله تعالى: ﴿**...فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ...**﴾(المؤمنون:14) ، وهذه العمليّة تبدأ في الأسبوع الثامن من الحمل حيث يتحوّل القسم الباقي منّ الكتل البدنيّة إلى عضلات تكسو العمود الفقري ، وعظام الأطراف.

وبعد نهاية هذه المرحلة تبدأ الحركة في الجنين ،وهذا في نهاية الشهر الثالث، وبداية الشهر الرابع إذ يتمّ اتصال الجهاز العصبي بالأجهزة والعضلات ،وتبدأ نبضات القلب في بداية الشهر الرابع ،ويتم تكامل الشكل الخارجي للجنين . و لهذا يمكننا تسميتها مرحلة التسويّة. (الشكل رقم : 09) .

و إذا تدبرنا ما بيّنه علم الأجنة المقارن (Embroyologie Comparee) فإنّنا نجد أنّ مختلف الأجنّه عند الفقريات (Vertébrés) تمرّ في مرحلة معينّة من تطوّرها بأطوار يصعب خلالها على عالم الأجنّة أن يفرق بينها و بين الجنين الإنساني في الشكل ، حتّى الأسبوع السابع أو الثامن ، قبل أن يأخذ الجنين عند الإنسان شكله الذّي يميّزه عن بقيّة أجنّة الفقريات . و هنّا يكمن الإعجاز العلمي في قوله تعالى :﴿ ...**ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**... ﴾(المؤمنون : 14)، أي أنشأناه في خلق يختلف فيه عن بقيّة المخلوقات[1]. (الشكل رقم : 10)

و تكون التسويّة مع الوقت الذّي يرسل الله تعالى فيه الملك لينفخ فيه الرّوح ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى :﴿ **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ** ... ﴾ (السجدة : 9) و قوله أيضا :﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ (الحجر:29 و ص: 82) .

---

[1] البار محمد علي : الوجيز في علم الأجنّة القرآني ، المرجع السابق ، ص : 20

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً﴾

(الشكل رقم : 08)

طور العظام

صورة لعظام اليدين و الرجلين كما تظهر في الجنين خلال الأسبوع السابع من الحمل و قبل أن يكسوها اللحم .

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

(الشكل رقم : 09)

مرحلة الكسوة باللحم ، العضلات (الأسبوع الثامن من الحمل) .
جنين في الشهر الرابع من عمره طوله 16 سم، و قد بدت معالمه الإنسانية واضحة مما يسهل تفريقه عن أجنة بقية الفقريات .

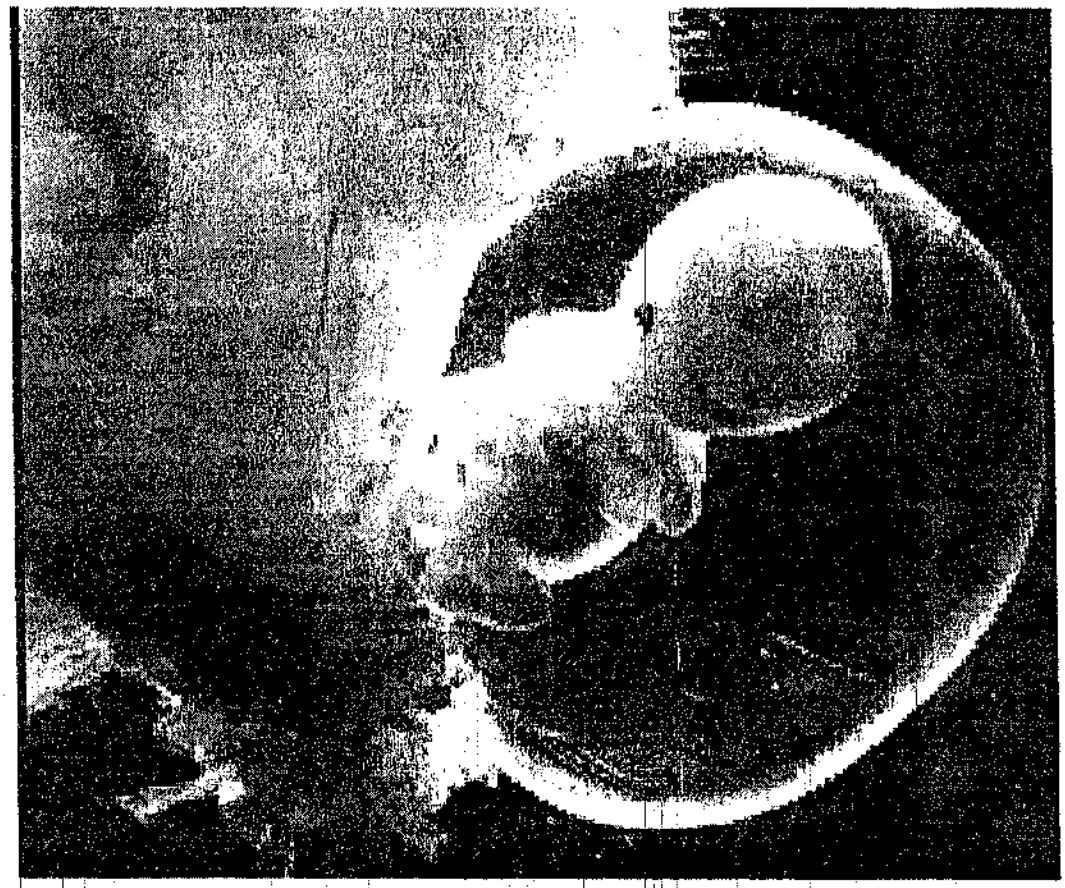

شكل الجنين في الشهر الثاني

شكل الجنين في الشهر الثالث

شكل الجنين في الشهر الرابع

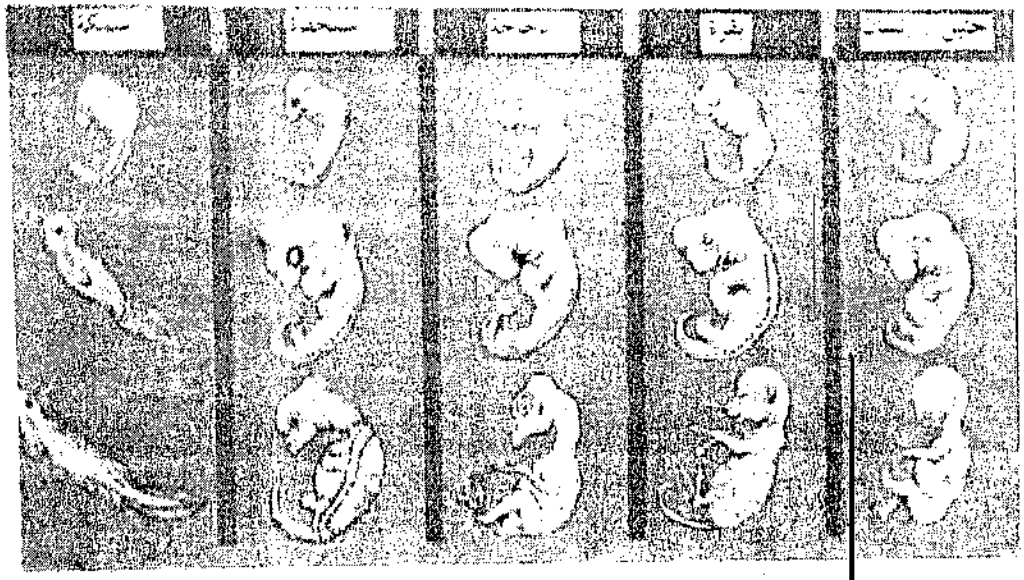

(الشكل رقم : 10)

تتماثل أجنّة الفقريّات في بعض أطوارها خلال تخلقها ، ثم تختلف بدءًا من مرحلة التسوية الخاصة بكلّ نوع . وقد اعتمد داروين وأنصاره في فرضيتهم في تطور المخلوقات هذا التماثل لتأييد نظريتهم. أليس من المنطق الصحيح القول بأن هذا التماثل خلال أطوار التخلّق هو دليل على وحدة الصانع ، المولى سبحانه وتعالى؟

شكل الجنين في الشهر الخامس

شكل الجنين في الشهر السادس

شكل الجنين في الشهر السابع

شكل الجنين في الشهر الثامن

ومما سبق يمكننا القول إنّ التّدرج في الخلقة ، و أطوار الإنسان ، ينشأ أوّلا من المادّة ، ثمّ تصبح هذه المادة ذات إفرازات حيّة ، يتمّ بها تكوين الجنين ، ثمّ تتحرك المادة بالرّوح التّي هي من الحق سبحانه و تعالى ، فيصبح خلقا جديدا سويّا في أحسن تقويم، كما أشار إلى ذلك القرآن في قوله تعالى :﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ (التين : 04)، و بيّنه الرّسول صلى الله عليه و سلم بقوله :" **إنّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمّه أَرْبَعينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمّ يَكُونُ عَلَقَةً مثْلَ ذَلكَ ثُمّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مثْلَ ذَلكَ، ثُمّ يُرْسل المَلَكُ فَيَنْفخُ فيه الرُّوح ...**" [1].

وفي هذه الفترة الأخيرة ــ نفخ الرّوح في الجنين ــ تستطيع الأمّ أن تحسّ بحركات الجنين بعد الشهر الرّابع ،حتّى يتكامل النّمو استعدادا للولادة في الشهر التّاسع .

وتعدّ الولادة فاتحة عهد جديد للحياة الإنسانيّة خارج الرّحم ،حيث يسير الكائن الإنساني في هذا الطور بمراحل كبرى ،ولقد أشار القرآن الكريم في آيات متفرقات إلى أهم تلك المراحل ،كما نجد في قوله تعالى :﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (غافر :67).

وهكذا نلاحظ أنّ القرآن يحدثنا عن ظاهرة التّطور الإحيائي (البيولوجي) الثّابت للنّوع الإنسانيّ ، إذ يكون الإنسان في بطن أمّه نطفة ، فيصير علقة ثمّ مضغة ، ثمّ يصبح عظاما ، و عندما يكسوها اللّحم يصبح الجنين جاهزا للميلاد [2] .

كما بيّن لنا القرآن المراحل التّطورية الحتميّة التّي يجتازها الإنسان بعد الولادة ، بحيث يكون في طفولته الأولى عاجزا عن مطالب غيره . و يمكننا أن نسمي هذا الطور ، " طور ما قبل التكليف " .

---

[1] رواه مسلم : أبو الحسن مسلم بن الحجاج مسلم القشيري : صحيح مسلم بشرح النواوي في أوّل كتاب القدر ج : 16 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1392هـ / 1972م ، ص:189.

[2] فؤاد البهي السيّد ، المرجع السابق ، ص: 93 .

و عندما تحل مرحلة البلوغ ، يلاحظ أنّه يطرأ على شخصيته تغير في الجانب البيولوجي و النّفسي ، و يستمر في هذا التطور التدريجي حتّى تكتمل شخصيته؛ و يأخذ التكامل في التباطؤ النسبي ، و يشرع الإنسان في فقدان حيويته ونشاطه و هذه المرحلة تمثلها الشيخوخة،و نستطيع أن نسمّي هذا الطّور" طور ما بعد التكليف " .

و لعل المنحنى (الشكل رقم :11) يجمع أطوار النمو الإنساني في الحياة الأولى . (من تلقيح البويضة إلى الوفاة).

و ممّا يلاحظ على المنحنى لهذا التّطور لأطوار النّمو الإنساني أنّنا ذكرنا الهيكل العام لهذه الأطوار، دون السمّات أو الخصائص العامة التّي وردت في القرآن الكريم لكلّ طور منها، و إن أشرنا إلى بعضها (بلوغ الحلم ــ بلوغ الأشد ــ أرذل العمر ...) أمّا التعاقب في هذه الأطوار ، نذكر قوله تعالى : ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا...**﴾ (الحج :05) .

3 ــ نظرية التطور و خلق الإنسان :

لقد دلّت آي القرآن على أنّ الإنسان قد خلق مستقلا و في أحسن صورة، و لم يكن الإنسان الحالي خلق بأيّ حال من الأحوال قبل ذلك، و لم يتّطور في سلم التّطور شيئا فشيئا،فيكون الإنسان بهذا المعنى ذا بداية زمنية واضحة المعلم ، و ليس له اكتمال مستمّر في صورة الحياة يتحقق في كلّ صورة جزء منه ، كما تقول المدرسة الداروينية [1]

---

[1] نسبة إلى تشارلز داروين : (1809-1882) عالم بيولوجي إنجليزي اشتهر بنظريته في تحول الأنواع و أصلها و طبق نظريته الآلية على التطور الذهني و الأخلاقي و الديني لدى الإنسان ، أهم آثاره " أصل الأنواع "

ينظر أراء المدرسة الداروينية ونقدها عند:

- العقاد عباس محمود : الإنسان في القرآن ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص:68 و123 ومابعدهما .
- قطب محمد : الإنسان بين المادية و الإسلام ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1985م، ص : 25 ومابعدها.
- حسان حقي :خلق لاتطور ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1403هـ/1983م ، ص:23 و51.
- منى فريد عبد الرحمان :التطور ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،د.ط ، د.ت ، ص:20 وما بعدها.

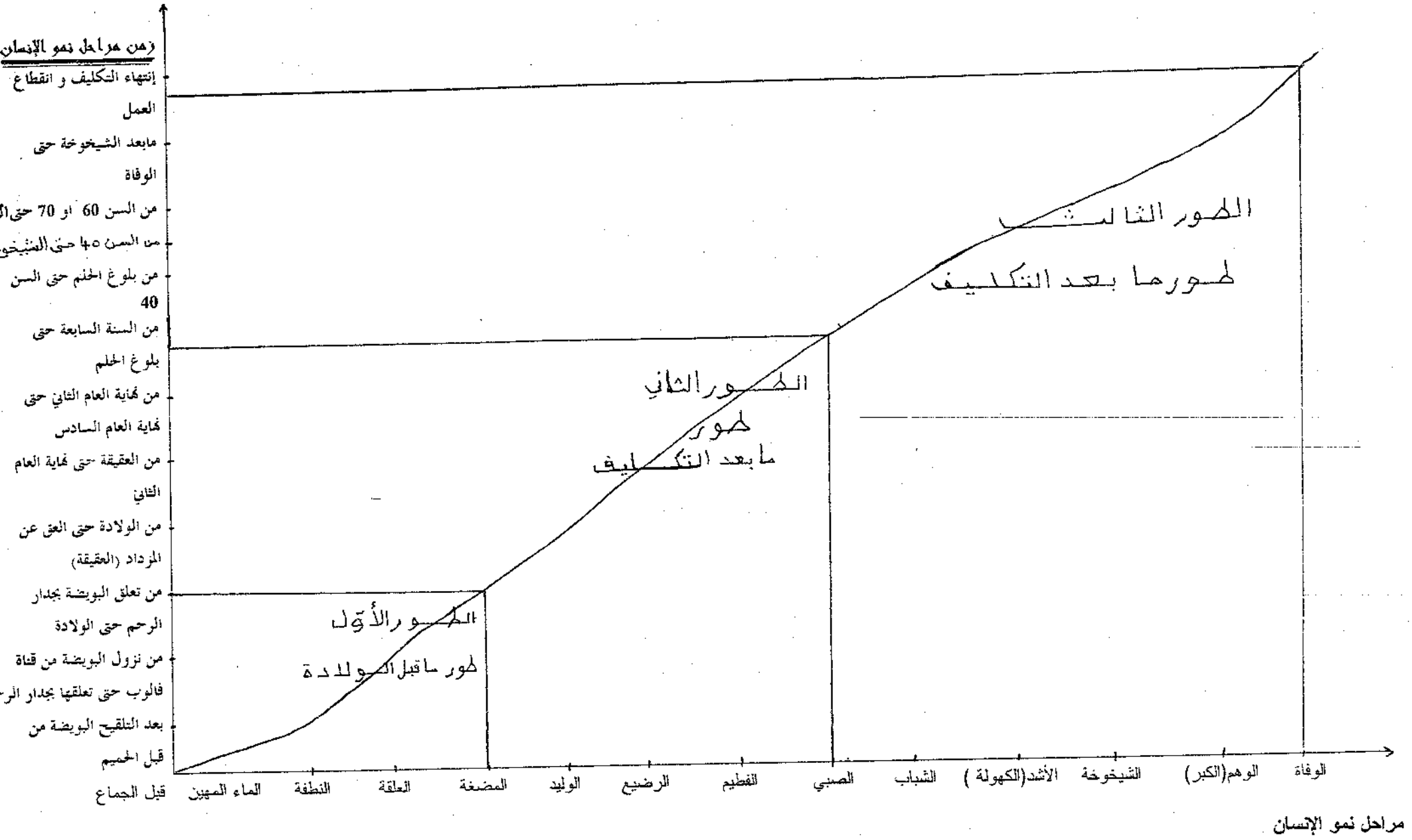

الشكل رقم 11 منحنى يوضح مراحل نمو الإنسان و زمنها .

فعمر الإنسان الحقيقي في نظر هذه المدرسة ،لا يعود إلى حياة الإنسان الأوّل ــ آدم عليه السلام ــ ولكنّه يعود بالدرجة الأولى إلى ظهور الخليّة الأولـــى فـــي علـــم الأحياء (البيولوجيا) التّي تسمّى "البروتوبلازم "، و التّي تعود إليها صور الحيـــاة ، و أنّ تطوره يعود إلى هذه الخليّة التّي مرّت بمراحل انتقالية عبر ملايين السنين حتّى أوجـــدت هذا الإنسان العاقل الذّي له علاقة مع القردة العليا التّي تعد من أسلافه .

و من هنا يتضح أنّ الإنسان خاضع في نشأته ــ حسب داروين و أتباعه ــ إلـــى نوع من الحيوانات السّابقة عليه ، و هذا يعني أنّه ليس له نشأة إنسانيّة خاصّة به ، أو أنّـــه نتاج التّطور البيولوجي من عالم الحيوان. كما أنّ الكائن العضوي في ترقّ مســـتمرّ مـــن الناحيّة البيولوجية .

و هذا لا يتفق مع الموقف القرآني في خلق الإنســـان ، إذ نجـــده يعـــارض آراء المدرسة الداروينيّة حول أصل الإنسان .

و لهذا وجهت لهذه النظرية ــ نظرية التطور ــ طعون رجّحت بطلانـــها ، ومـــن أهمها ما يلي:

ــ إنّ نظرية داروين ما هي في الواقع العلمي ألاّ فرض ، و الفرض ــ كما هـــو معلوم ــ مقدمة لبرهان ، أو فكرة مؤقتّة يقيمها العالم لتفسير مؤقـــت ، ليعلّـــل الحـــوادث والوقائع المتناثرة التّي لاحظها ، فإن أيّدته الملاحظة و التجربة يتحوّل هذا الفرض إلـــى قانون .

أمّا إذا كذّبته الملاحظة و التجربة الدّقيقة ، فالباحث يستبدله بغيره، حتّى يصل إلـــى فرض صحيح لتفسير الوقائع تفسيرا علميّا [1].

و من ثمّ فهذه النظرية ليست قانونا صادقا صحيحا ثبت بالتجربة المتكررة صدقه .

ــ تقول نظرية التّطور بأنّ الإنسان ، نتج عن تطوّر القرد ، غير أنّ العلماء الذّيـــن يؤمنون بنظريّة التطور يعتذرون عن تفسير النقلة النوعيّة و الكيفيّة في الخلق ، من حيـــث النواحي التشريحيّة و الوظيفيّة من القرد إلى الإنسان . و يسمي العلماء هذه النقلة الصّعبـــة

---

[1] بكير بن سعيد أعوشت : القرآن و مذهب داروين : دار البعث ، قسنطينة، الجزائر 1404 هـــ /1983م ، ص: 109.

التّفسير " بالحلقة المفقودة " [1] ، التّي زعم داروين أنّ الإنسان نشأ منها . و لكـــن كيـف يمكن أن ينشأ سيّد المخلوقات من حلقة مفقودة ؟!...

ـــ إنّ الحفريات الجيولوجيّة ليس فيها دليل على التحوّل في الأنواع ، بل هي دالّـــة فقط على التّعاقب ، الذّي ليس بالضرورة أن ينتج عنه التحوّل .

ـــ إنّ النظرية الجيولوجيّة المعاصرة قد أثبتت أنّ الدّيناصورات و حيوانات أخـرى كثيرة ، انقرضت من عالمنا الأرضي منذ ثلاثة و ستين مليون سـنّة [2]، نتيجـة لدخـول عوامل طبيعيّة خارجيّة .

كما أنّ بعض الحيوانات الأخرى حافظت على صفاتها دون أن يطـــرأ عليـها أيّ تغير تحوّلي .

ـــ لقد أثبت علم الوراثة أنّ الخصائص تنتقل بين الأجيال بنظام معقّد عن طريـــق المورّثات المبثوثة في كلّ خليّة من الجسم ، و هي أجسام صغيرة لا تختزن إلاّ الصفـات الأساسيّة فتبلغها من جيل إلى آخر ، أمّا ما يطرأ من خصائص عارضة كقطع عضو مثلا فهي غير ناقلة له و لو تمّ ذلك عبر أجيال كثيرة كالختان عند المسلمين واليهود . و هـــذا مناقض لما تقوم عليه نظرية التّطور لقولها بتوريث الخصائص المكتسبة الآيلة بـــالتدرج إلى أنواع جديدة ، كما يذكر عبد المجيد النجار [3] .

ـــ لقد بذل علماء الأنتروبولوجيا الطبيعية جهدا لتتبّـــع تطـوّر أســلاف الإنســان الحديث، منذ انفصاله عن الرئيسيات (Les primotes) ، و يظهر هذا جليّا من خلال الجـدول العام لتطور أسلاف الإنسان [4]، الذّي يبيّن أنّ هناك أنواعا معينّة تشبه الإنسان ، غير أنّنـا لا يمكن أن نقول إنّ الإنسان انحدر منها . و في هذا يقول "ووروكانج Wurukang" :

---

(1) بكير بن سعيد أوعشت : المرجع نفسه ، ص: 117

(2) حسان حقي : خلق لا تطور ، المرجع السابق ، ص: 51 و ما بعدها .

(3) النجار عبد المجيد : الإنسان في القرآن ، المرجع السابق ، العدد:3 ، ص: 43

(4) يراجع : عبد المحسن صالح : الجدول العام لتطور أسلاف الإنسان ، مقال بمجلة الدوحة ، وزارة الإعلام ، قطر ، العدد: 82، أكتوبر 1982م ، ص: 98

"انحدر و تطوّر إنسان العصر الحديث الذّي ينتشر حاليّا فوق قارات آسيا و إفريقيا وأوروبا [و أمريكا و باقي بقاع الأرض] ، من سلفه إنسان العصر القديم ، أو طلائع الإنسان العاقل " [1].

و انطلاقا من هذه الانتقادات التّي وجهت لنظرية التطوّر و التّي تعد جزءا يسيرا من انتقادات كثيرة[2]، يمكننا أن نقول :

إنّ هناك اختلافا و تباينا واضحا بين الإنسان و الحيوان، و هذا الأمر لا يكمن في المجال الفيزيولوجي فحسب ، بل يتعداه إلى مجالات أخرى ، كالمجال الفكري والاجتماعي و الأخلاقي ، فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذّي يوصف بالنطق و العقل ، وهذه الصفة لا توجد في الحيوانات العليا ، مهما بلغ تطورها الفيزيولوجي (الجسدي) .

هذا فيما يخصّ نظرية "داروين" و مآخذها . أمّا القرآن الكريم فقد أثبت أنّ الإنسان من ذرّية آدم ، و أنّ خلق الإنسان مرّ بمراحل أو أطوار ــ كما عرفنا سابقا ــ ، و بيّن أنّه مكرّم على جميع المخلوقات ، إذ يقول تعالى :﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ (الإسراء :70).

---

[1] وروكانج : علم الأنثروبولوجيا القديم و الجديد ، مقال بالمجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، اليونسكو، باريس ،فرنسا، العدد : 116 ، ماي 1988 م ، ص : 85 .

[2] للتوسع يراجع :

- بكير بن سعيد أعوشت : المرجع السابق ، ص : 100 و ما بعدها .

و- البوطي محمد سعيد رمضان : كبرى اليقينات الكونية،دار الفكر،دمشق ، سوريا، 1389هـ ، ص : 260 و ما بعدها

و – إحسان حقي : المرجع السابق ، ص:73 و ما بعدها.

و- وحيد الدين خان : الدين في مواجهة العلم ، ترجمة : ظفر الإسلام خان،مراجعة: عبد الحليم عويس ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط 3:1984م ، ص:10 و ما بعدها .

و- قطب محمد : المرجع السابق ، ص :25 و ما بعدها .

و- العقاد : المرجع السابق ، ص: 58 و ما بعدها .

و- منى فريد عبد الرحمان : المرجع السابق ، ص: 20 وما بعدها .

ثانيا : البعد الجسمي في الطبيعة المادية لدى الإنسان:

يتحدّث القرآن عن تسويّة جسم الإنسان كما جاء في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ...﴾ (الحجر: 29 ،و صٓ:72) ، ليعطي صورة واضحة لهذا الجسد تتناسب و وظيفة الإنسان في الحياة على هذه الأرض التّي استخلفه الله فيها ، و وضعه بين المخلوقات الأخرى التّي سخّرها له .

و يشير القرآن إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن: 03) . فالله سبحانه و تعالى أحسن أشكال بني آدم[1] .

و يستطرد القرآن في ذكر هذه التّسوية المتقنة لأعضاء الجسم في العديد من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (الأعلى: 02). و قوله كذلك : ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الإنفطار: 06 — 07 — 08)، و قوله أيضا:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين: 04).

فهذه الآيات تفيد أنّ الله قد خلق الإنسان في أحسن صورة و شكل،منتصب القامة وسويّ الأعضاء .

و من هنا نفهم أنّ الله تعالى خلق الإنسان مكرّما ، إذ يكفيه شرفا و تكريما أن سوّاه ، و جعل خلقه و أطوار تكوينه آية من آياته .

وإذا كان هذا هو وضع الجسم في التّصور القرآني ، و تلك هي نظرة الإسلام إليه و هي نظرة احترام و تقدير ، فما الذّي قدّمه القرآن لهذا الجسم من رعاية و عناية ؟.

للإجابة عن هذا التساؤل نذكر مايلي :

1 — اهتمام القرآن بجسم الإنسان :

يشير الجسم إلى التّكوين المادّي لطبيعة الإنسان ، و يدعو القرآن إلى العناية الشّاملة به ليأخذ الإنسان نصيبه من المتاع المادّي الذّي أنعم الله تعالى به عليه ، كما جاء

---

[1] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مطبعة صاحب المنار ، القاهرة ، مصر ،1348هـ، ج:8، ص:376.

في الآية الكريمة :﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(القصص:77) فابتغاء الآخرة يكون بتزكية النفس ، و النصيب من الدنيا بتمتيع الجسم بمطالبه المادية.

و يكاد فقهاء المسلمين يتّفقون حول ما قاله أبو حامد الغزالي (ت :505 هـ)بأنّ "مقصود الشرع من الخلق خمسة : أن يحفظ عليهم دينهم و نفسهم و عقلهم و نسلهم ومالهم ، فكلّ ما يتضمّن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، و كلّ ما يفوّت هذه الأصول فهو مفسدة و دفعها مصلحة" [1]. و هذه الأصول الخمسة يسمّيها العلماء الضروريات الخمس[2]؛ كما أنّ الجسم منتم إليها ، فكلّ ما يحفظه منفعة ،و كلّ ما يضره مفسدة يجب دفعها ، و للمحافظة عليه أباح الله تعالى الطعام و الشراب و المسكن ، وارتداء اللّباس ، ممّا يتوقّف عليه بقاء الحياة ، و فرض العقوبة على قاتل النّفس من قصاص و ديّة ،و كفّارة .

و في القرآن الكريم آيات صريحة واضحة تؤكّد أنّ الله تعالى لم يحرّم على الإنسان التمتع و الانتفاع بما خلق في السماوات و الأرض ، و لا يجوز لأحد أن يحرم جسده من ملذّات الحياة و طيباتها التّي أباحها الشرع ، و يذيقه ألوان القهر و الحرمان حتّى و لو كان ذلك بدعوى التقرّب إلى الله كما يزعم كثير من الصوفيّة .

و مما يؤكد ذلك قوله تعالى:﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(31)قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: 31 ــ 32) ، وقوله تعالى :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(87)وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(المائدة 87 ــ 88) ، و قوله أيضا: ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾(سبأ: 15).

---

[1] الغزالي أبو حامد : المستصفى في علم الأصول ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، مصر ، 1322هـ،ج:1، ص:278.

[2] للتوسع يراجع : الشاطبي : الموافقات ، المرجع السابق ، ج:2، ص:12

وــ الزحيلي وهبة : أصول الفقه الإسلامي ، المرجع السابق ، ج:2 ، ص: 1020.

وــ البوطي محمد سعيد رمضان : ضوابط المصلحة ، المرجع السابق ، ص: 110.

ففي هذه الآيات دعوة صريحة للتمتع بالطيبات و الابتعاد عن المحرمات و الخبائث.

كما نجد السنّة النبويّة كذلك تؤكّد على حقوق الجسم و حظّه من العناية و الرّعاية ، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص (ض) يريد بصومه ، السموّ الرّوحي و تزكية النّفس و تقواها ، و لكنّه يبالغ في ذلك حتّى حرم جسده من حاجاته ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه و سلم : " **فَإنَّ بِحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ منْ كُلّ شَهْر ثَلاَثَةَ أيَّام** " فيقول : "**يَـانَبيَ الله : إنّي أُطيقُ أفْضَلَ منْ ذَلكَ** "، **فَيَقُولُ الرَّسُولُ صَلَى الله عَلَيْه وَ سَلَم : "فَإنَّ لزَوْجكَ حَقًّا ، وَ لزُوَارِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَ لجَسَدكَ عَلَيْكَ حَقًّا ...**" [1].

و هذا عقبة بن عامر يقول : " **قلت : يا رسول الله : إنَّ أُخْتي نَـذَرَتْ أنْ تَمْشـي إلَى الْبَيْت [مكة المكرمة] حَافيَةً غَيْرَ مُخْتَمرَة، فَيَرُدُّ عليه الرسول صلى الله عليه و سلم : "إنَّ الله لاَ يَصْنَعُ بِشَقَاء أُخْتكَ شَيْئًا لتَحُجَّ رَاكبَةً، وَلتُكَفّرَ يَمينَهَا** " [2].

و تأتي أهميّة الجسد من أنّه يكتسب فعاليته و يتحدّد دوره باتصاله و تلاحمه مع الأجهزة الأخرى المكوّنة للإنسان ، فالجسد هو الأداة التّي عن طريقها تترجم الذات الإنسانيّة أعمالها . و تتضح أهميّة ذلك جيّدا إذا ما عرفنا أنّ النشاط الإنساني في عمومه عبادة لوجه الله تعالى [3].

ومن ثمّ فإنّ الجسد الإنساني ليس مقصودا به مجرد أجزائه الماديّة المحسوسة فحسب ، بل يشمل أيضا الطاقة الحيويّة المنبثقة منه . و أنّ هناك ارتباطا وثيقا بين الجسد و النّفس و العقل و الرّوح ، فالجسد يؤدّي وظيفته في تكامل و تناسق مع هذه القوى ، و هذا ما نلاحظه حين يخاطب القرآن الإنسان ، فهو يخاطبه في صورته المتكاملة ، و قد جاء ذلك ــ غالبا ــ في صورة نداء أو استفهام يدعو إلى التأمّل و التدبر و توجيه السلوك والتّبصر بالغايّة ، كقوله سبحانه وتعالى :﴿**هلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ...**﴾ (الإنسان: 01)
و قوله ايضا : ﴿**يَاأَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ (الإنفطار: 07) .

---

[1] رواه مسلم : المرجع السابق ، ج:8،ص: 41.

[2] رواه البخاري : المرجع السابق ، ج: 3 ، ص: 55 .

[3] أبو العينين علي خليل : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، مكتبة الحلبي ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط 3 ، 1988 مـ ، ص : 147-148 .

2 ــ الجسم و علاقته بالعبادات :

إنّ نظرة القرآن الكريم إلى الجسم ، من حيث التركيب الجسمي و البنيّة العضليّة ، تؤول في النهايّة إلى طاقة حيويّة مجتمعة و متحرّكة لغاية نفسيّة مرتبطة بها ، و حواس الجسم لا تؤدّي وظيفتها منفصلة عن الكيان النفسي كلّه .

و من ثمّ فإنّ اهتمام القرآن بالجسم هو اهتمام بالغايات النفسيّة المرتّبطة به ، بما يساعد على توفير الطاقة الحيويّة اللازمة لتحقيق أهداف الحياة ، يقول الله تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات : 56) ، و هذه الأهداف تشمل كلّ كيان الإنسان ، لأنّ علاقة الذّات الإنسانيّة بالخالق تقتضي التكامل و الشمول في مسيرة أفعالها في إطار معالم التصور القرآني .

و من مظاهر علاقة الذّات الإنسانيّة بالخالق : العبادات ، و من هنا نتعرف على علاقة الجسم بالعبادات ، و سيقتصر حديثنا على الصلاة والصوم .

أ ــ **الصّلاة** : تعد الصّلاة من أهم العبادات بعد الشهادتين ؛ إنّها حركة جسم و في الوقت ذاته هي يقظة فكر و طلاقة روح ؛ كما يظل الجسم مشاركا للعقل و الرّوح في أثناء الصّلاة ، و يشير مصطفى صادق الرافعي إلى ذلك بقوله : " ...وبالقيّام في الصّلاة يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامي على الجسم كلّه ، ليمتزج بجلال الكون ووقاره ، كأنّه كائن منتصب مع الكائنات يسبّح بحمده " [1] .

و تكرار الصّلاة خمس مرّات في اليوم هو بمثابة أسمى عوامل تطهير الجسم من الجراثيم ، بحيث أنّ الإنسان المؤدي الصّلاة ، لا يؤديها إلاّ بوضوء ، و هذا الأخير هو نظافة لكلّ الأجزاء الظاهرة من الجسم و التّي تكون في الغالب مكشوفة و معرّضة لعوامل الجّو المختلفة من أتربة وغيرها ، و في ذلك بيّن القرآن حكمة الوضوء ، في قوله تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**...﴾(المائدة : 06).

و يقول الرّسول صلى الله عليه وسلم : " **لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُور** " [2].

---

[1] الرافعي مصطفى صادق : وحي القلم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ،ج: 2 ، ص :12 .

[2] رواه مسلم : المرجع السابق ، ج:1 ، ص : 100 . و رواه البخاري : المرجع السابق ، ج:1 ، ص : 46 بلفظ : "لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ " .

فالوضوء ينّظف خمس مرّات في اليوم ، الأجزاء المكشوفة من الجلد ، و فتحات الجسم الطبيعيّة ، من الميكروبات و الطفيليّات و المواد العضويّة التّي تخرج من الجلد أو تحطّ عليه .

فغدد العرق تحتشد بصورة خاصّة في الجبهة و باطن الكفّين و القدمين ، كما أنّ الوجه يفرز الدهن من غدده الدهنيّة و فيه العينان تدمعان و تقذيان ، و الأنف يفرز سوائله المخاطيّة ، و الفم بؤرة لفضلات الطعام المتخمّرة والمتعفنّة بفعل الجراثيم ،و اليدان تصافحان و تمسكان بكلّ ما تصادفانه من أجسام و أدوات و مواد قدرة و نظيفة ، والقدمان تطآن الأرض حافيتين أحيانا ، فتتّسخان بأحوالها و أو ضارها ، أو منعّلتين أحيانا أخرى ، فتتسخان بإفرازاتهما الجلدية من عرق و دهن و أملاح [1]،و بما أنّ هذه الأعضاء دائمة التعرض للأوساخ ، كان غسلها مع عدة مرّات في اليوم واجبا على الإنسان .

ثمّ إنّ الإسلام قد ألزم الإنسان المسلم بالغسل من الجنابة ـ رجالا ونساء ـ وهو غسل لابدّ فيه من تنظيف الجسم كلّه ،حيث يقول الله تعالى :﴿ ...**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**...﴾(المائدة :6)،وعن عائشة (ض) قالت :" **إنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ منّ الجَنَابَة بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْه ثُمَّ يَتَوَضَأَ كَمَا يَتَوَضَأُ للصَّلاَة ثُمَّ يُدْخلُ أَصَابعَه في المَّاء فَيَخَلَلُ بهَا أُصُول شَعْره ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسه ثَلَاث غُرَف بيَديْه ثُمَّ يَفيضُ المَّاءعَلَى جلْده كُلّه** " [2].ويقول الرّسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر :" **حَقٌ عَلَى كُلّ مُسْلم أَنْ يَغْتَسلَ فِي كُلّ سَبْعَةِ أَيام يَوْمًا يَغْسلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ** " [3] .

---

[1] لمعلومات أكثر عن وظائف الجلد و أهمية نظافته . يراجع : عدنان الشريف : المرجع السابق ، ص: 216 .

و ـ موسوعة الشباب: سلسلة علمية تصدرعن دار دلفين للنشر، ميلانو ، إيطاليا ، 1982 ،عدد خاص بجلد الإنسان .

[2] رواه البخاري :المرجع السابق ،ج1،ص:72.

[3] رواه البخاري :المرجع نفسه ،ج2،ص :07.

والغسل هنا يشمل كافة الجسم حتّى شعر الأنف ،وقد أكّد الإسلام تلـــك النظافـــة حرصا على الجسد من الأمراض ،وقد ثبث علميّا أنّ الرّجل في أثناء الجماع يفرز مـــن جسمه كافّة أنواع السّموم التّي تخرج مع العرق [1].

أمّا طهارة المرأة فقد شدّد الإسلام عليها لأنّها عرضة للنجاسة أكثر من الرّجـــل ، فهي في حالة الحيض تمكث سبعة أيام ــ تقل أو تزيد ــ لا يحق لها أن تصلي أو تصوم، و لا يحق لزوجها أن يقربها بقصد الجماع [2] و قد حذّر القرآن من مغبّة ذلـــك ، يقـــول تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَـــاعْتَزِلُوا النِّسَـــاءَ فِـــي الْمَحِيـــضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِـــبُّ التَّوَّابِيـــنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة : 222) ، وإلى جانب التحذير الشرعي هناك تحذير صحـــي ، فالدّم في حالة حيض المرأة عبارة عن بقايا أوساخ يجرفها الدّم حتّى لا تؤذى ؛ و قد قـــال العلماء إنّ بعض الأمراض الخبيثة و لا سيّما الجلديّة تصيب الرّجال و النّساء على السّواء بسبب ممارسة الجماع في أثناء فترة حيض المرأة . و ما ينطبق على المحيـــض ينطبـــق على المرأة بعد الولادة فلا اقتراب منها حتّى تتطهر، لأنّها تبقى ــ بعد مدة من الولادة ــ عرضة لإخراج زوائد الدّم و كثير من الفضلات المؤذية لفترة معينة [3].

و مثلما اعتنى القرآن بنظافة جسد الإنسان ، اهتم كذلك بنظافة الملابس ، و أمـــر الإنسان أن تكون ملابسه نظيفة ، ولم يلزمه بأنواع معيّنة من الثياب بل تركه حرا يختـــار ما يناسبه ، ويرتضيه لنفسه ، ويراه ملائما وفقا لحرارة الجو أو برودته ، و في هذا يقـول تعالى : ﴿ ...**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ...**﴾ (النحل : 81) .

كما أمر القرآن بأخذ الزينة للعبادة ، ورسم الإنسان سياسة الإنفـــاق مـــن غـــير إسراف و لا تقتير ، فقال تعالى : ﴿ **يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْـــدَ كُـــلِّ مَسْـــجِدٍ وَكُلُـــوا**

---

[1] حسن الباش :الإنسان في ميزان القرآن ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس ، ليبيا ،ط2،1992،ص:28.

[2] للتوسع في مسألة الحيض و مدته ، و ما هو أقله وأكثره ، مع الأحكام الشرعية لهذه المسألة ينظر : الصابوني محمد علي : روائع البيان ، تفسير الأحكام من القرءن ، مكتبة رحاب، الجزائر ، ط 4 ، 1410هـ / 1990 مـ ، ص: 291-304 و كتب تفسير القرآن الكريم ، تفسير الآية 22 من سورة البقرة .

[3] حسن الباش : المرجع السابق ، ص :29 .

وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف : 31) كما يقول عزّ و جل : ﴿ **يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ (الأعراف : 26) ، و قال أيضا: ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ (المدثّر : 04) .

إنّ هذا الخطاب العام يوجب أخذ الزينة ، و أبسط مظاهر الزينة ارتداء المرء من الثياب ما يدفع عنه ما يشينه بين الناس ، و إطلاق الأمر يدل على وجوب الزينة عند كلّ مسجد ــ بحسب طاقة الإنسان ــ، ليكون عند عبادة الله مع المؤمنين في أثناء الصّلاة والجُمَع ، و الأعياد في حالة لائقة .

و في هذا المعنى قال الرّسول صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى ضرورة المظهر الطيّب ، و اللّباس الجميل المناسب للإنسان : " **اغْسِلُوا ثِيَابَكُمْ ، وَ خُذُوا منْ شُعُوركُمْ ، وَاسْتَاكُوا وَ تَزَيَّنُوا وَ تَنَظَّفُوا فَإِنَّ بَني إِسْرَائيل لَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُونَ ذَلكَ فَزَنَّتْ نسَاؤُهُمْ...**"[1]

و إذا تأمّلنا في التّعاليم القرآنيّة و دعوتها إلى الحفاظ على المظهر اللاّئق، فإنّنا نلاحظ أنّها قد أثبتت بصورة علميّة وجوب العناية به .و أنّ القرآن نزل بحق ليخرج النّاس من غلظة الهمجيّة و سماجة التوّحش إلى جمال الحضارة ، و رونق المدنيّة ؛و هذا ما تأكّد لبعض علماء الحضارة الإنسانيّة و الأنثروبولوجيا الثقافية ، بحيث اعترفوا أنّ الإسلام قد أخرج كثيرا من الأقوام التّي كانت تسكن الغابات و الأدغال ، و المغارات ، و الكهوف من الهند و وسط إفريقيا ، و التّي كانت تعيش عارية الأجسام نساء و رجالا من التوّحش و الهمجيّة ، بإيجابه للستر و الزينة إيجابا شرعيا ، حتّى أنّ بعض المنصفين من الأوروبيين ، قد بيّن في ردّه على الذّين يطعنون في الإسلام من قومه أنّ لانتشاره في إفريقيا منّة على أوروبا بنشره للمدنيّة في أهلها ، و بحملهم على ترك العري الذّي كان سببا لرواج تجارة النّسيج الأوروبيّة ، و لو لم يجعل هذا الدّين أخذ الزينة شرعا ــ قد أوجبه الله على عباده ــ لما خرجت أمّم و شعوب كثيرة من الوّحشيّة الفاحشة إلى الحضارة الراقيّة . يقول غووستاف لوبون : " لقد أنشأ العرب بسرعة ، حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التّي ظهرت قبلها ، و تمكّنوا بحسن سياستهم من حمل

---

[1] السيوطي : الجامع الكبير، المرجع السابق ، ج :1 ، ص: 199 .

أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم و ثقافتهم ، و لم يشذّ عن ذلك أقدم الشعوب كالمصريّين و الهنود الذّين رضوا أيضا بمعتقدات العرب و عاداتهم و فنّ عمارتهم " [1]. ويقول بارتلمي سان هيلر " لقد تعلّم أشرافنا و فرساننا رقّة العواطف و لين الطبائع وحسن الأخلاق من العرب " [2].

ب – الصوم:

يُعدّ الصوم عبادة نفسية و جسميّة في آن واحد ، فهو لم يفرد لتعذيب الجسد وإرهاقه في سبيل السموّ بالرّوح و تزكية النّفس ، بل إنّ الصوم بالأسلوب الذّي قرره القرآن الكريم و السنّة النّبوية له تأثير إيجابي على صحة الجسد وسلامته ، شريطة أن يلتزم الإنسان بقواعد الطب القرآني و النّبوي في مجال التغذيّة، لهذا يقول الرّسول صلى الله عليه وسلم : " **صُومُوا تَصِحُّوا** " [3] ويقول أيضا : " **الصوْمُ جُنّةٌ**" [4] ، ففي الصوم وقاية وشفاء من الأمراض الاجتماعيّة والنفسيّة عامة ، و الجسديّة خاصّة ، لذلك فهو خير كما جاء في القرآن الكريم، يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة : 184) .

و إذا تبيّن لنا هذا فإنّ القرآن قد أمر بإشباع حاجات الجسد من مأكل و مشرب ولكنّه دعا إلى تنظيم ذلك حتّى يتحقّق ما فيه مصلحة هذا الجسد بخاصة ، والإنسان عامّة. يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ (البقرة : 172) ، ويقول كذلك : ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** (النحل:114) و يقول أيضا:﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾(المؤمنون : 21).

بيد أنّ هذه الدّعوة الصريحة للأكل والشرب لها حدود، فالقرآن وضع توجيهات وإرشادات لأجل أن تكون الفائدة من الطّعام نافعة، و لا يصبح الأكل و الشّرب ضارّا

---

[1] نقلا عن الرافعي مصطفى : حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1968 ، ص :12.

[2] الرافعي مصطفى : المرجع نفسه ، ص : 16

[3] رواه البخاري ، صحيح البخاري، المرجع السابق ، ج:3 ، ص : 147.

[4] رواه الإمام مالك : الموطأ ، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، شرح جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، دار الباز للنشر و التوزيع ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، د.ط ، د.ت ، ج:1 ، ص : 286 .

بالإنسان ، ففي العديد من الآيات نجد أنّ القرآن يحثّ على عدم الإسراف في المأكل والمشرب ، يقول تعالى : ﴿ **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**﴾ (طه : 81) ، ويقول كذلك : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ (الأنعام : 141) ، و يقول أيضا : ﴿ **...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ (الأعراف : 31) .

و بهذه التّوجيهات القرآنيّة يتبيّن لنا أنّ القرآن الكريم قد أرشد الإنسان إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام و الشراب عوض ما تحلّل منه ، و أن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكميّة و الكيفيّة ، و متى تجاوز ذلك كان إسرافا مانعا من الصحة ، جالبا للمرض .

كما جاءت أحاديث كثيرة للرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدة لهذا النهي القرآني عن الإسراف في الأكل و الشرب ، فعن مقداد بن معد يكرب أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **ماَ مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءًا شرًّا منْ بَطْنه ، بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لطَعَامه ، وَ ثُلُثٌ لشَرَابه ، وَ ثُلُثٌ لنَفْسه** "[1] و يقول كذلك : " **كُلُّوا وَاشْرَبُوا وَ تَصَدَّقُوا في غَيْرِ إسْرَاف وَ لاَ مَخيلَة** "[2] .

ففي هذين الحديثين نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسراف في المأكل والمشرب و الملبس . فالإسراف في المأكل مضرّ بالصحة ، فإذا ملأ الإنسان معدته بالطعام وحده ، لم يجد فراغا للشراب ، و الطعام محتاج إلى ماء ، كما أنّ الجسم نفسه محتاج إلى ماء . و إذا ملأ معدته و أمعاءه بالطعام و الشرب ، فإنّ الأمعاء و المعدة يضغطن على الصدر فيضيق ، فلا تتّم عمليّة التنفّس بسهولة . كما أنّ الإسراف في الأكل، يؤدي إلى السمنة التّي تتسبب في كثير من الأمراض، لهذا حذّر الرّسول صلى الله

---

[1] رواه الترمذي ،أبو عيسى الترمذي : سنن الترمذي ،دار الفكر العرب ، بيروت ، لبنان، 1975 م ،ج:20 ، ص : 35

[2] رواه البخاري : صحيح البخاري ، المرجع السابق ، ج3 ، ص : 163 .

عليه وسلم من السمنّة و البطنة ، فقال :" **إيّاكمْ وَ البطْنَةَ فَإنَّـهَا مُكْسـلَةٌ عَـن الصَّـلاة وَمُفْسدَةٌ للْجسم وَ مُؤَديَّةٌ إلَى السَقَم ، وَ عَلَيْكُمْ بالقَصْد في قُوتكُمْ فَهُوَ أبْعَدُ منَ السَـرَف وَأَصَحُّ للْبَدَن ، وَأَقْوَى عَلَى العبَادَة** "[1].

فالتحذير من الإسراف في الطعام والشراب لأجل صحة الجسم و سلامته ، و ليس حرمانا له . و من ذلك تتضح الحكمة من النّهي القرآني و النّبوي عن الإسراف في الأكل و الشرب .

و إذا عرفنا ما للصوم من أهميّة في الوقاية من الأمراض الجسديّة ، فإنّنا نجد أنّ الإنسان في أثناء أدائه لهذه العبادة قد تعرض له مواقف وظروف تعيق القيام بها أو تؤجلها إلى أيّام أخر كالمرض ، و كبر السن ، و السفر الموجب للإفطار" [2]. لذلك أباح القرآن الإفطار فيها و تسهيلا و تيسيرا له ، لأنّ الصوم في هذه الحالات يؤثر على الصحة الجسديّة. وقد بيّن القرآن هذا في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَـفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**﴾(البقرة:185) .

و إذا كان القرآن قد دعا الإنسان إلى المأكل والمشرب مع عدم الإسراف والإقتتار فإنّنا نجدهقد حرم عليه الأطعمة و الأشربة التّي تسبب له أضرارا [3].

قال الله تعالى : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِـهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ...**﴾(المائدة : 03)، وقال أيضا : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْـسٌ مِـنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (المائدة : 90).

---

[1] رواه الترمذي : المرجع نفسه ، ج : 2 ، ص : 37.

[2] لمعرفة الأحكام الشرعيّة لهذه المواقف يراجع : السيد سابق : فقه السنّة ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، 1997م ، ج: 1 ، ص : 85 و ما بعدها

و ــ كتب التفسير (تفسير الآية : 182-186 من سورة البقرة) وباب الصيام في كتب الفقه والحديث النبوي .

[3] للتوسع في معرفة الأضرار الناجمة عن أكل و شرب هذه المحرمات يراجع :

ــ عدنان الشريف : من علم الطب القرآني، المرجع السابق ص : 211-215 .

و ــ داود سليمان السعدي: العجائب في الصلب و الترائب ، المرجع السابق ص: 177 و ما بعدها .

وليس غريبا بعد هذا أن يعنى القرآن بتوجيه الإنسان ، إلى ضرورة اختيار نوع طعامه و شكر المنعم عليه بالتّفكير و التدّبر في نعمه ، قال الله سبحانه و تعالى :

﴿فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا(26)فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31)مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾(عبس : 24 — 32).

3 ــ أهميّة النّوم للجسم الإنساني :

يعدّ النّوم عمليّة توقف نسبي في تفاعل حس الإنسان و حركته وإدراكه لما يحيط به من مختلف أنواع المؤثرات عموما [1].

كما يعدّ ضرورة قصوى للجسم الإنساني ، حيث بالنّوم يستعيد الجسم حيويّته ونشاطه ، و تتجدّد قدرته على الحركة ، لهذا نجد القرآن قد وجّه نظر الإنسان إلى النّوم ، وأوضح له أنّ أفضل الأوقات للنّوم هي اللّيل ، فتضمنت آياته توجيها للإنسان بأن لا يحرم نفسه من هذه الحاجة الأساسيّة ، فوضعت تنظيما فريدا نظمت به حركة الإنسان بالنّهار، وسكونه باللّيل ، و هذه فطرة الله التّي فطر النّاس عليها ، و في ذلك يقول الله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس : 67) . و يقول أيضا : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾(غافر : 61)

و من هذا التوجيه القرآني تتبيّن أهميّة النّوم في اللّيل، و أنّه بالقدر الكافي ضروري للإنسان لكي يستعيد حيويّته ونشاطه ويكون قادرا على القيام بأعباء الحياة وتكاليف الخلافة في الأرض ، من الأعمال و العبادات ما تيّسر منها، و ما سهل عليه دون إرهاق للجسد أو حرمان له من نعمة أنعم الله بها عليه ، وهي السكون باللّيل والخلود إلى الراحة فيه بالقدر الكافي .

و إلى هذا المعنى ذهب الرسول صلى الله عليه و سلم إلى القول : لمّا علم أنّ نفرا من الصحابة قد حرموا أنفسهم من متع الحياة المباحة لهم،و منها النّوم لأجل التّقرب إلى الله سبحانه و تعالى:" **مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَ كَذَا ، لَكِنِّي أُصَلِّي وَ أَنَامُ وَ أَصُومُ ،**

---

[1] عكاشة أحمد : التشريع الوظيفي النفسي ، دار المعارف القاهرة، مصر ، ط 3 ، 1975 مـ ، ص : 230 .

وأُفْطِرُ ، وَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" [1] .

و لهذا لا ينبغي للإنسان أن يحرم جسده من الرّاحة أو يغمطه حظه من النّوم حتّى و لو كان بدعوى الرّغبة في التعبّد و زيادة التّقرب إلى الله سبحانه و تعالى.

4 ـ الجسم الإنساني و المرض:

راعى القرآن الجسد و حاجاته من المأكل و المشرب، ـ كمًّا و نوعًا ـ ووجّه الإنسان إلى الأخذ منها ، دون إفراط و لا تفريط ، و دون إسراف و تقتير ، وعزوف وحرمان ، ولم يحلّ القرآن ـ و الإسلام عامة ـ في ذلك إلاّ طيّبا، ولم يحرّم إلاّ خبيثا.

غير أنّ هذه الرعايّة القرآنيّة للإنسان بأخذ حاجاته الأساسيّة للجسد ، من الغداء ، والنّوم و الراحة ، و الملبس و النّظافة ، و حثّ الإنسان على إشباعها ، وتحذيره من الحرمان أو الإهمال في تحصيلها ـ و لو بدعوى الزهد و التّقرّب إلى الله ـ لا تنفع إذا ما وقف الإنسان عاجزا أمام ما يصيبه من مرض ، و رأى أنّ طلب الدواء والشفاء قد يدل على عدم الصّبر على قضاء الله وقدره ، و الرضا به ، و الاستسلام إليه ، و هو ما اعتقده الكثير من المسيحيين في العصور الوسطى[2] ، فكلّ إنسان مأمور أن يتداوى ، ويسعى إلى الشفاء بكلّ ما يمتلك من قدرة على ذلك ، ويتّضح هذا من قول الرّسول صلى الله عليه و سلم : " **إنَّ الله أَنْزَلَ الدَّاءَ وَ الدَوَّاءَ وَ جَعَلَ لكُلّ دَاء دَوَاءً فَتَدَاوَوا ، ولاَ تَدَاوُوا بحَرَام** " [3] .

---

[1] رواه البخاري : صحيح البخاري ، المرجع السابق : ج:6 ، ص: 437

ورواه مسلم : صحيح مسلم ، المرجع السابق ، ج: 9 ، ص: 176

عن أنس قال :" أنّ نفرا من أصحاب رسول الله (ص) سألوا أزواج النبي (ص) عن عمله في السرّ ، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء، و قال بعضهم :لا آكل اللحم، و قال بعضهم:لا أنام على فراش، فحمد الله و أثنى عليه فقال: الحديث ..."

[2] كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، د.ت ،ص: 99

[3] رواه أبو داوود : أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي : سنن أبي داوود ، مراجعة وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، مصر ، 1935 م ، ج: 4 ، ص : 07 .

و لهذا يجب على الإنسان ألاّ يترك نفسه فريسة للمرض ، بل عليه أن يأخذ بأفضل الأسباب و أحسنها . فالقاعدة إذن في العلاج البدني ، أنّ الله تعالى ما أنـزل مـن داء إلاّ وله دواء ، لكن ربّما يعلمه أناس، ويجهله آخرون ، أو يعلم في وقت ولا يعلم في آخر، إذ يكتشف في زمن معيّن ، و ذلك من حكمة الله الذّي يؤتي الحكمة من يشاء . و لهذا نجـد من يعالج الأمراض بالطريق التقليديّة ، ــ أو ما يعرف بالطب الشعبي ــ على الرّغم من التّطور العلمي.

فإذا نظرنا إلى هـذه الطريقـة مـن الناحيّـة الأنثروبولوجيـة نجـد أنّ علمـاء الأنثروبولوجيا الطبيّة اهتموا بدراسة العلاقة بين الثقافة و المرض ، و أساليب الممارسـة الصحّية ، و بدراسة العلاج الشعبي. فدرست " ماكلين Maclean "[1] العوامل الثقافيّـة فـي المجتمعات غير الغربيّة و المؤثرة في العلاج الشعبي و العلاج الطبي الحديث (العلمي) ، وقامت بتحليل العوامل المسؤولة عن فشل تقبّل النّاس في هذه المجتمعات طـرق العـلاج الطبي الحديث ، و كذلك العوامل التّي تؤدّي إلى الاعتقاد في العلاج الشعبي ، و توصّلـت إلى أنّه توجد عوامل ثقافيّة تعمل على استمرارية و جود أنساق العلاج الشـعبي بجـانب أنساق العلاج الطبي العلمي . و أنّ هذا الوجود المتلازم ليس فقط في المجتمعات البسـيطة بل يوجد أيضا في المجتمعات المعقدّة .

---

[1] عن غامري محمد حسن : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة ، المرجع السابق ، ص : 147 و 146

لقد حددّت معالم هذا الفصل في الكشف عن التّكوين المادي في طبيعة الإنســـان ، حسب ما يمكن استخلاصه من القرآن الكريم ، و تحقيقا لهذا الغـــرض ، فقـــد اشـــتملت المعالجة النظرية لهذا الفصل على مايلي :

أوّلا: خلق الإنسان.

ثانيا: البعد الجسمي في الطبيعة المادية لدى الإنسان .

و قد تبيّن من عرض هذه المحاولة أنّ جسم الإنسان من حقائق التّكوين المادّي في طبيعة الإنسان ، وهو ما عبّر عنه قوله سبحانه و تعالى :﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّـــي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ...** ﴾(ص:71 ــ 72)

فبفضل هذه "القبضة الطينيّة و التسويّة الإلهية" في تكوين الإنسان ، تحدد التّكوين المـــادي لطبيعة الإنسان.

و من ثمّ فإنّ القرآن الكريم اهتم بالتّكوين الجسمي أو المادّي في الإنسان ، كما أمر بحق هذا التّكوين في الرّعاية و العناية الضروريّتين ، بل جعل هذه العناية و تلك الرّعايـة أمرين ضروريين : على أن يحاط هذا التّكوين بسياج الدين و الأخلاق و كلّ ماله علاقـــة بخصائص الرّوح الإنسانيّة و مظاهرها.

و لهذا ارتأينا تحديد موضوع الفصل الثالث ، بعنـــوان " التكويـــن الرّوحـــي فـــي الطّبيعة الإنسانيّة"

تعرضنا فيما سبق إلى بعض آيات القرآن ، التّي تحدثت عن التّكوين الماديّ في طبيعة الإنسان ، و دلّت دلالة واضحة على أنّ الإنسان في تكوينه المبدئي ذو طبيعة ماديّة ثم بيّنا هذه الطبيعة الماديّة ، المتمثلة في البعد الجسمي .

و لكي نستطيع أن نفهم طبيعة الإنسان فهما دقيقا يجب أن ندرس بدقة الجوانب المختلفة التّي تحدد طبيعة الإنسان .وحينما يدرس بعض العلماء محددات الطبيعة الإنسانيّة المنبعثة من طبيعة تكوين الفرد ذاته، فإنّهم يقصرون اهتمامهم على دراسة العوامل الجسميّة (البيولوجية) فقط، متناسين أو مغفلين الجانب الروحي من الإنسان، و ذلك تمشيا مع أسلوبهم في البحث العلمي الذّي يقتصر على دراسة ما يمكن ملاحظته و إخضاعه للبحث في المختبرات العلميّة . و لذلك يهمل هؤلاء العلماء دراسة الجانب الروحي من الإنسان، و أثره على سلوكه .

و لعل لهم بعض العذر في عدم تعرضهم للجانب الرّوحي في الإنسان، و ذلك لأنّهم ــ على ما يبدو ــ امتثالا لأمر الله ظاهرا في قوله تعالى :﴿ **قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ (الإسراء:85)، إلاّ أنّ هذا لا ينبغي أن يؤدي بهم إلى إغفال ذلك الجانب الروحي من الطبيعة الإنسانيّة إغفالا تاما في محاولتهم فهم طبيعة الإنسان .[1]

إنّ إغفال بعض العلماء للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للطبيعة الإنسانيّة قد أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان ، و في محاولة معرفتهم للعوامل المحدّدة لطبيعة الإنسان .

و قد لاحظ "إريك فروم " قصور علم النّفس الحديث و عجزه عن فهم الإنسان فهما صحيحا بسبب إهماله دراسة الجانب الروحي في الإنسان ، فقال :" ...إنّ التقليد الذّي يعد سيكولوجية[علم النّفس] دراسة روح الإنسان ؛دراسة تهتم بفضائله و سعادته ...
ــ هذا التقليد نبذ تماما، و أصبح علم النّفس الأكاديمي في محاولته لمحاكاة العلوم الطبيعيّة والأساليب المعملية في الوزن و الحساب ــ أصبح هذا العلم يعالج كل شيء ما عدا

---

[1] نجاتي محمد عثمان : القرآن و علم النفس ، دار الشروق ،بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1993 م ، ص : 224.

الرّوح، إذ حاول هذا العلم أن يفهم مظاهر الإنسان التّي يمكن فحصها في المعمل،و زعم أنّ الشعور و أحكام القيمة و معرفة الخير و الشّر ، ما هي إلاّ تصورات ميتافيزيقية [ما وراء الطبيعة] تقع خارج مشكلات علم النّفس . و كان اهتمامه ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتمشى مع منهج علمي مزعوم ، و ذلك بدلا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلة الإنسان الهامة .و هكذا أصبح علم النّفس علما يفتقر إلى موضوعه الرئيس و هو الروح ..." [1] .

إنّنا لا نستطيع أن نفهم طبيعة الإنسان فهما واضحا بدون أن نفهم حقيقة جميع العوامل المحدّدة لهذه الطبيعة ، سواء كانت جسميّة (بيولوجية)أم روحية ، أم عقلية ، أما الاقتصار على دراسة العوامل الجسمية المادّية فقط ، و إهمال أثر الجانب الروحي في الإنسان ، فإنّ من شأن ذلك أن يعطينا صورة غير واضحة لطبيعة الإنسان .

و في هذا الفصل نستعرض التكوين الروحي في الطبيعة الإنسانية ، و قبل أن نبحث عن طبيعة الإنسان من حيث التكوين الروحي ، يجدر بنا أن نبحث عن مفهوم الرّوح .

أوّلا : مفهوم الرّوح :

أ ــ مفهوم الرّوح لغة:

إذا رجعنا إلى أمّهات معاجم اللّغة نجد أنّ ابن منظور و الفيروز آبادي و الرّازي يتّفقون على أنّ الرّوح: " هي ما تقوم به حياة الأنفس " [2]

و من هذا التعريف ندرك أنّ الرّوح هي جوهر الحياة في كلّ جسم فإذا فارقته مات و اندثر .

---

[1] إريك فروم : الدين و التحليل النفسي ، ترجمة : فؤاد كامل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، 1977، ص : 11.

[2] الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ،د.ط ، 1952م، مادة "روح".

و ــ الرازي : مختار الصحاح ، دار ابن كثير، بيروت، لبنان،د.ط ، 1985 م ، ص: 261.

و ــ ابن منظور ، لسان العرب ،المرجع السابق ، مادة "روح" .

ب ــ مفهوم الرّوح اصطلاحا :

إذا تدبرنا دراسات العلماء و الفلاسفة حول الرّوح وجدناهم قد اختلفوا اختلافا كبيرا في بعض جوانبها ، فالغزّالى يعرف الرّوح بأنّها :"لطيفة ربانيّة روحانيّة لهذا القلب الجسمانيّ تعلّق و تلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان و هو المدرك العالم العارف من الإنسان و هو المخاطب و المعاقب و المعاتب و المطالب ." [1]

و نلاحظ هنا أنّ الغزّالي يعرف الرّوح تعريفا معنويّا ،أمّا الرّوح المادّي أو الحسيّ فيعرفها بأنّها :"جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانيّ فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن و جريانه في البدن و فيضان أنوار الحياة و الحسّ والبصر و السّمع و الشّمّ منها على أعضائها ، يضاهي فيضان النّور من السراج الذّي يدار في زوايا البيت ، فإنّه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلاّ و يستنير به و الحياة مثالها النّور الحاصل في الحيطان و الرّوح مثالها السّراج. و سريان الرّوح و حركاتها في الباطن مثال حركة السّراج في جوانب البيت بتحريك محرّكه." [2]

و حدّد ابن القيّم معنى الرّوح قائلا :"بأنّه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، و هو جسم نورانيّ علويّ خفيف حيّ متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد و سريان الدهن في الزيوت و النّار في الفحم ، فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللّطيف بقي ذلك الجسم اللّطيف مشابكا لهذه الأعضاء ،و أفادها هذه الآثار من الحسّ و الحركة الإرادية وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها و خرجت عن قبول تلك الآثار فارق الرّوح البدن و انفصل إلى عالم الأرواح " [3].

و يرى ابن عربي "أنّ النّفس الناطقة ــ و يريدها الرّوح ــ جوهر روحيّ مستقل عن الجسم ،و هي من العالم الملكي الروحاني و هي شريفة بحسب أصلها "[4].

---

[1] الغزّالي أبو حامد : إحياء علوم الدّين ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1957م ، ج : 3، ص : 3 و4.

[2] الغزّالي أبو حامد : المرجع نفسه ، ج : 3 ، ص: 4

[3] ابن القيّم الجوزيّة : الرّوح ،تقديم و تعليق : محمد علي قطب و برهان الدّين البقاعي، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، 1409هـ / 1989م ، ص: 254 و 255 .

[4] نقلا عن محمود قاسم : دراسات في الفلسفة الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص: 270.

و يرمز ابن سينا إلي الرّوح عن طريق الاستعارة بالورقـــاء ـــ وهـــي الحمامـــة الرماديّة الضارب لونها إلى الخضرة ـــ وهذا من خلال مطلع عينيته المشهورة :

يقول ابن سينا

هَبطَتْ إلَيْكَ منَ المَحَلّ الأَرْفَـــع ورْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّز وَ تَمَنُّـــــــع
مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلّ مُقْلَة عَـــارف وَ هيَ التّي سَفَرَتْ وَ لَمْ تَتَبَرْقَـــع
وَصَلَتْ عَلَى كُرْه إلَيْكَ ، وَ رُبَمَـــا كَرِهَتْ فُرَاقُك وَ هيَ ذَات تَفَجُّـــع [1]

و يلاحظ القارئ المتمعّن للقصيدة أنّ ابن سينا يلخّص كثيرا من الأفكـــار و الآراء التّي تحدّثت عن الرّوح ، ففي بداية القصيدة يخاطب ابن ســـينا الإنســـان و يقـــول : إنّ الرّوح وصلت إليك أيّها الإنسان على كره لأنّها فارقت عالما أفضل من عالمك الأرضي ، و لذلك وصف الهبوط بالأرفع و الورقاء في الأصل الحمامة التّي في لونها بيـــاض إلـــى سواد ، و ربما تعلقت فيك بعد حين فتكره مفارقتك ، إنّها أنفت منك في البداية إذ لم تـــأنس بك ، فلما ألفت أيّها الجسد عادت فرضيت في مجاورة هذا الخراب البلقـــع ، ـــ أي فيمـــا سيصير إليه بعد الموت ـــ[2].

و تجدر الإشارة إلى أنّ النّفس تستخدم أحيانا عند البعض بمعنى الرّوح ، كما قـــد يكون هناك تبادل في اللفظين ، لهذا نجد مفكري الإسلام ـــ على ما يبدو ـــ قد أوغلـــوا قلمهم في النّفس ، ربما تعويضا عن مفهوم الرّوح التّي أحجموا ـــ فـــي العمـــوم ـــ عـــن الدخول في تفاصيلها إلاّ ما استشفّوا من آيّات قرآنية و أحاديث نبوية أشارت إلى الـــرّوح بشكل من الأشكال.[3]

فابن سينا نجده يعرّف النّفس النباتية بأنّها : " كمال أوّل الجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري و الاستنباط بالرأي ، و من جهـــة مـــا يـــدرك الأمور الكلية " [4].

---

[1] ابن سينا : أحوال النفس ، المكتبة السلفية ، للقاهرة ، مصر ، 1328هـ/ 1910م ، ص: 151.

[2] فروخ عمر : عبقرية العرب في العلم و الفلسفة ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1980 ، ص : 136 .

[3] محمود قاسم : في النفس و العقل لفلاسفة الإغريق و الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1949م، ص: 92.

[4] ابن سينا : الشفاء ، تحقيق :جورج قنواتي و آخرين، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان ،د.ط ، د.ت ، ص: 12.

كما يعرف الجر جاني (ت : 1413م) الرّوح بقوله : " اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، الراكبة على الرّوح الحيواني النّازل من عالم الأمر ." [1]

و يعرفها محمّد الحريري البيّومي بقوله :" ...أما حقيقة الرّوح و ماهيتها فهي جوهر نوراني غير قابل للتقدير أو الوزن أو الحصر الخاص بالمادة لطيفها و كثيفها، منافية لجميع ما هو معلوم ، عاقلة عالمة بذاتها و بربّها علما ذاتيا بكلّيتها لانطباع جميع محيطاتها من عالمها فيها انطباعا تقابليا بالذات ؛ إذ هي وحدة لا تتجزّأ فينطوي فيها كلّ ما حولها انطواء الصّور بالمرآة على أقرب تشبيه . ترى و تسمع و تذوق و تلمس بذاتها لا بحواسّ متفرعة كما للجسم ، فتعلم بمقدار قوة إمدادها من أصل منزعها من النّور الأوّل الصادر عن الأمر الإلهي ..."[2].

هذا أهمّ ما قيل في ماهية الرّوح ،وإذا تأمّلنا هذه التعاريف نرى أنّها تشترك في جوانب ، و تختلف في أخرى ، والجوانب المشتركة هي أنّ الرّوح جوهر بسيط ولطيف ، و حسي بذاته، وهي على صورة الإنسان ،و مصدر الإدراك و المعرفة ، و الشعور بالمسؤوليّة ، وأصلها من عالم الأرواح و ليست من عالم المادة .

وممّا سبق نخلص إلى أنّ الرّوح هي : جوهر لطيف حيّ بذاته يختلف عن ماهية الجسم لأنّها من العالم الإلهي ، متخلّق على صورة الجسم الإنساني مرتبط بالجسم كلّه ارتباط سريان الشّمس في الأرض ، و هي التّي تدير الجسم و تصفي عليه صفاتها الذاتيّة من الإدراك و التعقّل و الشعور بالتّسامي و المسؤولية الوجدانيّة و الاحساسات الأدبيّة الجماليّة

ج ــ الروح في القرآن الكريم :

وردت مادة "رُوح " بضم الراء ، في القرآن الكريم واحدا وعشرين مرّة ، كما وردت مادة "رَوح" بفتح الراء في القرآن الكريم ثلاث مرات . [3]

---

[1] الجرجاني الشريف : التعريفات ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، 1357هـ / 1938م، ص: 99.

[2] البيومي محمد الحريري : الرّوح و ماهيتها ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ،د.ط ، د.ت ، ص: 66.

[3] عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، المرجع السابق ، مادة "روح".

والمتأمل في كلمة "الرّوح" ــ بضم الراء ــ في آيات القرآن يلاحظ معاني مختلفة ، يمكننا أن نستخلص منها مايلي : [1]

1 ــ تدل على جبريل عليه السلام ، وقد ذكر الله سبحانه و تعالى في القرآن جبريل بالرّوح ، في مثل قوله تعالى:﴿ **تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ (المعارج : 04) ، و قوله تعالى :﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾ (النبأ:38)،و قوله آنا آخر : ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** ﴾(القدر : 04) .

كما ذكره"بروح القدس " في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ (النحل :102) ، و بالروح الأمين في قوله عزّ و جلّ: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** ﴾(الشعراء:193).

كما أخبرنا سبحانه و تعالى بأنّه هو الذّي أرسل جبريل إلى مريم فنفخ فيها [2] ، إذ قال جلّ جلاله :﴿ **...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(17)قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا(18)قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا ...**﴾ (مريم: 17-18-19) .

و ممّا سبق ندرك أنّ جبريل هو الملاك الذّي نزل بالقرآن الكريم على الرّسول صلى الله عليه وسلم ، و هو الذّي أرسله الله تعالى إلى مريم ، و إلى ابنها عيسى عليه السلام ، كما تشير الآية الكريم :﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً...**﴾(المائدة:110) ،وقوله تعالى :﴿ **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾(البقرة : 87 و الآية : 253 من نفس السورة).

---

[1] للتوسع ينظر: ــ ابن القيم الجوزية : الرّوح ، المرجع السابق ، ص: 204 و ما بعدها .

و ــ عائشة بنت الشاطئ : المرجع السابق ، ص: 180 و ما بعدها

و ــ شايف عكاشة : الإعجاز و الغيب في ضوء المنهج الذاكرتي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988.ص 120 و ما بعدها .

[2] الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير ، المرجع السابق ، ج:2 ، ص: 213 .

2 ـ وتدل على السرّ الإلهي الذّي تجلى في مريم المصطفاة،فحملت جنينها الحـيّ: يقول سبحانه و تعالى :﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ**﴾ . (التحريم : 12) .

كما نستطيع أن نفهم من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ ...** ﴾ (النساء: 171) ، أنّ الرّوح في هذه الآية ـ هو جبريل عليه السـلام ـ ، أي ذو روح مبتدأة من الله و هو أثر نفخة جبريل في صدر مريم حيث حملت بتلك النفخة بعيسى عليه السلام[1] .فجبريل عليه السلام ، جاء بكلمة الله من الله وألقاها إلى مريـم ، و كلمـة الله التكوينيّة هي : " كن " .

و على هذا يكون الله قد أرسل روحه ، ـ جبريل عليه السلام ـ فنفخ في مريـم ، و ألقى إليها كلمة الله بتكوين المسيح في بطنها و الكلمة هي " كن " ، و في هذا يقـول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (آل عمران : 59) ، و قدرة الله شملت كلّ خلق كما تدلّ الآية الكريمة :﴿ **إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾(يس :82) وهذا ما يسمى بالقدرة " الكنيّـة " و هـي خاصة بالله تعالى[2] " كن فيكون" .

3 ـ و تعني الرّوح أيضا القوة و الثبات و النّصرة التّي يؤيد الله بها من يشاء مـن عباده المؤمنين ، و جاءت هذه المعاني في القرآن الكريم على النحو التالي :

ـ بمعنى ما يلقيه الله من أمره على المرسلين من عباده المنذرين المبشّرين ،تـأييدا لهم و رضوانا مرتين : في قوله تعالى :﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْـرِهِ عَلَـى مَـنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾ (النحل : 02) . و قولـه كذلـك : ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْـذِرَ يَـوْمَ التَّلاَقِي** ﴾ (غافر:15)

---

[1] الصابوني محمد علي : المرجع السابق ، ج: 1 ، ص: 322 .

[2] شاهين عبد الصابور : الكون الساجد في القرآن ، الدرس الخامس من الدروس الحسنية ، المملكة المغربية ، الخميس 13 رمضان 1419هـ/ 30 ديسمبر 1998م (شريط سمعي).

ـ بمعنى ما يؤيد الله عزّ و جلّ به من كتب في قلوبهم الإيمان مرة واحدة ، يقول تعالي:﴿ ...أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ... ﴾(المجادلة :22)

4 ـ و من معاني الرّوح في القرآن الكريم ما يدل على القرآن نفسه ، و ما خصّ به الله تعالى خاتم الأنبياء محمد صلّى الله عليه وسلم ، و هذا المعنى جاء مرة واحدة في قوله تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ... ﴾ (الشورى :52) .

و بهذا المعنى يكون الرّوح وحيا و يكون الوحي العام لجميع الأنبياء و الرّسل عليهم الصلاة و السلام روحا .

و سمي الوحي روحا لما يحصل به من حياة القلوب و الأرواح ، كما في القرآن حياة النفوس من موت الجهل [1]، لهذا قال الله تعالى :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ... ﴾ (الأنفال :24).

5 ـ و من معاني الرّوح السرّ الإلهي الذّي تصير به المادة الآدميّة كائنا حيّا وبشرا سويّا ، و إضافتها إلى الله تعالى للتشريف ، و جاء هذا المعنى في القرآن للدّلالة على خلق آدم عليه السلام مرتين :﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ، مرّة في سورة الحجر و مرّة في سورة ص ، (الحجر : 29 وص :72) .

أما في الدلالة على خلق الجنين الإنساني بعامة، فنجده قد ذكر مرة واحدة ، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ... ﴾ السجدة:09) [2]

و على ضوء المعاني المختلفة للروح الواردة في القران الكريم ، يتبيّن لنا أنّ الرّوح بالمعنى الأخير هي التّي تعنينا في موضوع بحثنا. كما يتبيّن لنا أنّ الرّوح ليست منسوبة إلى الإنسان ، و إنّما المنسوب إلى الإنسان هو" النفخة الإلهية الكريمة ". و إذا ما نسبنا إلى الإنسان روحا ـ تجاوزا ـ، فإنّما يكون ذلك باعتبار أنّ الشيء الغيبي الذّي يتلقاه ابن آدم النفخة الإلهيّة الكريمة من الرّوح ، و هو ما نطلق عليه روح الإنسان، ولهذا نجد ابن القيّم الجوزيّة يفرّق بين الحياة و بين الرّوح فيقول :"...فالجنين قبل نفخ الرّوح فيه يكون حيّا ، فيه نموّ و اغتذاء ، فإذا ما نفخت فيه الرّوح[الإلهية] انضمّت حسيّته إلى

---

[1] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، المرجع السابق ، ج : 16، ص: 55 .

[2] الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن، المرجع السابق ، مادة " روح " .

حركة نموّه و اغتذائه ... "[1]و بهذا تعد الرّوح من حقائق التكوين المعنوي في الإنسان ، فهي تخص الإنسان وحده و لا يشاركه فيها غيره من المخلوقات ،فلم يخلق الله مخلوقا بـ" النفخة الإلهية " سوى الإنسان ، فهي سرّ تكريمه ، و في ضوئها تتحدّد الصفات الإنسانيّة بخصوصيات متميّزة لا ترتبط إلاّ بذاته [2].

و في بداية حديثنا عن التكوين المادي في طبيعة الإنسان بيّنا مراحل خلق آدم والإنسان ، و فيها عرفنا مرحلة النفخة الإلهية [3].

أمّا أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن الكريم ــ غالبا ــ إلاّ بلفظ "النّفس"[4] ، مثل قوله تعالى : ﴿**الله يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...**﴾ (الزمر : 42) ، فالله يقبض الأرواح عند حضور آجالها ؛ و المقصود بالنّفس في هذه الآية الرّوح [5] ، و قوله أيضا : ﴿ ... **أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ** ... ﴾ (الأنعام: 93) نجد فيه إشارة واضحة إلى أنّ النّفس هي الرّوح كما قال المفسّرون [6] ، و قوله آنا آخر: ﴿**يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(28)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29)وَادْخُلِي جَنَّتِي(30)** ﴾ (الفجر :27 ــ 28 ــ 29 ــ30) و قوله :﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ (يوسف : 53) ، وقوله كذلك : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ﴾ (الشمس :07) ، و قوله أيضا :﴿ **ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾(القيامة : 02) .

و هكذا نستنتج مما سبق أنّ الرّوح في القرآن الكريم جاءت بالمعاني التالية :

- اسما في حق جبريل عليه السلام .
- اسما في حق المسيح عليه الصلاة والسلام .
- القوة والثبات و النصرة التّي يؤيد الله بها من يشآء من عباده المؤمنين .

---

(1) ابن القيّم الجوزيّة : التبيان في أقسام القرآن ، تحقيق : محمد حامد الفقي، المكتبة التجارية، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1993 م ، ص : 345 .

(2) الدسوقي فاروق أحمد : مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، المرجع السابق ، ص :72.

(3) يراجع ما قدمناه في الفصل الثاني : مراحل الخلق : (مرحلة التسوية ، مرحلة النفخة الإلهية) .

(4) شايف عكاشة : المرجع السابق ، ص:124.

(5) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار و تحقيق : محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ،1402هـ/ 1982م، ج ص:222

(6) القرطبي : المرجع السابق ، ج: 7، ص : 41.

ـــ ما يدل على القرآن الكريم نفسه .

ـــ السّر الإلهي الذي تصير به المادة الآدميّة كائنا حيّا و بشرا سوّيا .

ثانيا: خصائص الرّوح الإنسانية و مظاهرها :

بعد هذه التعريفات و التحديدات للرّوح هل بإمكاننا تحديد خصـــائص أو صفـات الإنسان ، من جانب التكوين الرّوحي ؟ .

إنّ الإجابة عن هذا السؤال أمر ضروري في تحديـد طبيعـة الإنسـان الروحيّـة ودورها في سلوك الإنسان ، و إذا كان من الممكن ، فكيف يكون موقفنا من قوله تعـالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَـا أُوتِيتُـمْ مِـنْ الْعِلْـمِ إِلاَّ قَلِيـلاً** ﴾ (الإسراء: 85)

إذا تدبرنا ما في هذه الآية من تأويلات تتعلّق بالرّوح ، نجد ثلاثة معان من المعاني التي ذكرناها عند حديثنا عن الرّوح في القرآن الكريم [1]؛ إلاّأنّ الراجح عند العلماء هـو المعنى الثالث ، إذ قالوا " .. لأنّه الأمر المشكل الذّي لم تتضح حقيقته ، و أمـا الـرّوح بالمعنيين الآخرين فيشبه أن يكون السؤال عنه سؤالا عن معنى مصطلح قرآني .."[2]

و إذا رجعنا إلى سبب نزول هذه الآية (85 من سورة الإسراء) نجد مايلي :

عن ابن عباس (ض) قال: قالت قريش لليهود أعطونا شـيئا نسـأل عنـه هـذا الرّجـل [الرسول صلى الله عليه وسلم] فقالوا : سلوه عن الرّوح ، فسألوه ، فـأنزل الله تعـالى : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَـا أُوتِيتُـمْ مِـنْ الْعِلْـمِ إِلاَّ قَلِيـلاً** ﴾ (الإسراء:85)[3]

إذن الثابت أنّ اليهود هم أصحاب السؤال ـــ بطريقة غير مباشرة ـــ ؛ فإذا تفحّصنا سفر التكوين من التوراة في الإصحاح الأوّل نجد القول التالي : " ... **و رّوح الله يـرف على وجه المياه ...**" [4]

---

[1] المعاني الثلاث : (القرآن الكريم ـــ جبريل عليه السلام ـــ الرّوح الذي يحيا به الإنسان)

يراجع: المراغي أحمد مصطفى : المرجع السابق ، ج: 15،ص : 88 و89

[2] ابن عاشور الطاهر : المرجع السابق ، ج : 15، ص : 196و197

[3] السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ، دار الرّشيد ، دمشق ، سوريا ، د.ط، د.ت ، ص: 309

[4] التوراة ، سفر التكوين ، الإصحاح الأول.

و من هنا نرى أن اليهود و قريش، سألوا عن ماهية الرّوح التّي في بدن الإنسان : ما هيّ ؟ لأنّ هذا المعنى هو الوارد في أوّل كتابهم كما رأينا ، و لم يجبهم الرّسول صلى الله عليه و سلم ، مكتفيا بقوله تعالى :﴿ ... **الرُّوح منْ أَمْرِ رَبِّـي** ... ﴾ معلّلا ترك الجواب بأنّ ما لديهم من قلّة العلم لا يستوعب فهم حقيقة الرّوح و أنّ الله استأثر بعلم حقيقتها ،و من ثمّ استحالة إدراك الرّوح، و ليس بمقدور الإنسان أن يبحث في هذا الأمر ، مهما تطوّر العلم لأنّه خارج دائرة البشر [1] . إلاّ أنّ هذا العجز الإنساني لا يقلّل من شأن الإنسان في شيء .

لذلك أقرّ العلماء بصعوبة البحث في الرّوح و قد رجّحوا عدم الخوض في ماهيتها و حقيقتها ، " ومهما يكن فإنّ العلم البشري ــ على انفتاحه المستمر ــ سيظل محدودا في مقابل علم الله المطلق .﴿... **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ...**﴾ (الإسراء :85) ؛ مما يعني أنّ السؤال كيف ؟ الذّي ما فتئ أن يطرحه بعض الفضوليّين من المشكّكين في النظرية الإلهيّة : كن فيكون يبقى ــ دائماــ يدور في فلك التشكيك في الغيبيات ..." [2]

و يؤكد هذا المعنى أبو النجيب السهروردي بقوله : " و اعلم أنّ الكلام عن الرّوح صعب المرام ، و الإمساك عن ذلك سبيل ذوي الأرحام" [3] ، و قد عظّم الله تعالى شأن الرّوح وأسجل على الخلق بقلّة العلم حيث قال : ﴿ ... **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً.**﴾ (الإسراء : 85) .

و إذا تبين لنا هذا فإنّنا نرى أنّ إدراك الإنسان لطبيعة هذه الرّوح و كونها قاصر ، لا يعدو الإحساس بقيمتها ، و لذلك نعترف مقدّما بقصورنا عن إدراك هذه الأسرار الرّبانية ، و نسلّم أنّ كلّ ما يمكن أن يقف عنده العقل الإنساني ، هو معرفته و ملاحظته بالحسّ و مشاهدة مظاهر الحياة في الإنسان ؛ و لبعض العلماء رأي وجيه في هذا ،و هو أن المغيب عنّا من أمر الرّوح هو كنه حقيقتها و كيفية امتزاجها بالجسد ، و أنّ هذا مما اختص الله بعلمه [4] و هذا لا يعني أبدا ، الحجر على العقل من التفكير فيها من جهات

---

[1] الأصفهاني : تفصيل النشأتين ، المرجع السابق ، ص: 38.

[2] شايف عكاشة : الإعجاز و الغيب في ضوء المنهج الذاكرتي ، المرجع السابق ، ص:123

[3] ابو النجيب السهروردي : عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1983م ، ص: 443 .

[4] يراجع القرطبي ، المرجع السابق ، ج: 1، ص: 324.

أخرى لا تتعلق بكونها ؛ كزمن تعلّقها بالبدن ، و مفارقتها له ، و مظاهر تأثيرهـا علـى طبيعة الإنسان ، و صفاتها ... .

و من هنا يتبيّن لنا أنّ ما نبحث فيه ليس حقيقة الرّوح و طبيعتها ، و إنّما هو مـا تتركه من أثر في سلوك الإنسان و طبيعته الروحانّية ، و هذا لما ذكرناه عـن الطبيعـة الإنسانيّة بأنّها منبع من منابع الحياة الروحيّة ، بحيث تسبغ الرّوح على الفطرة الإنسـانيّة دلالات هي في صميمها المقوّمات الخلقية و الجوهريّة في طبيعة الإنسان ، إذ أنّها تعـبّر عن ذلك الجانب الذّي يجعل الإنسان يميل فطريا إلى أن يسمو بنفسه و يعلو علـى ذلـك الوجود المادّيّ تطلّعا لغايات أسمى ، و سعيا نحو كماله الذّاتي [1] .

أمّا معنى الرّوح الذّي ورد في الآيات التّي تشير إلى خلق آدم فهو روح منه تعـالى يكون به استعداد الإنسان لمعالي الصفات و موالاة الحـق [2] " و هـو عنصـر روحـي يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق معالي الأمور و أقدس الصفـات ، فـهو الـذّي يؤهلـه للارتفاع فوق مستوى الحيوان ، و يقرّر له أهدافه و غاياته العليا في الحياة ، و يرسم لـه خطوط منهاجه ، و يضيف إلى بشريته النّزوع إلى مصدر القيم و المعارف التّي تجعل لـه حقيقة الإنسان " [3] .

و بهذا النوع من التكوين " النفخة الإلهيّة" يتميّز الإنسان عن سـائر المخلوقـات ، فهو يشارك الحيوان في معظم الخصائص الجسميّة و ما يتطلب حفظ الذات و البقاء مـن دوافع و انفعالات، و لكنه يتميز عن الحيوان بخصائص روحه التّي تجعله يـنزع إلـى معرفة الله و عبادته ،و القدرة على الإدراك و التعلّم ، و التّشوّق إلى الفضـائل و المثـل العليا ، التّي ترتفع به إلى مستويات عالية من الكمال الإنساني ، و لهذا كان الإنسان أهـلا للخلافة في الأرض [4] .

---

[1] توفيق محمد سبع : نفوس و دروس في إطار التصوير القرآني ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، القاهرة ، مصر ، 1971م، ص: 74 و 77 .

[2] الخولي البهي : آدم عليه السلام ، المرجع السابق ، ص:22.

[3] الخولي البهي: المرجع نفسه ، ص: 32 و 33 .

[4] نجاتي محمد عثمان : المرجع السابق ، ص: 226 و 227 .

و من هذا التكوين الرّوحي لطبيعة الإنسان ، نشأت مجموعة من الخصائص التّي تميّز الإنسان و تتحقق بها إنسانيته كما أرادها الله تعالى ، و تتحدّد خصوصية هذه الخصائص بما يمّكن الإنسان من تحقيق الغاية من خلقه و الوفاء بمهام الاستخلاف كما قدّرها الله سبحانه و تعالى . و هذه الخصائص هي التّي تساعد على تحديد أهمّ جوانب الحياة الروحيّة في طبيعة الإنسان و منها ما يلي :

١ ــ التدّين:

كشفت الدراسات الأنثروبولوجية المختلفة أن اتجاه الإنسان إلى الله اتجاه فطري عام بين البشر ، فلا يوجد مجتمع قديم أو حديث ، بدائي أو متحضّر ، يخلو من نظام ديني يتعلّق بتصوّر معين للإله و بعبادات و شعائر يتقربون إليه [1] .

فالإنسان منذ أقدم التاريخ متديّن ، يتبع طقوسا ،و يتمسّك بعقائد، و في هذا يقول سليم حسن :" دلّت البحوث العلميّة حتّى الآن على أنّ لكلّ قوم من أقوام العالم عامة مهما كانت ثقافتهم منحّطة دينا يسيرون على هديه ، و يخضعون لتعاليمه " [2] كما نجد "ألكسيس كارل " يعبّر عن التديّن بأنّه طبيعة في الإنسان فيقول :" فلا يزال الإنسان مستمرا في سعيه الأبدي وراء الأساس الروحي للأشياء ، و قد أحسّ بالحاجة إلى العبادة في كلّ العصور و في كلّ الأقطار على وجه التّقريب ، فالعبادة تكاد تكون عنده سبيلا طبيعيا كالحبّ. و من المحتمل أن يكون هذا البحث عن الله نتيجة طبيعية لتركيب عقولنا ..." [3] كما عبّر "وليم جيمس "عن أصالة عمق الحاسّة الدينيّة، و تمكّنها في طبيعة الإنسان فقال : " ...يرجح لدينا أنّ الناس سيضلون يصلون إلى آخر الزمان بالرغم مما قد يأتي به العلم

---

[1] للتوسع ينظر : جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، دراسة في السحر والدين ، ترجمة : أحمد أبي زيد و آخرين ، الهيئة المصرية لتأليف والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1971 م ، ص : 07 و ما بعدها

و ــ ابن حزم : الملل والنحل ، طبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، مصر د.ط ، 1961م ، ص : 05 و ما بعدها .

و ــ إمام عبد الفتاح إمام : المعتقدات الدينيّة لدى الشعوب ، سلسلة عالم المعرفة ، الكتاب رقم 173 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ذو القعدة 1413 هـ / ماي 1993 م ، ص : 11 و ما بعدها .

و ــ Marinowski , B : M agic , sience and religion , and other essays souble beuy and company I.N.C .New York .1955 .pp : 17. 87 .

[2] نقلا عن : نوفل عبد الرزاق : بين الدين و العلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر، د.ت ، ص: 25 .

[3] ألكسيس كارل : تأملات في سلوك الإنسان ، المرجع السابق ،ص: 169 .

من عكس ذلك اللّهم إلاّ إذا تغيرت طبيعتهم العقليّة إلى حالة ليس لدينا شيئي عنها نعرفه يهدينا إلى توقعنا " [1]

و يذهب " هيجيل " إلى القول بأنّ : " الإنسان وحده هو الذّي يمكن أن يكون له دين ، و أنّ الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقد إلى القانون و الأخلاق ... " [2] ؛ ذلك لأنّ التد يّن عنصر أساس في تكوين طبيعة الإنسان ، و الحسّ الديني إنّما يكمن في أعماق كلّ قلب بشريّ ، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان ، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء [3]، و لعلّ هذا ما جعل بعض العلماء يعرّفون الإنسان بأنّه"حيوان متديّن ".[4]

و ممّا سبق نستطيع أن نقرّر أن التدين دافع له أساس فطري في طبيعة الإنسان ، كما أنّه يشير إلى نزعة طبيعية في الإنسان تدفع به إلى البحث و التفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون ، و إلى عبادته و التوسّل و الالتجاء إليه طالبا منه العون كلّما اشتدت به مصائب الحياة و كروبها ، و هو يجد في حمايته و رعايته الأمن و الطمأنينة.[5]

و من هذا نفهم أنّ التديّن أمر طبيعي في الإنسان و حاجة من الحاجات الروحيّة التّي تهيمن على الإنسان طوال حياته ، و لا بدّ له من إشباعها .

و لما كان المتفق عليه أنّ التديّن فطري ، و أنّ في خلقة الإنسان و طبيعة تكوينه استعداد فطري لإدراك بديع مخلوقات الله و توحيده ، صار بديهيّا اعتبار الإنسان متدينا بطبعه . و قد أكد القرآن هذه الحقيقة فقال تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ**

---

[1] جيمس وليم : إرادة الاعتقاد ، ترجمة : محمّد زيدان ، منشورات عويدات ، بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت ص: 128

[2] هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ص : 47

[3] ولترستيس ، الزمان و الأزل ، المرجع السابق : ص : 40

[4] عرفنا هذا عند تعرضنا لمعنى الإنسان اصطلاحا.

[5] نجاتي عثمان محمد : المرجع السابق ، ص: 49 .

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ(172)أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ(173) ﴾ (الأعراف : 172-173).

ففي هذه الآية يبيّن الله تعالى أنّه أخرج من صلب آدم عليه السلام وبنيه ذريتهم نسلا بعد نسل على هيئة ذر، وذلك قبل خلقهم في الدنيا ، و أشهدهم على أنفسهم قائلا لهم : ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾فأجابو : ﴿**بَلَى شَهِدْنَا**﴾ بذلك، فالله تعالى أشهدهم على ربوبيته حتّى لا يقولوا يوم القيّامة إنّا كنّا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين[1].

ومعنى هذا: أنّ الله قد أودع في الإنسان الاستعداد لقبول الإيمان، و قوة إدراك حاجته إليه كما بيّن القرآن في هذه الآية كيف وضع الله في طبيعة الإنسان استعداد التأليه و التعبّد.

و يفسّر المراغي هذا بقوله :"و خلقهم[بني آدم] على فطرة الإسلام بما أودع في قلوبهم من غريزة الإيمان اليقيني بأنّ كلّ فعل لا بدّ له من فاعل و أنّ فوق كلّ العوالم القائمة على سنّة الأسباب و المسببات سلطانا أعلى على جميع الكائنات هو المستحق للعبادة وحده" [2]؛ و قد ذكر الرّازي أنّ الإقرار بوجود الله من لوازم الذّوات البشريّة وحقائقها [3]؛ و يؤكد هذا المعنى من ذلك الاستنكار التعجبي الذّي جاء على ألسنة الرّسل في قوله تعالى:﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...**﴾ (إبراهيم:10)، لأنّ معنى الآية كما يتبادر إلى الأذهان، أفي وجود الله ووحدانيته شك ؟! و الاستفهام هنا للإنكار و التوبيخ لأنّه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة[4]، فالفطرة شاهدة بوجوده عزّ و جلّ.

و معنى الفطرة "الخلقة الّتي خلق عليها كلّ مولود يعرف بها ربّه، خلقه مخالفة لخلق البهائم الّتي لا تصل بخلقتها إلى معرفته تعالى" [5] .

و قد أشارت الآية إلى أنّ الإيمان بالله مما تشهد به الفطرة السليمة من الأوهام والانحرافات، و المجرّدة من الأغيار والعبادات الفاسدة ، و العوامل الذاتية و الاجتماعية

---

(1) ابن كثير : المرجع السابق ، ج:2 ص: 262 .

(2) المراغي أحمد : المرجع السابق ، ج: 9 ، ص: 103.

(3) الرازي: المرجع السابق ، ج: 15 ، ص: 53.

(4) الصابوني محمد علي : المرجع السابق ، ج :2 ، ص: 92.

(5) القرطبي: المرجع السابق ، ج: 14 ، ص: 27.

التّي تدعو ــ في الكثير من الأحيان ــ الإنسان إلى الخروج مــن مقتضيــات الفطــرة ، والوقوع في مهاوي الإلحاد و الكفر والغفلة و التقليد، مما ينسي الإنسان مــا تشــهد بــه فطرته[1] و ذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿...أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ(172)أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِم..﴾ (الأعراف:172 ــ 173) يبيّــن أنّ أسبابا نفسيّة ، و ملابسات حينيّة، و عوارض اجتماعيّة و ثقافيّة و ماديّة، كثيرا ما تتــآزر للإيقاع بالإنسان في مزالق الانحراف التّي تدخل على فطرته فتفسدها. وهذا مــا يؤكــده صلى الله عليه و سلم في الحديث القدسي:﴿ إِنّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَ أَنَّهُمْ أَتَتْــهُمْ الشَّيَّاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا حَلَلْتُ لَهُمْ وَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِه سُلْطَانَا... ﴾ [2] و بقوله صلّى الله عليه و سلم كذلك: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَ يُولَــدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَــاءَ هَــلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ "[3].

و مما يؤكد أنّ الإنسان ذو فطرة قوله تعالى:.﴿ ...فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَــرَ النَّــاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ... ﴾ (الروم : 30)،ففي هذه الآية إشارة تأكيد على أنّ الإيمــان ليس غريبا عن ذات الإنسان، فهو يولد و لديه استعداد فطري للدين الحنيف، بلا زيــغ أو انحراف. و إشارة من جهة ثانيّة إلى ما يحق بالإنسان، و ما يحدثه تأثير الوالدين و البيئــة الاجتماعية و الثقافية التّي ينشأ فيها ــ و هو طفل ــ من تأثير في فطرته، ممّا يجعلــها تنحرف به إلى غير فطرة الله التّي فطره عليها، كما يحدث صاحب البهيمة تشــويها فــي بهيمته حينما يشق أذنها أو أنفها. فالإنسان يولد مزودا بحاسة روحيّة تعــبر عــن إيمــان فطري بوجود قوة خفيّة تسيطر عليه و على الحياة من حوله.[4]

---

[1] محمد التومي : المرجع السابق ، ص: 60.

[2] منصورعلي ناصف:التاج الجامع ــالأصول لأحاديث الرسول ــ،دار الفكر،القاهرة،مصر، د.ط ،1975م، ج: 5،ص:173 . ورواه مسلم : صحيح مسلم ، المرجع السابق ، ج: 4 ، ص : 166 .

[3] رواه مسلم : المرجع نفسه ، ج: 4 ، ص: 46 .

[4] عبود عبد الغني:العقيدة الإسلامية و الإيديولوجيات المعاصرة،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،ط2،1980،ص:104.

و ممّا سبق يتبيّن أنّه ما كان للإنسان أن يكون متديّنا ما لم يكن في طبيعته استعداد فطري لذلك، و لكن لا نستطيع أن نفهم من فطريّة التديّن انطباع جميع صور العقيدة الدينيّة في طبيعة الإنسان ، إنّما نفهم استعداده للمعرفة اليقينيّة، التّي تهديه إلى الإيمان بالله تعالى و تقدير عظمته و قدرته.

و على هذا الأساس فإنّ التوحيد الذّي نزل منّ السماء عن طريق الوحي يؤمن به كلّ النّاس ــ لم تتبدل فطرته ــ، إلاّ أنّ معرفة الله عن طريق الفطرة إجماليّة كليّة، ومعرفته عن طريق الوحي تفصيليّة بيانيّة [1].و معنى ذلك، أنّه لو كانت جميع الصفات الإلهيّة، و أحكام العبادات التّي جاء بها الإسلام مفصلة ، موجودة في طبيعة الإنسان ، لجنّبته كلّ الانحرافات ، و ما يقوم به الآباء من تطبيع أبنائهم بعقائد مختلفة، ــ كما جاء في الحديث السابق ــ ، الذّي يحمّل الآباء مسؤولية سوء تربيّة أبنائهم و زيغهم عن الإيمان؛ و قد ذكر الله تعالى في الآية التّي ذكرناها من قبل (الروم:30)، أنّ تلك الفطرة لا تتغير و لا تتبدل.

و قد سجل القرآن الكريم على كلّ النّاس معرفتهم و علمهم بأنّه لا شريك لله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21)الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(22)** ﴾ (البقرة :21-22) .فنداء الله عزّ وجلّ في هذه الآية للنّاس جميعا مؤمنهم و كافرهم ، ثمّ يثبت عليهم جميعا علمهم بأنّه ليس لله أندادا، و أنّهم جميعا يعلمون أنّ الله واحد[2]. يقول الله تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ (الزخرف:87).

و من هنا كانت مهمّة الأنبياء و الرسل، ذات جانبين: جانب عقائدي، و جانب تعليمي أو تشريعي.

ففي الأوّل مهمّة الأنبياء و الرسل تذكيريّة ــ يذكرّون بالله و بصفاته الكاملة ــ، و قد بيّن هذا القرآن في قوله تعالى:﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**﴾ (الفاشية : 21-) ، و قوله تعالى أيضا:﴿ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً** ﴾(الإنسان :29)

---

[1] الدسوقي فاروق أحمد: المرجع السابق ، ص:26.

[2] الصابوني محمد علي: المرجع السابق ج:1، ص:41.

أما في الجانب الثاني فمهمّة الأنبيّاء و الرسل تعليميّة و تشـــريعيّة ،لأنّ معرفـــة الفطرة لا تكفي الإنسان للوصول إلى التّوحيد المنطلق من معرفة أسماء الله عـــزّ وجـــلّ وصفاته، و مصير الإنسان و الهدف من وجوده و الحكمة من خلقه ، و كيفية توحيـــد الله تعالى ، و هذه كيفيّة عمليّة تتحقق بالسلوك الإنساني ــ سواء أكان فرديا أم اجتماعيـــا ــ، لأنّ الشريعة ليست سوى الحياة وفق مقتضيات التوحيد الإسلامي .[1]

و هذه المهمّة هي ما عبّر عنها القرآن بالتزكيّة في مثل قوله تعالى:﴿ **كَمَا أَرْسَـــلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُـــمْ مَـــا لَـــمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾(البقرة151).

و لا ريب أنّ الغرض من شرع هذه المهمّة بجانبيها ليس الوصول إلى مزيد مـــن الربح المادّي أو اللّذّة الجسديّة ، و لكنّه إبعاد كلّ ما من شأنه أن يغزو الرّوح الإنسانيّة من مثل العوامل الشهوانية لدى الإنسان و ما سلط عليه من وساوس الشياطين و ما يحفّ بـــه من ظروف لا تتفق مع فطرة الإنسان الصافيّة [2]، فلا يجد منها مهربا إلا الالتجاء إلى الله فيتجه إليه سبحانه و تعالى بدافع فطري طالبا منه المعونة والنجدة مما يحيـــط بـــه مـــن أخطار[3]. قال الله تعالى:﴿ **قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَـــةً لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ** ﴾(الأنعام: 63) .

و كون الإنسان في كلّ مكان، و في جميع عصور التاريخ، منذ بدء الخليقة حتّـــى الآن ، إنّما يشعر في حالات الخطر التّي تحدق به، بحافز إلى الاســـتنجاد بقـــوة أســـمى وأقوى و أعظم منه، إنّما يدل على أنّ الدّين فطري في طبيعة الإنســـان[4]. و لـــهذا نجـــد بعض الفلاسفة يقول:" إنّ الميل إلى الله شهوة حقيقية في طبيعتنا الإنسانيّة ... و أنّ المتّجه إلى الله كالعطشان في أرض وعرة جافة خالية من الماء"[5]

---

[1] الدسوقي فاروق أحمد : المرجع السابق ، ص: 32.

[2] البوطي محمد سعيد رمضان : ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص: 52 و 55 .

[3] الخولي البهي : المرجع السابق ، ص: 167 .

[4] كرسي موريسون : العلم يدعو إلى الإيمان ، ترجمة : محمودصالح الفلكي، مكتبة النهضة، القاهرة ، مصر ، ط5 ، 1965 م ، ص: 202.

[5] محمد كمال إبراهيم جعفر:في الدين المقارن،دار الكتب الجامعية،القاهرة ،مصر،د.ط،1986م،ص:36.

2 ــ العبادات:

تعتبر العبادات الصّور المحدّدة التّي رسمها الإسلام للتقرب بها إلـــى الله تعـــالى ، واتخذها شعائر مميّزة له ، و عيّن لها مواقيت و مقادير و كيفيات لا مجال فيها لتبديـــل أو تعديل .

و لعلّ من أوكد الأعمال التعبديّة في نظر القرآن ، إقامة الصلاة ، فهي العبادة التّي اعتنى بها القرآن عناية فائقة ، فقد ذكر مادتها ستّا و تسعين مرة [1] ،و فرضها الله علـــى المؤمنين كتابا موقوتا ، و أمرهم بإقامتها حين يمسون و حين يصبحون ، و عشيّا و حيـــن يظهرون ، فقال تعالى :﴿ **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**﴾ (النســـاء:103) ، و تكرار الصّلاة خمس مرات في اليوم هي أسمى عوامل تطهير الإنسان ، و فـــي هـــذا المعنى قال الرّسُول صلّى اللّهم عَلَيْهِ وسَلَّمَ :" **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْـــهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**" [2].

و ليس أثر الصلاة مقصودا على غسل الأبدان و لكنّها تقوم بمهمّة أخرى إيجابيّـــة تكمن في تلك اللّحظات الخصبة المباركة ، تلك المرات الخمس المفروضة التّي ينـــتزع الإنسان فيها نفسه كلّ يوم من دنياه ــ دنيا الطين و الحمأ المسنون ، دنيا الصراع وتنـازع البقاء ــ ليقف بين يديّ الله لحظات خاشعة يخفّف بها من غلواء الحياة ، و ضغط الطيـــن والمادة الكثيفة على الأرواح [3].إنّها تقوم بتغذية الجانب الروحي في كيان الإنسان؛ و هـذه الصّلوات الخمس هي وجبات الغذاء اليومي للرّوح الإنسانيّة .

ففي الصّلاة مناجاة الإنسان ربّه بالهداية إلـــى " الصـــراط المســـتقيم " و العـــون والمساعدة على الإتيان بكل عمل فيه خير و طاعة لله عزّ و جلّ فهي شحنة روحيّة تنـــير قلب الإنسان و تشرح صدره ، و تأخذ بيده من الأرض إلى السماء ؛ و فـــي شـــأن هـــذه المناجات يقول رَسُولَ اللَّهِ صلّى اللّهم عَلَيْهِ وسَلَّمَ ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ **قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِـــي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللَّـــهُ**

---

[1] محمد فؤاد عبد الباقي : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، المرجع السابق مادة " الصلاة "

[2] رواه مسلم : صحيح مسلم ،المرجع السابق ،ج:1،ص:205.

[3] القرضاوي يوسف:الإيمان والحياة،دار الشهاب،الجزائر،1987م،ص:127.

تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ﴾ [1]

و من حكمة الصّلاة في الإسلام ، أنّها تمدّ الإنسان بقوة روحيّة تعينه على مواجهة الحياة و مصائب الدنيا [2] ، و لذا قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة :153) ، و قوله أيضا :﴿ ...وَأَقِمْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ... ﴾ (العنكبوت : 45) .

و الصلاة التّي يريدها الإسلام ليست مجرّد أقوال باللّسان و حركات تؤديها الجوارح ، بلا تدبّر العقل و لا خشوع القلب ، بل الصّلاة التّي يريدها، هي التّي يكون حضور القلب و العقل معا . إنّه التكامل بين الإدراك و الوجدان بما يسفر عن حسن أداء العبادات و تحقيق فعل الخيرات ، و اهتداء الإنسان إلى إدراك حقيقة نفسه . ففي الصّلاة يتوجّه الإنسان بكل جوارحه و حواسّه إلى الله تعالى ، و ينصرف عن كلّ مشاغل الدنيا ومشاكلها ، و لا يفكر في شيء إلاّ في الله سبحانه و تعالى، و ما يردّده من آيات القرآن .

إنّ هذا الانصراف التام عن متاعب الحياة و همومها ، و عدم التفكير فيها في أثناء الصّلاة ، بوقوفه أمام ربّه في خشوع كامل من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام [3]. و هذه الحالة تجلب للإنسان هدوءا نفسيّا يكون له أثره العلاجي في تخفيف حدّة التوّترات العصبيّة الناشئة عن ضغوط الحياة اليوميّة . و لهذا أجمع أطباء النّفس على أنّ علاج التوّتر العصبي ، و التأزّم الرّوحي يتوقف – إلى حدّ كبير – بالإفضاء بمبعث التوتّر و منشأ الأزمة إلى صديق قريب ، أو وليّ حميم ، فإذا لم نجد من

---

[1] رواه مسلم ، المرجع السابق ، ج :1 ، ص: 142

[2] التّومي محمد : المجتمع الإنساني في القرآن ، المرجع السابق ، ص: 202

[3] نجاتي محمد عثمان : القرآن و علم النفس ، المرجع السابق ، ص: 285

نفضي إليه كفانا الله و ليّا و في هذا يقول" توماس هايسلوب " إنّ الصّلاة أهم أداة عرفت حتّى الآن لبثّ الطمأنينة في النّفوس ، و بثّ الهدوء في الأعصاب " [1] .

فالاسترخاء و الهدوء النّفسيّ اللّذان تحدثهما الصّلاة في الإنسان يستمرّان عادة فترة بعد الانتهاء من الصّلاة فيواجهان المواقف المثيرة لقلقه مواجهة فعلية .و هذا ما يؤدّي في النهاية إلى تكوين ارتباطات شرطيّة جديدة بين هذه المواقف و استجابة الاسترخاء والهدوء النّفسيّ اللّذين تحدثهما الصّلاة ، و هي استجابة معارضة لاستجابة القلق [2] .

كما يقوم الإنسان عقب الصّلاة مباشرة بالتسبيح و الدّعاء ، و هذا ما يساعد على استمرار حالة الاسترخاء و الهدوء النّفسيّ ؛ إذ في الدّعاء يناجي الإنسان ربّه ، و يبثّ إليه ما يشكوا منه وما يعانيه في حياته من مشكلات تزعجه و تقلقه ، و يطلب منه أن يعينه على حلّها و يقضي حاجاته و هو كلّه أمل و رجاء .

و هكذا تصبح الصّلاة بما تحدثه من تزكية عاملا إيجابيا في جعل قوى النّفس المتضاربة منسجمة لا تشكو قلقا و لا اضطرابا ، و لا تعاني انفصاما و لا ازدواجية . وهذا يترتّب عنه صحّة نفسيّة أكثر انسجاما مع العالم الخارجي ، ممّا يؤهّله بحق إلى أن يكون إنسانا اجتماعيا .

و لهذا كان لصلاة الجماعة أثر علاجي هامّ ، فتردّد الإنسان على المسجد لصلاة الجماعة يتيح له فرصة التعرّف على كثير من النّاس ، ممّا يساعده على تفاعله معهم وتكوين علاقات اجتماعية سليمة ، ممّا يؤهّله إلى أن يكون إنسانا اجتماعيا [3] .

و على ضوء ما سبق ، فإنّ العبادات [4]هي غذاء الرّوح فيها تتصل بالله ، و انقياد الذات الإنسانيّة و خضوعها لمنهج الله و شرعه . ثمّ إنّ الإنسان عندما يدرك أنّه في حالة العبادة يتصل بالله بالتطهر من جميع الأنجاس الحسية و الرذائل ظاهرا و باطنا ، لهذا

---

[1] نقلا عن ديل كارنيجي :دع القلق و أبدا الحياة ، ترجمة:عبد المنعم الزيادي،مكتبة رحاب الجزائر، 1996 ص: 359.

[2] نجاتي محمد عثمان : المرجع السابق ، ص: 286.

[3] التومي محمد : المرجع السابق ، ص:100

[4] اقتصرنا على الصلاة كمثال على العبادات لأنها الركيزة الأساسية في الإسلام ، و لعلها أول العبادات فرضت على المؤمنين ، وإن كانت العبادات اسم جامع لكلّ ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال مثل الزكاة ، الصيام ، الحج ، الجهاد ، صدق الحديث ، الإحسان إلى الجار و الصبر ... للتوسع يراجع :القرضاوي يوسف :العبادة في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 24 ، 1993، ص: 10 وما بعدها .

يشعر الإنسان بعد أداء العبادة بمشاعر القوة و النشاط و الابتـــهاج ، و لـــهذا فـــرض الله الصلوات خمس مرات في اليوم للغذاء الرّوحي ليكون مفعما بالطاقة الروحية [1] .

3 ــ الأخلاق :

من مظاهر الحياة الروحيّة في طبيعة الإنسان ، ميله نحو الخير ، و لهذا " فالإنسان أخلاقي بطبعه ، أخلاقي بحكم فطرته المتضمنة لعنصر الأخلاقية " [2] . كما أنّـــه خـــيّر بطبعه . لأنّ الطبيعة الإنسانيّة تمتلك في ذاتها مقومات نموها و مناط تكليفـــها ، و لذلـــك فهي تتميّز بالأخلاقيّة . فقد غرس الله سبحانه و تعالى في داخل الإنسان بصيرة أخلاقيـــة فطرية ، فكلّ منّا يعترف بالفضيلة و يقدّرها و يحبّها [3] .

و إذا تأمّلنا مادة " خلق " في القرآن الكريم ، نجد أنّ الغزّالي قد حلّلـــها و صنّـــف فيها قسمين كبيرين في مجال الأخلاق :

أحدهما: يتّصل بالمعرفة النظرية ، و الآخر يتّصل بالسّلوك ، و خصّ بالقســم الأوّل (763 آية) ، و بالقسم الثاني (741 آية) ، فكان المجموع (1504 آية) ، وهـــي تمـــثّل مـــا يقرب من ربع عدد آيات القرآن الكريم [4] .

كما أظهرت البحوث التربويّة أنّ الإنسان يميل إلى سلوك الخير أكثر من ميله إلـــى سلوك الشّر ؛ فقلما يكون السلوك الشرير متّسقا ، أما السلوك الخيّر فيميل بطبعـــه إلـــى الاتّساق . فأبعد الأطفال عن الأمانة يكونون أمناء أحيانا ، و استعدادهم لتعلم سلوك الخير و الالتزام به يكون أكثر من استعدادهم لتعلم السلوك الشرير [5] .

و هذه الجوانب الخلقيّة في الطبيعة الإنسانيّة يعبّر عنها " بالاستعداد الخلقي " أو " الحاسة الخلقيّة " ؛ فالإنسان لديه حاسّة خلقية فطرية تمكّنه من التمييز بين الأفعال الخـــيّرة والأفعال الشرّيرة ، و تجعله ينزع للقيام بفعل الخير و ترك الشرّ و تجنّبه .

---

[1] مقداد بالجن : فلسفة الحياة الرّوحية ، المرجع السابق : ص: 47.

[2] سيد أحمد عثمان : المسؤولية الاجتماعية و الشخصية المسلمة ، المرجع السابق ، ص: 134.

[3] كمال محمد عيسى: كلمات في الأخلاق الإسلامية، دار المجتمع، جدة، المملكة العربية السعودية، 1988 م ، ص: 87.

[4] نقلاعن السيد محمد بدوي:الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعارف القاهرة، مصر، د.ط ، 1980 ،ص: 66 و ينظر : عبد الباقي محمد فؤاد : المرجع السابق ، مادة " خلق " .

[5] فهدي محمد علوان : القيم الضرورية و مقاصد التشريع الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1989 ، ص: 29.

و القرآن الكريم يزيد من تأكيد الحاسّة الخلقيّة في الطبيعة الإنسانيّة ، لأنّها تعد من الأصول التّي تستند إليها الغايات في حياة الإنسان ، كما أرادها الله عزّ و جلّ ، و في قوله تعالى :﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين : 04) ما يشير إلى أنّ الله قد أودع في الإنسان من القدرات و الاستعدادات و القابليات بما يمكّنه من تحصيل أسمّى درجات الكمال الإنساني، و التّي من مظاهرها أن يكون الإنسان مفتاح للخير ، مغلاقا للشرّ ، يتّجه نحو إحراز العمل الصّالح بقيم سلوكية قوامها الإيثار ، و قد جاء ذلك مؤكّدا في قول الرسول صلى الله عليه و سلم:" **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ** " [1] فالفطرة هي فطرة الإسلام و فطرة التّوحيد ، و هي فطرة قوامها الدعوة إلى الخير و العمل الصالح و الرّحمة [2] .

فالخلق الفاضل فطريّ في الإنسان وقد جاء الإسلام ليزيده ترسيخا ،و هذا ما بيّنه الرّسول صلى الله عليه و سلم في قوله : " **بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ** " [3] .

و لمّا كان الإنسان مفطور على معرفة الحق و محبة الخير ؛ فهناك من يعتصم به لتغلّب الفطرة و الحسّ الخلقي على تنبيه الجانب الرّوحي فيه ، و هناك من يضلّ عن الحقّ والخير لتغلّب الغرائز و النزاعات عليه لإشباع الجانب المادّي فيه [4]. فلكلّ من الرّوح والمادة مطالب فطرية تتلاءم مع طبيعة الإنسان ، فالرّوح تتطلب السموّ إلى عالم الخير المطلق، و تتوق إلى التحرّر من مطالب الرّوح ، فكان على الإنسان أن يتّخذ هذا الوضع أو ذاك : وضع سيطرة الجسم على الكيان الممتزج ، أو سيطرة الرّوح .

و من هذا نفهم أنّ الإنسان يشتمل على استعداد للخير و استعداد للشرّ. قال الله تعالى:﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ (الإنسان :03) و قال أيضا: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ (البلد : 10) .

---

[1] سبقت الإشارة إلى تخريج الحديث (ص:108).

[2] الألوسي: تفسير الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان د.ط ، د.ت ، ج:21، ص: 40

[3] رواه أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، المرجع السابق ، ج:2 ، ص: 381.

[4] كمال محمد عيسى : المرجع السابق ، ص: 87.

و من هنا نرى أنّ الإنسان ينزع إمّا إلى الخير و إمّا إلى الشـــرّ و ذلـك بتغليـب الاستعداد الخيري على الاستعداد الشري أو العكس ، "و في ذلك لا يكبت نشاط الجسـم ، و لا تمتّع لحظات الجنوح الطبيعيّة التّي يجنح فيها الإنسان بجسده في لذة أو متـــاع ... ، وإنّما ينطلق الجسم، و الرّوح ما تزال ممسكة بالقيادة ، فتسمح بالمتـــاع و لكنّـها تمنـع الفحش و الإسراف " [1].

و بهذا يكون الخير صادرا عن طبيعة الإنسان حسب تركيبه الأوّل الذّي خلق به ، و يكون متمشّيا مع الفطرة التّي فطر عليها ، و مع الاستعداد الخيريّ الذّي يغلب عليه فـي جميع الأحوال لأنّه ناشئ عن الحقيقة الطبيعيّة للإنسان .

و هناك من البراهين ما يشير إلى أنّ للإنسان قدرة على الإحساس بالبرّ فالإنسان السوّي يفعل البرّ و هو مطمئن القلب و النّفس ، و إذا أقدم على فعل يدرك أنّ فيـه إثمـا يشعر بالقلق و التردّد و يخاف من اطلاع النّاس عليه ، و مما يؤكّد ذلك قول رسـول الله صلى الله عليه و سلم للسائل عن البرّ و الإثم : " **البرُّ حُسْنُ الخُلُق ، وَ الإثْمُ مَا حَاكَ فـي نَفْسكَ وَ كَرِهْتَ أنْ يَطَّلعَ عَلَيْه النَّاسُ** " [2] و في رواية قال له : " **اسْتَفْت قَلْبَكَ وَ اسْـتَفْت نَفْسكَ ، البرُّ مَا اطْمَأنَّتْ إلَيْه النَّفْسَ وَ اطْمَأنَ إلَيْه القَلْبُ ، وَ الإثْمُ مَا حَـاكَ فـي نَفْسـكَ وتَرَدَّدَ في الصَّدْر وَ إنْ أفْتَاكَ النَّاسُ وَ أفْتُوكَ** [3].

و من ثمّ فإنّ في الإنسان واعظا يأمره بفعل الخير و ينهاه عن فعل الشـرّ ، و إنّ صلاح الإنسان يكمن في تربية وجدانه ، و لهذا نجد في مجـال المسـؤوليّة ، العنصـر الخلقي الذّي يتضح في شعور الإنسان بأنّه مصدر أفعاله و قدرته على تحمل نتائج هـذه الأفعال ، و الأكثر من هذا أهمية ــ كما يوضح جومبرج Gomberg ــ أنّنا لا نعـد الفـرد مسؤولا عن أفعاله و نتائجها فحسب ، بل نعده مسؤولا ــ كذلك ــ عن تفصيلاته و اتخـاذ قراراته ، و كلّ ما يمكن أن يعتقد فيه أنّ الإنسان مسؤول بسببه عن أداء الفعل على نحـو ما قام به [4] . والمسؤولية الخلقية بهذا المعنى يكون موضوعها ذا طبيعة مزدوجة تجمـع

---

[1] قطب محمد : دراسات في النفس الإنسانية ، المرجع السابق ، ص : 338.

[2] رواه الترمذي : المرجع السابق ، ج:3، ص: 115.

[3] رواه مسلم : صحيح مسلم ، المرجع السابق ، ج:3 ، ص: 111.

[4] H. Freeman, Egoisme, community And Rational Moral Education "Educational Philosophy And Theary " 2-9 Octobre – 1977- P.P 206-207

بين تحقيق الخير الأقصى عن طريق فهم طبيعة المثل العليا التّي توجه السلوك الإنساني ، و بين السعي لتحقيق هذا الخير و ممارسة الفضيلة عن طريق الربط بين هذه المثل بتقدير من العقل و الضمير ، و بين ميدان السلوك . و على ذلك فإنّ المسؤولية الخلقيّة تنشأ في ضمير الشخص المسؤول بسبب العلاقة النفسيّة بين هذا الضمير و الحادث نفسه [1]. ولعلّ جواب الرّسول صلّى الله عليه و سلم السائل عن البرّ و الإثم أكبر دليل عن هذه العلاقة النفسيّة . كما أنّ في الأخلاق نشاط عقلي يجعل الذات الإنسانيّة تطمئن بتسويغ سلوكها وفقا لمبادئها ، بما يحقق طمأنينة القلب و النّفس و فعالية السلوك ، و فيها مجال لتزكية النّفس و تربية الرّوح و الضمير. إنها بهذا المعنى تعني بالشخصيّة الإنسانيّة في تصرفاتها المختلفة ، تصرفات تعكس ما يؤمن به الإنسان من قيم و أسلوبه في التعبير عنها في مواقف الحياة المختلفة [2].

و على هذا الأساس حدّد الإسلام للإنسان إطارا أخلاقيا على أساس تصوره للكون و الحقائق الموجودة فيه ، ثمّ على أساس حقيقة تكوين وصلة الحقائق الداخلة في طبيعة الإنسان بالحقائق الكونيّة [3]، و على ذلك فقد جاءت الأخلاق الإسلاميّة في تصور شامل متوازن منظور فيه إلى غاية الوجود و طبيعة الكون و مقومات الطبيعة الإنسانيّة .

و بهذا المعنى فإنّ ربانيّة المنبع القيمي لا تقيد حركة الإنسان و لا تحد من انطلاقه الفكري،و لكنها ترسم له الطريق و تضع له المعالم بحيث لا يضل و لا يطغى [4]. و من ثمّ فإنّ تفاعل الإنسان مع مواقف و خبرات الحياة لإشباع غرض معين ، أو لتحقيق هدف مأمول يخضع لطبيعة الأساس الواقعي للأخلاق الإسلاميّة ، و الإنسان لا يقتصر فقط على هذا المستوى من التفاعل ، بل هو مدفوع لتجاوز هذا الواقع و يسمو بحياته إلى الدرجة التّي أراد الله بالإنسان أن يرقى إليها .

---

[1] جان بياجيه : الحكم الخلقي عند الأطفال ، ترجمة : محمد خيري حربي ومحمد ثابت الفندي ، مكتبة مصر ، القاهرة، مصر ، د.ط ،1956 م ، ص: 304 .

[2] عبدالغني عبود : المسلمون و تحديات العصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1985 م، ص: 213.

[3] محفوظ علي عزام : الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار الهداية ، القاهرة ، مصر ، 1986 ، ص: 227.

[4] جابر قميحة: المدخل إلى دراسة القيم الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر، 1984 م ص: 12.

و استنادا إلى ما سبق ، فإذا كان الإسلام قد شرع للأخلاق مبادئها و حدّد غاياتها فإنّها تعد الجوهر الذّي تلتزم به الذات الإنسانيّة في تأكيد علاقتها المختلفة ، و من ثمّ يعد الالتزام الخلقي هو الشرط المسبق لتحكيم منهج الله في الحياة .كما أنّ ميل الإنسان إلى التخلّق بالأخلاق الفاضلة و الالتزام بقواعد خلقيّة معيّنة ينفّذها و يطبّقها في حياته ، من الخصائص الفطريّة التّي يمتاز بها عن بقيّة الحيوانات ، حتّى أنّه :" لو وجد نفسه طليقا من كلّ التزام خارجي لفرض على نفسه أمورا معيّنة و التزم بها ، إرضاء لما في طبيعته من ميل للالتزام ، و من ثمّ فالفوضى المطلقة لا وجود لها ، و لا يمكن أن توجد لأنّها ليست من طبيعة الإنسان " [1] .

و من هنا ندرك أنّ أصل الخلقة في الإنسان خيّر بطبعه ، يولد على الخير، وبطبيعة خيّرة حميدة نقيّة ، إلاّ أنّ هذه الفطرية ــ فطرية الخير ــ في الإنسان لا تعني أنّه لا يفعل الشّر ، و إنّما تعني أنّ الشرّ خارج عن طبيعته ، فهو عندما يفعله إنّما يفعله عن خطأ أو عن جهل أو لتأثير عوامل البيئة السّيئة المحيطة به . كما لا تعني فطرية الخير في الإنسان أنّه يولد مسلم بالفعل ، بل الذّي تعنيه أنّه يولد و لديه استعداد فطري لقبول الإسلام باعتباره دين الحقّ المساير لروح الفطرة السليمة الخيّرة . و في هذا يقول محمّد الغزالي : " إنّ فطرة الإنسان خيّرة ،و ليس معنى هذا أنّه ملاك لا يحسن إلاّ الخير ، بل معنى هذا أنّ الخير يتواءم مع طبيعته الأصليّة ، و أنّه يؤثر اعتناقه و يعمل به، كما يؤثر الطيّر التحليق ، إذا تخلّص من قيوده و أثقاله ، فالعمل الصحيح في نظر الإسلام هو تحطيم القيود و إزالة الأثقال أوّلا ، فإذا جثم الإنسان على الأرض بعدئذ ، و لم يستطع سموّا ، نظر إليه على أنّه مريض ، ثمّ سرت له أسباب الشّقاء [2].

لذا فإنّ في طبيعة الإنسان صفات سلبية ذكرها القرآن الكريم ، و حين يذكرها ، يجعل للشرّ منها موطنا للحذر و اليقظة و عدم الإفراط فيها ، والتنبّه إلى خطورتها حال

---

[1] ابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد : تهذيب الأخلاق ، المرجع السابق ص: 10.

[2] محمد الغزالي : خلق المسلم ، مكتبة رحاب، الجزائر ،ط 15 ، 1987 ، ص : 29 .

الاسترسال فيها ، و سنقدم من تلك الصفات ما يلي[1] :

أ – ضعف الإنسان :

يحرص القرآن على تذكير الإنسان بهوانه وضعفه ، كبحا لجماح غروره كي لا يتجاوز قدره ، فالإنسان خلق ضعيفا مادة و معنى ، حسّا و اختيارا و إرادة ، فكان من رحمة الله به تكليفه بما يستطيع تحمّله ، تكليفا خفيفا سهلا يسيرا ، فلم يشرّع له من العبادات إلاّ ما فيه اليسر ، و ذلك إحسانا منه سبحانه و تعالى إلى الإنسان ورأفة به، وممّا يؤكّد ضعف الإنسان قوله تعالى:﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ (النساء : 28) فهذا الوصف يشير إلى تركيبه و طبيعة الإنسان ، قال القرطبي : " إنّ هواه [الإنسان] يستمليه ، و شهوته وغضبه يستحقانه و هذا أشد الضّعف "[2] . ويظهر هذا الضعف في أنّه عاجز عن مخالفة هواه لا يصبر عن اتّباع الشهوات ، ليشبع رغائبه لما فيه – الإنسان – من غريزة " التّملّك " مثلا ، لهذا ضمن الله لعباده الرزق و يسّره لهم تطمينا لهم ومراعاة لما في طبيعتهم من ضعف فقال تعالى : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ (هود: 06) .

ب – عجلة الإنسان .

العجلة إحدى طبائع الإنسان تدفعه دائما ليتطلّع إلى ما بعد اللحظة القادمة لما سيكون من أعمال و أحداث ، أو ما هو كائن فعلا في اللحظات القادمة مباشرة ، فهو يتعجّل النتائج عادة، و يلحّ في طلب الخير ، و لا يتأنّى تأنّي المبصر في محاولات الحصول على الأرباح و المنافع ، لذلك فهو يدعو بالشرّ مثلما يدعو بالخير ، قال تعالى واصفا فيه هذه الطبيعة السيئة : ﴿ **وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ**

---

[1] للتوسع يراجع:العقاد عباس محمود : الإنسان في القرآن ، المرجع السابق ، ص: 13 و ما بعدها
و– الزحيلي وهبة : الإنسان في القرآن ، مقال بمجلة الحضارة الإسلامية تصدر عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية – وهران –، الجزائر ، العدد الرابع ، شعبان 1419/ نوفمبر 1998م ، ص: 70 و ما بعدها
و– البيانوني أحمد عز الدين : هذا الإنسان ، دار السلام للطباعة و النشر والتوزيع و الترجمة ، حلب، سوريا ، 1406هـ/ 1986م ، ص: 39 و ما بعدها.

[2] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، المرجع السابق ، ج.9، ص: 171.

عَجُولاً ﴾ (الإسراء :11)، و قال كذلك :﴿ **خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ (الأنبياء:37).

و من هنا يبدو أنّ الإنسان خلق عجولا يستعجل كثيرا من الأشياء و الأعمال ، وإن كانت مضرّة ، قال ابن كثير " والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا أنّه لما ذكر المستهزئين بالرّسول صلّى الله عليه و سلم وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلوا ذلك." [1]

ج ــ حب الجدل لدى الإنسان :

إذا كان القرآن قد وصف الإنسان بالضعف و العجل ، فإنّه قد وصفه أيضا بأنّه ميّال إلى الجدال و العناد ، فمن طبيعة الإنسان الجدل و الخصومة، لا ينيب لحق و لا ينزجر لموعظة. و الجدل نوعان [2]: محمود و مذموم ، فالمحمود : هو الإقناع بالحقّ وبالحجة قال تعالى :﴿ **وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...** ﴾ (العنكبوت : 46) و قال أيضا: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ(74)إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ(75)** ﴾ (هود : 74-75) . فأشار بالثّناء على إبراهيم إلى أنّ جداله محمود ، و الجدل المحمود مطلوب عند الحاجة إليه . أمّا الجدل المذموم فهو منبوذ منفّر موقع في الضّلال ، ينهى عنه القرآن ، و يبقى من صفات المشركين لأنّه محاولة لإقرار الباطل ، بعد اتضاح الحقّ [3].

يقول تعالى في وصف ميل الإنسان للجدل: ﴿**...وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ (الكهف :54) ، فطبيعة الإنسان الجدل و الخصومة ، وليس المراد بالإنسان هنا ، الإنسان الكافر كما في قوله تعالى:﴿ **وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا** ﴾(مريم: 66) ، و لا المراد بالجدل ، الجدل الباطل،لأنّ هذا سيجيء تبعا للآية في قوله تعالى:﴿ **وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا** ﴾(الكهف:56) ،

---

[1] ابن كثير : مختصر ابن كثير ، المرجع السابق ، ج:2 ص: 508 .

[2] ا بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ،المرجع السابق،ج:15،ص:347.

[3] الزحيلي وهبة : المرجع السابق، ص: 73

و قوله كذلك في آية أخرى : ﴿ **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ (غافر:05) ،فقوله تعالى في الآية السابقة:﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾ تمهيدا لقوله تعالى بعده :﴿ **وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾. (الكهف:56).

د ــ نزوع الإنسان إلى البطر و الطغيان .

إنّ القرآن يتحدث عن حالة الإنسان في الشدّة و الرخاء حديثا يلمس أعمق أعماق الطبيعة السلبيّة في الإنسان الذّي لم يمارس إيمانه الكامل بعد .

فالإنسان ميّال غالبا إلى البطر عند النّعمة ، و الاسترسال في الملذّات حين السّعة ، و الانسياق في الشهوات حال الرفاهيّة [1]،و الطغيان إذا رأى نفسه غنيّا . فإذا أصبح ذا ثروة و مال أشر و بطر ، و قد ذكر القرآن هذا التمرّد الإنساني ، فقال تعالى :﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى** ﴾(العلق : 6-7).و قال أيضا :﴿ **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ(51)**﴾ (فصلت: 51)،و يقول كذلك ﴿ **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا** ﴾ (الإسراء : 83)

ومن هنا نفهم أنّ الإنسان ابتعد عن شكر ربّه ، واستكبر عن الانقياد لأوامره ، وشمخ بأنفه تكبّرا و ترفّعا ، و إذا أصابه المكروه فهو ذو دعاء كثير ، يديم التضرّع ويكثر من الابتهال ، و هكذا طبيعة الإنسان الجحود و النّكران ، يعرف ربّه في البلاء وينساه في الرّخاء . و هذا كلّه شأن جاحد النّعمة ، ضعيف الإيمان ، أمّا الإنسان المؤمن فشأنه الشكر عند الرّخاء و الصبر عند البلاء ، و الرضا بالقضاء [2] ، و لذا ورد استثناء المؤمنين عقب قوله تعالى في آيتين :﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ(9)وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ** ﴾ (هود : 09 ــ 10) و قال سبحانه عقب ذلك : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ (هود : 11)

---

[1] الزحيلي وهبة : المرجع السابق ، ص: 71.

[2] الزحيلي وهبة : المرجع نفسه ، ص: 72.

هـ ــ الاتّصاف بالهلع و الجزع و البخل :

لقد نبّه القرآن الكريم إلى طبيعة الإنسان في اتّصافه بالهلع و الجزع و المنع،و هذه صفات ذميمة ، فالإنسان يجزع و يتألّم حين نزول الشرّ به ، و يبخل عند إقبال الخير عليه،و هذا ما يذكره قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21)** ﴾ (المعارج : 19-21).

غير أنّ هذه الصفات الذميمة لا تلازم إلاّ الإنسان المنحرف عن الإيمان بالله وغير القائم بما أوجب الله من اتبّاع منهجه و شرعه ، أما الإنسان المؤمن الذّي يمثل التكامل الإنساني في الالتزام بما شرع له فقد استثناه الله تعالى من هذه الطبيعة الذميمة. ووصفه بالصفات التاليّة :

1. أداء الصلاة و المواضبة عليها :﴿ **إِلاَّ الْمُصَلِّينَ(22)الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ (المعارج 22-23) .
2. أداء الزكاة و الواجبات الماليّة:﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(24)لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾(المعارج: 24-25)
3. التصديق بيوم الجزاء : ﴿ **وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ (المعارج :26)
4. الخوف من عذاب الله :﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ(27)إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ(28)** ﴾ (المعارج : 27-28) .
5. العفّة والبعد عن الفاحشة :﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(29)إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(30)** ﴾(المعارج : 28) .
6. أداء الأمانات و الوفاء بالعهود :﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ (المعارج: 32) .
7. أداء الشهادات بحقّ :﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ** ﴾ (المعارج : 33).
8. الحفاظ على الصّلاة الكاملة :﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ (المعارج: 34)

كما وصف القرآن الإنسان بالفتور ، قال تعالى :﴿ **قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا** ﴾ (الإسراء : 100)، فكان الإنسان شحيحا مبالغا في البخل [1] ؛ لهذا أمر الله المؤمنين حماية أنفسهم من هذه الصفة الذميمة فقال تعالى:﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُون** ﴾ (التغابن : 16).

و ــ قلة الوفاء بالمعروف وعدم الثبات على المبدأ :

بيّن لنا القرآن أنّ من شأن الإنسان أن ينسى ربّه في حال النّعمة و القوة ، و من شأنه أن لا يصمد أمام كلّ حال ، و من شأنه أن تنهار إرادته ، فإذا مسّه الضّر أقبل على ذكر الله في تضرّع و ابتهال ، و إذا مسته الخير أعرض و نأى بجانبه ، فوصف لنا القرآن هذا الواقع بقوله تعالى :﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (يونس : 18) و بقوله أيضا :﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ (إبراهيم : 34) .

و من هنا يبدو أنّ الإنسان يظلم النّعمة بإغفال حمد الله و شكره ، و هو شديد الكفران بها ، و المراد بالإنسان هنا الجنس البشري فلا يراد به الواحد ، بل يراد الجميع ، إنّ البشر كلّهم يتميزون بهذه الصفات ــ بتفاوت ــ ما عدا الأنبياء والرّسل و أولياء الله الصالحين [2].ومما يؤكّد كفر وجحود الإنسان قوله تعالى:﴿ **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾ (عبس:17) .

و بعد ما بيّنا هذه الصفات السلبيّة لدى الإنسان من خلال الآيات المتقدّمة ، ندرك أنّ القرآن قد وصف الإنسان ــ بعمومه المطلق كإنسان ــ بأنّه خلق فطرة و جبلّة : ضعيفا، عجولا ، محبّا للجدل ، يئوسا ، كفورا ، قتورا ، هلوعا، جزوعا ،منوعا ، ظلوما، كفّارا ، و شديد الحبّ للمال . و ربما غير ذلك ليس في الوصف المباشر . كما ذكر القرآن أنّه قد " زيّن " للإنسان ــ أي زرع فيه و جبل عليه ــ حبّ الشهوات من النّساء ،

---

[1] الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير ، المرجع السابق ، ج:2 ص: 178 .

[2] الزحيلي وهبة : التفسير المنير ، المرجع السابق ،ج:13ص: 257.

و البنين و المال و الركوب و الحيوانات و الحرث [1]. كما في قوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ (آل عمران: 14)، و هذه كلّها طبائع في الإنسان و صفات فطر الله النّاس عليها﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ (الرّوم : 30) .

و بعد أن وصف القرآن طبائع الناس و بيّن صفات جبلّته ، استثنى فئات معيّنة بطبائع و صفات خاصة ، فيكون بذلك قد استثناها من الجبلّة العامّة عن طريق ربطها بالعقيدة و الإيمان و السّموّ الرّوحي ،و في هذا رجعة و تذكير إلى الجانب الرّوحي لدى الإنسان الذّي عرفناه في الفقرات السابقة .

فالإنسان المؤمن ، وإن جبّل على هذه الطبائع و الصفات الإنسانيّة ، إلاّ أنّه استطاع بإيمانه و عقيدته و إرادته و رغبته في حبّ الله و التقرّب منه و إليه ، أن يترفّع عن هذه الجبلّة و يسمو بها إلى درجة أعلى و منزلة أرفع ، لهذا نجد في بعض الآيات استثناء مثل قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3)** ﴾(العصر : 2-3) .

و عندما خاطب القرآن الذّين آمنوا في قوله تعالى :﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ** ﴾ (الحجرات:07) ، أخبرهم بأنّه سبحانّه حبّب إليهم الإيمان و زيّنه في قلوبهم و كرّه إليهم الكفر و الفسوق و العصيان .

و لما ذكر القرآن الكريم صفات المؤمنين ذكر سمات تتعلّق بالعقيدة و العبادات و العلاقات الاجتماعية و الأسريّة و سمات خلقية و انفعاليّة و عاطفية وعقلية و معرفية ، و أخرى تتعلّق بالحياة الوظيفية ، بل و حتّى سمات بدنية .

---

[1] المراغي : تفسير المراغي ، الورجع السابق ، ج 3 ص: 108 و ما بعدها .

و في مقابل صفات و طبائع المؤمنين يذكر القرآن صفات و طبائع سلبيّة مقابلة أو مضادّة لدى المنافقين، و مجموعة أخرى لدى الكافرين والمشركين ،كمايصف بني إسرائيل ، ومجموعة من الأعراب في سورة براءة وصفا خاصّا كذلك.

ووصف أقواما بأسمائهم و طبائع معيّنة كلاًّ على حدة، ولا داعي للتفصيل في هذا المقام لأنّ ما يهمنّا هو طبائع الإنسان عامّة .

و إذا حاولنا جمع صفات الإنسان و طبائعه التّي ذكرها القرآن يمكن القول : في نفس الإنسان : كبر إبليس ، حسد قابيل ، عتوّ عاد ، طغيان ثمود ، جرأة النّمرود ، استطالة فرعون ،و بغي قارون [1]. فهذه الطبائع و الصفات هي فطريّة أوّلا ، و عامة مشتركة في كلّ نفس إنسانيّة ثانيا، و إن كانت تتفاوت من شخص لآخر حتّى تضمحل ولا يبقى لها أثر يذكر عند الأنبيّاء و الرّسل صلوات الله عليهم وسلامه .

و في هذا المجال نجد الغزّالي قد حدّد لنا عشر طبائع سلبيّة في الإنسان سمّاها "المهلكات العشر " و هي [2]: البخل ، الكبر ، العجب ، الرياء ، الحسد ، شدّة الغضب ، شره الطعام ، شره الو قاع ، حبّ المال ، حبّ الجاه .

و ما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ طبائع الإنسان و صفاته ليست محدّدة إلى حدّ الثبات النّسبي !، بل هي قابلة للتغيير و التبديل المستمر بتغير الحالة الإيمانيّة أو الحالة العقائدية للفرد ، و ميله و سموّه لجانبه الرّوحي الطاّهر .

فلو أخذنا حديث الرّسول صلى الله عليه و سلم: " **مَنْ رَأى منْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيّرْه بيَده ، فَإنْ لَمْ يَستَطع فَبلسَانه ، فَإنْ لَمْ يَستَطعْ فَبقَلْبه ، وَ ذَلكَ أَضْعَفُ الإيمَان** " [3] لوجدنا أنّه إشارة واضحة إلى تغيير طبيعة المؤمن بتغيير درجته الإيمانيّة : فهو متدرج نزولا من التغيير باليد (القوة) إلى التغيير باللّسان (اللفظ) إلى الرفض الوجداني للمنكر (القلب) و هذا أضعف حالة إيمانيّة لدى الإنسان [4].

---

[1] ابن القيم الجوزية : الفوائد ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص: 160.

[2] الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين ، المرجع السابق ، ج: 3 ، ص: 260 .

[3] رواه مسلم ، صحيح مسلم ، المرجع السابق ، ج:2،ص: 211.

[4] العاني نزار : أضواء على الشخصية الإنسانية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق، 1989 م ، ص: 124 .

لقد حاولت في هذا الفصل أن أوضّح التكوين الرّوحي في الطبيعة الإنسانيّة ، حسب ما يمكن استخلاصه من القرآن الكريم ، وأن أتعرّف على خصائص الرّوح الإنسانيّة و مظاهرها في طبيعة الإنسان .

و قد تبيّن من عرض هذه المحاولة أنّ الرّوح من حقائق التكوين المعنوي في الإنسان ، و هو ما عبّر عنها " بالنفخة الإلهيّة " .

فبفضل هذه النفخة الإلهيّة الكريمة في تكوين الإنسان ، تحدّد البعد الروحي في طبيعته في ثلاثة مؤشرات : التدين ، العبادات و الأخلاق .

و لهذا البعد ركائز في الفطرة الإنسانيّة : هي الحاسة الدينيّة ، و الحاسة الخلقية .

و من ثمّ فإنّ بحسن تنمية هذه الإمكانات الفطريّة ، في ضوء ما جاء في القرآن الكريم و السنّة النبويّة من مبادئ و أحكام ، تتحدّد طبيعة الإنسان الروحية المطمئنة السليمة .

و لما كانت التكاليف التّي عَهد الله بها إلى الإنسان ليقوم بمهامّ الاستخلاف في الأرض ذات مغزى و مضمون دينّي و خلقي ، فإنّ الله سبحانه و تعالى لم يترك الإنسان دون إن يمّده بمقومات و استعدادات لإدراك هذه التكاليف . و في مقدّمتها العقل الذّي سنطرّق إليه في الفصل الرابع بعنوان " التكوين العقلي في طبيعة الإنسان " .

الفصل الرابع

التكوين العقلي في طبيعة الإنسان

أوّلا : مفهوم العقل والقلب.

أ ــ مفهوم العقل والقلب لغة.

ب ــ مفهوم العقل والقلب اصطلاحا.

ج ــ العقل والقلب في القرآن الكريم .

ثانيا : البعد العقلي في طبيعة الإنسان.

1. المعرفة .

2. التفكير .

إذا كنّا قد رأينا أنّ القرآن الكريم يذكر أهميّة الجسم لدى الإنسان و يعـــدّه التّكويـــن المادّي في طبيعته، و يذكر أهميّة الرّوح و يجعلها من حقائق التّكوين المعنوي في الإنسان ــ كما بيّنا في الفصل الثّاني و الثّالث ــ، فإنّنا سنّحاول أن نبيّن في هذا الفصل التّكويـــن العقلي في طبيعة الإنسان.

أوّلا : مفهوم العقل و القلب

أ ــ مفهوم العقل و القلب لغة :

من مرادفات العقل : الحجر، و النّهى و ضده الحمق ، و الجمع عقول، يقال :عَقَلَ يَعْقِلُ عَقلاً، فهو عَاقِلٌ و مَعْقُولٌ، رَجُلٌ عَاقِلٌ هو الجامع لأمره و رأيه، و قد يقصد بالعـاقل الذّي يحبس نفسه، و يردّها على هواها، و العقل : التّثبّت في الأمور،و العقـــل : القلـب، وسميّ العقل عقلا لأنّه يعقل صاحبه عن التّورط في المهالك، أي يحبسه ،و العقـــل هـــو التّمييز الذّي به يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، و عَقَلَ الشّيء يَعْقِلُهُ عَقْلاً :فهمـه [1] ؛ و بهذه المقاربة يكون مضمون العقل مضمونا أخلاقيّا محضا.

و يحدّثنا الفيروز آبادي (ت : 1414 م) عن معنى آخر من معاني العقل فيقول : " العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها و قبحها و كمالها و نقصانها ...هو العلم بخير الخيّرين و شرّ الشرّ رين، أو هو مطلق لأمور أو لقوّة يكون بـــها التّميّـــيز بيـــن القبـــح والحسن، و الحقّ أنّه نور روحاني تدرك به النّفوس العلوم الضّرورية و النّظرية وابتـداء وجوده عند اجتنان الولد ثمّ لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ " [2].

إنّ الإضافة التّي يضيفها " الفيروز أبادي " إلى معنى العقل مهمّة، حيث أنّها تخرج مفهوم العقل من دائرة " الحجر و النّهى و الحبس " إلى أفق أرحب فتجعله " قوّة " لإدراك طبيعة الأشياء ، و الحكم عليها ، و التّحسين و التّقبيح أي إثبات المسؤوليّة على صـــاحب الفعل، وبهذا يصير العقل أصلا من أصول التّعامل مع مشاكل الإنسان الماديّة والروحيّة.

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، المرجع السابق ، مادة " عقل ".

[2] الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، المرجع السابق ، مادة " عقل ".

و يقول الحارث المحاسبي (ت : 243 هـ) : " و العرب إنّما سمّت الفهم عقـــلا لأنّ ما فهمته فقد قيّدته و ضبطته بعقلك كما البعير قد عقل، أنّك قيّدت ساقه إلى فخديه و قالوا : اعتقل لسان فلان، أي استمسك. و يقال : اعقل شاتك إذا حبستها، و يقال اعتقـل رجل فلانا إذا صارعه" [1].

كما ورد لفظ " العقل " على ألسن الشعراء، فجاء بمعنى القوّة العاقلة التّي فـــارقت صاحبها ، كما في قول الأعشى :

تَصَابَيتَ أَمْ بَانَتْ بِعَقْلَكَ زَيْنَبُ وَقَدْ جَعَلَ الوُدُّ الذّي كَانَ يَذْهَبُ [2]

وجاء أيضا بمعنى " التقييد و الرباط" كما في قول زهير بن أبي سلمى :

فَكُلاًّ أَرَاهُم أَصبَحُوا يَعْقِلُونَـــهُ صَحيحَات مَال طَالعَات بمَخْرم

لحَيّ حَلاَل يَعْصمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إذَا طَرَقَتْ إحْدَى اللّيَالي بمُعْظَم [3]

و قد ينسب إلى العقل الضلال و البعد عن الحق، كما في قول حسّان بن ثابت :

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْم فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وَ حَلَّ عَلَى قَوْم بنُور مُجَـدَّد [4].

و للعقل مرادفات عدّة منها : الحجر و النّهى و الحلم و القلب و اللّب و غيرها... فالحجر و النّهى، قد رأينا كيف أوردهما ابن منظور تفسيرا للفظ " العقل"، فدلّ على أنّـهما من المترادفات [5].

أمّا لفظ الحلم ــ بالكسر ــ فهو الأناة و العقل، و جمعه أحلام و حلـــوم [6] ، قـــال تعالى:﴿**أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ (الطور: 32).

---

[1] المحاسبي الحارث بن أسد : العقل و فهم القرآن ، تحقيق : حسين القوتلي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، 1391 هـ / 1971 م ، ص : 209.

[2] الأعشى : ديوان الأعشى، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1400 هـ /1980 م، ص : 10.

[3] زهير بن أبي سلمى : ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1399هـ /1979م ، ص : 85 و86.

[4] نقلا عن الحامد عبد الله بن حامد : شعر الدعوة الإسلامية ، دار الرياض ، الرياض ، السعودية ، د.ط ، 1391 هـ/ 1971 م ، ص : 358.

[5] ابن منظور : المرجع السابق ، مادة " عقل " .

[6] ابن منظور : المرجع نفسه ، مادة "حلم" .

و يقول كعب بن مالك في مدح الرّسول صلى الله عليه و سلّم :

رَئيسُهُم النَّبيُّ وَ كَانَ صَلْبًا نَقيَّ القَلْبِ مُصْطَبرًا عَزُوفَا

رَشيدُ الأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَ عِلْمٍ وَ حِلْمٍ، لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفيفَا [1]

أما لفظ "القلب" فقد تردّد على ألسنة الشعراء ليعبّر عن مكانة رئيسه في حياة الإنسان، لأنّه موطن الحبّ و الكره، و مكان السر و العلن، و محل الفرح و الحزن.

يقول امرؤ القيس :

أَغَرَّكَ منّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتلي وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

وَ مَا دَرَفَتْ عَيْنَاكَ إلاَّ لتَقْدَحي بسَهْمَيْكِ في أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ [2]

فامرؤ القيس يقول : " قد غرك مني كون حبك قاتلي و كون قلبي منقادا لك بحيث مهما أمرته بشيء فعله " [3].

و يقول عبيد بن الأبرص :

وَ اللَّه لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ عَلاَّمُ مَا أَخْفَتِ القُلُوبُ [4]

ففي قوله " ما أخفت القلوب " تعبير على أنّ القلب مكان الأسرار.

أما زهير بن أبي سلمى ، فيقول :

وَ مَنْ يُوفِ لاَ يُذْمَمْ وَ مَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إلَى مُطْمَئِنّ البرّ لاَ يَتَجَمْجَمِ [5]

فدلّ على أنّ القلب الذّي يتوجه بصاحبه إلى العمل الصالح، و المعاني الخيّرة، يطمئن و لا يضطرب، و يسكن إلى وقوعه موقعه لم يتتعتع في إسدائه و إيلائه.

و في بيت آخر ، نرى القلب يسمع و يبصر، كما في قول الأعشى :

مَعي مَنْ كَفَاني غَلاءَ السِّبَا وَ سَمْعَ القُلُوبِ وَإبْصَارِهَا [6]

---

[1] نقلاعن الحامدعبد الله بن حامد:المرجع السابق ،ص:20.

[2] الأعلم الشمنتري:شرح ديوان امرئ القيس،تصحيح:ابن أبي شنب،الشركة الوطنيةللنشروالتوزيع،الجزائر، د.ط، 1394هـ/1974 م ، ص: 69 .

[3] الزّوزني:شرح المعلقات العشر،المرجع السابق ، ص:42.

[4] الزّوزني:المرجع نفسه ،ص:332.

[5] زهير بن أبي سلمى:المرجع السابق،ص:87.

[6] الأعشى :المرجع السابق ، ص: 90.

و القلب يملؤه الشجن ، أو تعلوه غمرة ، أو يخاف و يضطرب ، مثل ما يفهم من قول الأعشى :

وَ عَاصَيْتُ قَلْبِي بَعْدَ الصِّبَى وَ أَمْسَى ، وَمَا إِنْ لَهُ شَجَنْ [1]

وقوله أيضا :

وَ مَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ وَمَا إِنْ بِعَظْمٍ لَهُ مِنْ وَهَنْ[2]

أما في الشعر الإسلامي فإنّ القلب يكتسب معاني جديدة ، فهو مكان الحبّ ، وموطن الطهر والشهادة والإيمان ، و محلّ الأسرار و الإعلان ، و السعادة والشقاء ، والزيغ والنقاء ، و طاعة الله ، و هو موطن اليقين والذكر ، و الفرح والحزن .

قال بحير بن زهير:

إِلَى اللهِ لاَ العُزّى وَلاَ اللاّتَ وَحْدَهُ فَتَنْجُوا إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَ تَسْلَمُ

لَدَى يَوْمٍ لاَ يَنْجُوا وَلَيْسَ بِمُفْلِت مِنَ النَّارِ إِلاَّ طَاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ[3]

و يقول حسان بن ثابث :

عَلِقَ الشَّقَاءُ بِقَلْبِه فَأَرَانَهُ فِي الكُفْرِ آخِرَ هَذِه الأَقْعَاب[4]

و قال عبد الله بن رواحة :

أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا بِه مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَهُ وَاقِعُ[5]

فهذه الأبيات تعبر عن بعض المعاني التّي أدخلها الإسلام على القلب ، فأعطته أبعادا مختلفة عن العصر الجاهلي ، خاصة بالنسبة لارتباط القلب بالإيمان و ما يتصل به من معان أخلاقية وروحية .

أمّا كتب اللّغة فتتناول لفظ القلب على الوجه التالي :

جاء في " لسان العرب" : القلب : تحويل الشيء عن وجهه ، قَلَبَهُ يَقْلِبُهُ قَلْبًا ... والقلب : مضغة من الفؤاد معلّقة بالنياط . [6]

---

(1) الأعشى : المرجع نفسه ، ص: 206 .

(2) الأعشى : المرجع نفسه، ص: 208 .

(3) نقلا عن الحامد عبد الله بن حامد : المرجع السابق ، ص: 28 .

(4) نقلا عن الحامد عبد الله بن حامد : المرجع نفسه ، ص: 239 .

(5) نقلا عن الحامد عبد الله بن حامد : المرجع نفسه ، ص: 258 .

(6) ابن منظور : المرجع السابق ، مادة " قلب " .

و جاء في" القاموس المحيط ": القلب : الفؤاد أو أخص منه ، والعقل: محض كلّ شيء [1] .

و قال ابن سيده : " القلب الفؤاد . وقد يعبر بالقلب عن العقل " و قال الفراء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾ (ق : 37) أي عقل ، و قال : و جائز في العربيّة أن تقول : مالك قلب ، و ما قلبك معك ، و ما عقلك معك ، وأين ذهب قلبك ؟ أي أين ذهب عقلك ؟ و قال غير الفراء : ﴿...لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ..﴾ ،أي تفهّم وتدبّر ، و قيل : القلوب والأفئدة قريبة من السواء [2].

وجاءت كلمة " اللبّ " بمعنى العقل الذّي يرافق صاحبه في جميع أموره فيكون حازما صارما عندما تواجهه الأمور الجسام ؛ يقول كعب بن مالك :

حكَمًا يَرَاهَا المُجْرِمُونَ بزَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا أُولُوا الأَلْبَاب[3]

واللُبُّ ــ بالضم ــ : " خالص كلّ شيء ، و من النّخل و الجوز ونحوها : قلبها ، و العقل جمع أَلْبَابٌ و أُلُبٌّ و أُلْبُبٌ...و رجل لبٌّ و لَبِيبٌ ، لازم للأمر ، و مليوب : موصوف بالعقل ، و اللبيب : العاقل " [4] .

وهذا ما ذكره الحكيم الترمذي حيث يقول :" ... و أما عند عامة أهل الأدب و من لهم معرفة بشيء من اللّغة فإنّ اللبّ هو العقل ،و لكن بينهما فرق كما بين نور الشّمس ونور السراج ، فكلاهما نور...والعقل يعبّر به عن العلم على وجه المجاز في سعة اللّغة ، و لكن ﴿ ...أُولُوا الأَلْبَاب...﴾ هم العلماء بالله " [5] .

ممّا سبق يتبيّن أنّ ما ذكر من تفسيرات للعقل يعدّه المرجع في تقرير الأمور ، وأنّه الحصن والملجأ في كلّ فهم و حكمة وتدبير ، و به تتبيّن الأشياء ، و به يبتعد الإنسان عن الحمق والضلال و الشرود .[6]

---

[1] الفيروز الأبادي : المرجع السابق ، مادة " قلب " .

[2] تنظر هذه الأقوال عند ابن منظور : المرجع السابق ، مادة " قلب"

[3] كعب بن مالك : ديوان كعب بن مالك، تحقيق: سامي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، العراق ،د.ط، 1966، ص :189

[4] الفيروز،الأبادي : المرجع السابق ، مادة" اللب " .

[5] الترمذي، محمد بن علي الحكيم : بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللبّ ، تحقيق : نقولاهير ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ،مصر ، د.ط ، 1958 ، ص: 73 .

[6] الجوزو الشيخ محمد علي:مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنّة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980 ،ص:43 .

أما مرادفات العقل فنذكر منها اللبّ والحجر و النهى و القلب ،و نجد اللبّ يأتي بمعنى العقل الحازم ، و العقل الحصيف ، و قد ورد في القرآن الكريم بصيغة الجمع ﴿...**أولوا الألْبَاب**..﴾.(البقرة :269) ، وهم على ما يبدوا أصحاب العقول الكبيرة ، أو كما فسرها الحكيم الترمذي " هم العلماء بالله " [1] ، و قد نفهم من هذه الصيغة﴿**أولوا الألْبَاب**..﴾. العقل والقلب في آن واحد ، لأنّ اللبّ هو خالص كلّ شيء في اللّغة .

أمّا القلب فتتراوح معانيه بين الجانب العاطفي في الإنسان الذّي يمثل المشاعر الوجدانيّة من حبّ و كره ، و شجاعة و خوف ، و ألم و فرح ، و لين وقسوة ، و سعادة وشقاء ، و بين الجانب العقلاني الذّي يمثل الهداية والضلال ، و الإسرار والإعلان ، والاستقامة والزيغ ،و إطاعة أوامر الله أو عصيانها ... .

و كذلك الفؤاد يتأثر بالجانب العاطفي فيهوى ، و يصاب بسهام الغرام فيتألم ، وتصطرع فيه قوى الخير والشرّ ، غير أنّ الحلم يأتي كميزة متفوقة ، ميزة خلقيّة عليا ، تدل على الحكمة وتسامح و سعة الصدر .

كلّ هذا يشعرنا بالتداخل في المعاني بين العقل والقلب و اللبّ و الفؤاد ... و كأنّها تعبّر عن شيء واحد من الناحية اللّغوية . وكأنّنا نقسم طبيعة الإنسان إلى قسمين : عاطفي وعقلي ، و نسند إلى القلب الجانب العاطفي ، و إلى العقل الجانب العقلي .

ب ــ مفهوم العقل و القلب اصطلاحا :

إختلف العلماء و الفلاسفة و المتكلمون و الأصوليّون (علماء أصول الفقه)، وتعدّدت آراؤهم في تعريف العقل [2] ، ونذكر هنا بعضا منها :

---

[1] الترمذي ، محمد بن علي الحكيم : المرجع السابق ، ص: 73 .

[2]–للتوسع يراجع :

- الكردي راجح : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا ، أمريكا ، 1412 هـ / 1992 م ، ص : 363وما بعدها .

و ــ مكرم عبد العال سالم : الفكر الإسلامي بين الوحي والعقل ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1982 م ، ص :10 و ما بعدها .

و ــ إبراهيم مصطفى إبراهيم : مفهوم العقل في الفكر الفلسفي ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، د.ط ،1993م ، ص : 13 و ما بعدها.

إنّ العقل عند أفلاطون و أرسطو : هو قوة أو ملكة أو جزء من النّفس. و بوصفة ملكة ، فإنّه يقسم عندهم إلى عقل نظري و عقل عملي ، أمّا العقل النظري فهو قوة يحصل بها الإنسان على العلم اليقين بالمقدمات الكلية الضرورية التّي هي من مبادئ العلوم و ذلك مثل علمنا أنّ الكل أكبر من جزئه.... فالعقل يدرك المعقولات إدراكا مجرّدا عن المادة.

أما العقل العملي فهو قوة بها يحصل الإنسان من كثرة تجارب الأمور و عن طول مشاهدة الأشياء المحسوسة على مقدمات يمكن بها الوقوف على ما ينبغي أن يؤثر أو يجتنب شيئا من الأمور التّي فعلها إلينا.[1]

و ينتظم الوجود عند الكندي (ت : 260 هـ) في عوالم ثلاثة : أولها عالم "العقل " الذّي يؤسس العالمين الآخرين ، و هما عالم " الطبيعة " ـ الكون المادي ـ و عالم" الأنا " ـ الإنسان ـ و ذلك على أساس أنّ الكائنات توجد في العالم الأول حقائق و في العالم الثاني موجودات و في العالم الثالث معارف[2]

و هنا نجد الكندي يقسم هذا العالم إلى قسمين رئيسيين : أولهما حسي و ثانيهما عقلي ، و إلى الأوّل منهما يرجع كلّ ما هو مادي في جسد الإنسان ، كما يرجع إلى الثاني النّفس التّي بها نفكّر و تحت قيادتها على العمل .و القسم الأول مرئيّ بالحس فحسب، بينهما القسم الثاني مدرك بالعقل ليس غير.

و يفسر الفارابي (ت : 339 هـ) المعرفة الإنسانيّة على أساس اتصال العقل الفعّال بنفوسنا ، لأنّ هذا العقل هو المصدر الذّي تفيض منه المعاني[3].

و لقد قدّس ابن سينا (ت : 428 هـ) العقل، و في رأيه أنّ وحدة العقل تظهر ظهورا واضحا في شعورنا بأنفسنا و إدراكنا لذاتها إدراكا خالصا.... كما يتجه إلى

---

[1] بدوي عبد الرحمان : موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، لبنان ، 1984م ، ج: 2 ، ص : 72 و ما بعدها .

و – إبراهيم مصطفى إبراهيم : المرجع السابق ، ص : 55 و ما بعدها.

[2] المصباحي محمد : من المعرفة إلى العقل ، دار الطليعة، بيروت ، لبنان، د.ط، 1990 م ، ص :20.

[3] الرفاعي نعيم : النفس في الفلسفة العربية ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان، 1941 م ، ص : 153

الاعتقاد بأنّ " العقل هو الطريق الموصل إلى الملكوت الأعلى ، فإنّ من يستطيع الغلبة على شهواته و يخضعها لحكم العقل يستطيع أن يرقى إلى أعلى الدرجات".[1]

أما ابن رشد (ت : 595 هـ) فقد رأى أنّ القوة التّي تتلقى المعقولات لا تتأثر بها و لا تنفعل بتأثير سوى تأثير الإدراك ، و هذه القوة تعادل قوة الشيء المدرك و يمكن تصورها بطريق القياس ، و قوة المعقولات كالحس للمحسوسات، مع فارق و هو أنّ القوة التّي تتأثر بالمحسوسات تخالطها نوعا. أما قوة المعقولات فخالصة مطلقا، شريفة بذاتها منزهة عن الاختلاط بالصورة.و هذه القوة هي العقل الهيّولي [2]. و لما كانت تدرك كافة المعقولات و تلّم بجميع الصور فلا يجوز أن تمازج الصور والأشكال لئلا تمنعها إحدى الصور التّي تخالطها عن إدراك غيرها من الصور أو يؤدي التمازج إلى تغيّر الصور المدركة، فإذا تغيّرت تلك الصور اضطرب التعقّل ، و فقد العقل قوّته التّي أصلها إدراك الصور على حقيقتها ، و تحولت طبيعته و هي الإلمام بالأشكال بغير تغيّر طبيعتها.[3]

ووضح أبو حامد الغزّالي (ت:505 هـ) أنّ العقل يطلق على معان أربعة هي [4]:

1 ــ الوصف الذّي يفارق الإنسان به سائر البهائم، و به يكون الإنسان مستعدا لقبول العلوم النظرية ، و تدبر الصناعات الخفية الفكرية.

2 ــ العلوم الضرورية ــ البديهية ــ التّي تظهر لدى الإنسان حين بلوغه سن التمييز، فيدرك جواز الجائزات العقلية، و استحالة المستحيلات ووجوب الواجبات. فالإنسان السوي عندما يبدأ التمييز يدرك أنّ الكل أكبر من الجزء ، و أنّ الواحد أقل من الاثنين ، و أنّ الشخص الواحد لا يمكن أن يكون في مكانين في آن واحد ، و أنّ كل حدث لا بد له من محدث .

---

[1] العقاد عباس محمود : التفكير فريضة إسلامية، دار القلم ، القاهرة ، مصر ، د.ط، د.ت، ص: 128 و 132 .

[2] الهيولي المادة الأولى ، و يعني للعقل الفطري الطبيعي الذي لم يتثقف بعد.

[3] جمعة محمد لطفي : تاريخ فلاسفة الإسلام ، المكتبة العلمية ، القاهرة، مصر، 1945م ، ص : 161 و 162.

[4] الغزّالي أبو حامد : معيار العلم في فن المنطق، المرجع السابق ، ص : 207 و208 .

4 ــ مجموعة الخيارات و المعلومات التّي يستفيدها الإنسان من التجارب، وملاحظة السنن و النواميس، و لذلك يقال للإنسان كثير التجارب : إنّه عاقل، و قليل الخبرات : إنّه غمر أو جاهل.

5 ــ ملكة الانضباط و السيطرة على النّفس نتيجة العلم بعواقب الأمور و حقائق الأشياء، و نتائج الأعمال أو الأقوال، فيقال للقادر على السيطرة علي نّفسه و كبح جماح الضار من نوازعه و شهواته، المتحكم بدواعي إقدامه و إحجامه : إنّه إنسان عاقل.

ففي المعنى الأول و الثاني يظهر جانب الفطرة و الموهبة و أصل الخلقة، و في المعنيين الثالث و الرابع يظهر جانب الكسب أي " الخبرة ".و في المعاني الثلاث :الأول والثالث والرابع مجال كبير للتعارف بين النّاس، و أما الثاني فيستوي في إدراكه سائر العقلاء المميزين.

و يقول الغزالي أيضا : " العقل إدراك الموجودات بأسبابها، و بذا يفترق عن سائر القوى المدركة فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل"[1].

بينما يرى المحاسبي (ت : 243هـ) أنّ العقل نور غريزي يبصر به الإنسان ويعبّر به لمعرفة الأشياء الأخرى، كما أنّ في العين نورا هو البصر يجعلنا نتعرّف إلى المرئيات، فإنّ في القلب نورا يجعلنا ندرك الحكمة الإلهية التّي هي في باطن الكون عندما نتدبّر في خلقه و في حركته و سكونه[2].

أما الجاحظ (ت :255 هـ) فيقول : " إنّ العقل هو وكيل الله عند الإنسان.... ولعمري إنّ العيون لتخطئ و إنّ الحواسّ لتكذب ، و ما الحكم القاطع إلاّ للدهن، و ما الاستبانة الصحيحة إلاّ للعقل "[3]

---

[1] الغزالي أبو حامد . تهافت الفلاسفة:تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة : مصر ،1955، ص :417.

[2] المحاسبي الحارث بن أسد : المرجع السابق ، ص :149.

[3] الجاحظ عمربن بحر : رسائل الجاحظ تحقيق : عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط،1979،ج:3

و في بيّان ماهية العقل يقول القاضي عبد الجبّار (ت:415 هـ) : " اعلم أنّ العقل هو عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة متى حصلت في المكلّف صحّ منه النظر والاستدلال و القيام بأداء الواجب "[1].

ويذكر الشيخ المفيد (ت:413 هـ) أنّ الأحكام ثلاثة :الكتاب ـ القرآن الكريم ـ والسنّة النبويّة و أقوال الأئمّة، ثمّ يبيّن الطرق الموصلة إلى مافي هذه الأصول وهي: اللسان و الأخبار وأوّلها العقل، و خصّه قائلا : " و هو السبيل إلى معرفة حجيّة القرآن ودلائل الأخبار" [2].

و يقول الراغب الأصفهاني (ت : 505هـ) : " العقل يقال للقوّة المتهيّئة لقبول العلم، و يقال للعلم الذّي يستفيده الإنسان بتلك القوّة (العقل)" [3].

و أما الجرجاني (ت :740هـ) فيرى أنّ العقل آلة النّفس، و أنّ الفاعل الحقيقي هو النّفس فإذا قلت : الذهن و العقل فمعنى ذلك النّفس .هذه النّفس سمّيت عقلا لأنّها مدركة، وسمّيت نفسا لأنّها متصرّفة، و سمّيت ذهنا لكونها مستعدة للإدراك[4].

و يرى الفخر الرازي (ت:606 هـ) أنّ الحيوانات العجم ليس لها عقل يدعوها إلى فعل الحسن أو يمنعها من فعل القبيح، بل أفعالها لها لا تحصل إلاّ على وقف أمزجتها ومقتضى طبائعها و أخلاقها النظرية. أما الفراسة فهي عبارة عن الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة. ثم يلخص الرازي رأيه لينتهي إلى القول بأنّ العقل : "عبارة عن العلوم البديهية و هذه العلوم هي رأس المال "[5].

---

[1] زينة حسني: العقل عند المعتزلة ، دار الآفاق، بيروت ، لبنان ، د.ط، 1400 هـ / 1980 م ، ص: 31 وما بعدها .

[2] الشيخ المفيد . العقل في أصول الدين ، الدار العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1412هـ /1992م ، ص : 44

[3] الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، د.ط، د.ت ، ص : 341 .

[4] الجرجاني : التعريفات ، المرجع السابق ، ص : 31.

[5] الرازي فخر الدين : تفسير الرازي ، المرجع السابق ، ج: 26، ص : 256 .

و عرّف علماء الأصول العقل بقولهم : " قوة غريزية للنّفس تتمكن به مـــن إدراك الحقائق و التّمييز بين الأمور " [1] ،كما عرفوه بأنّه " العلم الضروري الذّي يقـــع ابتـــداء ويعم العقلاء" [2].

و مما سبق يتّضح لنا أنّ الإنسان العاقل هو الذّي لا يترك نفسه رهـــن الأهـــواء والرغبات الطارئة، كما أنّ البحث عن الحقيقة له ارتباط بالعقل، و أنّ الأوهـــام و الظـــن يرتبطان بالحواس، و العقل غريزة عند الإنسان، يتهدّى به إلى ما يعود عليه بالخير والنفع في الدنيا و الآخرة.

و مما يلاحظ ــ عند معظم العلماء ــ أنهم قد تجنّبوا الخوض فـــي ماهيـــة العقـــل وجوهره، فاقتصر اهتمامهم على وظائفه التّي جعلته مناط التكليف للتهدّي لشرع الله وفهمه و استيعابه و العمل بموجبه [3].

في حين نجد بعضهم ــ مثل المعتزلة ــ تركزت أقوالهم حول كينونة العقل،واتفقـوا على أنّ أصول المعرفة و شكر النّعمة واجب قبل ورود السمع، و أنّ الحسن و القبح يجب معرفتهما بالعقل [4].

إلاّ أن هذا الأمر ــ التقبيح و التحسين ــ ليس للفعل نفسه حسن و قبح ذاتيان و إنّما حسنه من جهة ورود الأمر الرباني فيه للعباد على سبيل الوجوب أو النـــدب أو الإباحـــة، وكذلك قبحه لورود الحظر فيه من الشارع على سبيل التحريم أو الكراهة ، فكلّ ما يـــأذن به الشرع فهو حسن، و كل ما ينهى عنه فهو قبيح . فأوامر الله عزّ و جلّ هي التّي تحسّن و تقبّح الأفعال و لا تكليف للعقل فيها من حيث تحسينها أو تقبيحها، و لا ثواب و لا عقاب

---

(1) للتوسع يراجع : ــ التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، المرجع السابق ، ص :.1034.

وــ البخاري عبد العزيز أحمد : كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ، دار الكتاب العربي،بيروت لبنان، 1394هـــ ،ج:2 ، ص : 394 .

(2) الزنيدي : ، المرجع السابق ، ص : 309.

(3) نايف معروف : الإنسان و العقل ، دار سبيل الرشاد، بيروت ، لبنان ، 1415هـــ /1995م ، ص : 72

(4) بدوي عبد الرحمان : مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1971 م ، ج:1 ، ص: 48.

إلاّ بمخالفته أوامر الشارع ، و لا عبرة للعقل و أحكامه في ذلك ، و إنّما العـــبرة دائمـــا بأحكام الشارع الحكيم[1].

و هنا يجدر بنا أن نشير إلى أنّ العقل اسم مشترك يطلقه الجمـــاهير و الفلاســفة والمتكلمون على وجوه مختلفة لمعان عديدة ، كما يذكر الغزالي[2].

و يراد بالعقل لدى الجماهير ثلاثة أوجه : الأوّل ، يراد به الصحة الفطرة الأولـــى في النّاس، و الثاني يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكليّـــة ، و الثـــالث يرجع إلى وقار الإنسان و هيئته.

أما عند الفلاسفة، فإنّه يدل على ثمانية معان : العقل الذّي يريده المتكلّمون ، والعقل النظري والعقل العملي و العقل الهيولاني و العقل بالملكة و العقل بالفعل و العقل المستفاد و العقل الفعال.

و أمّا عند المتكلمين ، فإنّه علم ضروري بجواز الجائزات و استحالة المســتحيلات كالعلم باستحالة كون الشيء الواحد قديما و حديثا و استحالة كون الشخص الواحـــد فـــي مكانين ، و هذا ما نجده في تعريف أبي بكر البقلاني حيث يقول :بأنـــه[العقـــل] " العلـــم بوجوب الواجبات و استحالة المستحيلات و مجاري العادات " [3].

و من تعريفات بعض العلماء المحدثين و المعاصرين للعقل ، يمكن أن نقتصر على ما يلي:

ذكر ديكارت (Rene Descarte)أنّ العقل هو أعدل الأشياء توزعا بين النّاس، فقـــال : "الأصل (Le bon sens) أو العقل ، هو القوة اللازمة لإجادة الحكم ، أي لتمييز الحق مـــن الباطل" [4] .

---

[1] الصالح صبحي : النظم الإسلامية ، دار العلم للملايين ، ، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 1965م ،ج:1 ، ص:48.

و ـــ أبو زهرة محمد : أصول الفقه، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، ط 2 ، 1993م ، ص:73.

[2] الغزالي أبو حامد : معيار العلم في فن المنطق ، المرجع السابق ، ص : 207 و 208.

[3] الباقلاني ،أبو بكر محمد بن الطيب :كتاب التمهيد ،المكتبة الشرقية ،بيروت ،لبنان،1975م،ص: 07 ومابعدها.

[4] نقلاعن،عثمان أمين : ديكارت ،مكتبة القاهرة الحديثة ،القاهرة مصر ،ط5،1965م، ص:09.

و يستعمل كنت (Kant) العقل بمعنيين : أحدهما واسع ، و الآخر ضيق محدود . فالعقل بالمعنى الواسع يشمل الذهن ، و العقل بالمعنى المحدود يشمل الإحساس،و العقل بالمعنى الواسع هو ملكة المعرفة القبليّة .أما العقل بالمعنى المحدود فهو الملكة العليا للمعرفة ، أما الذهن فهو ملكة القواعد [1] .

أما عند هيجل (Higel) ، فالعقل هو " الهوية" بين الفكر و بين الوجود... هو الحقيقة في ذاتها و لذاتها " [2].

و يمكننا أن نقول إنّ العقل لدى هيجل هو مركب جدلي يجمع بين الوعي و الوعي الذاتي ، و لايتم ذلك إلاّ أن يكون الوعي الذاتي وعيا ذاتيا كليّا، و قد عبّر هيجل عن ذلك بقوله : "إنّ العقل هو اليقين الموجود لدى الوعي بأنّه يمثل الحقيقة بأسرها" [3] .

هذا وقد عرّف بدوي عبد الرحمان العقل بأنّه: "ملكة الربط بين الأفكار وفقا لمبادئ كلية " [4].

و نجد العقاد يقول إنّ : " العقل في مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور و المنكور... و من خصائص العقل ملكة الإدراك التّي يناط بها الفهم و التصور... كما أنّه يتأمل فيما يدركه و يقلبه على وجوهه و يستخرج منه بواطنه و أسراره و يبني عليها نتائجه و أحكامه..." [5]

و لدى رصد المعاني المختلفة لكلمة " عقل " يمكننا أن نقول إنّ تعريف العقاد هو التعريف المناسب لما توجّه إليه الخطاب الإلهي بالتكليف ، و لعلّ ذلك يتجلّى واضحا في خصائص العقل التي ذكرها العقاد في قوله : " و خصائص العقل في جملتها تجمعها قدرة الحكم و تتصل بها قدرة الحكمة ، و تتصل كذلك بالعقل الوازع إذا انتهت حكمة الحكيم به إلى العلم بما يحسن و ما يقبح و ما ينبغي له أن يطلبه و ما ينبغي له أن يأباه . و من أعلى هذه الخصائص " الرشد" و هو مقابل لتمام التكوين في العاقل الرشيد ، و وظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم لأنها استيفاء لجميع هذه

---

[1] بدوي عبد الرحمان : موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق، ص:73.

[2] زكريا إبراهيم : هيجل أوالمثالية المطلقة، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر ، 1970 م ، ص:250.

[3] زكريا إبراهيم :المرجع نفسه ،ص:251 .

[4] بدوي عبد الرحمان : المرجع السابق ، ص : 71.

[5] العقاد عباس محمود : المرجع السابق ، ص: 06 .

الوظائف و عليها مزيد من النضج و التمام و التمييز بميزة الرشاد حيث لا نقص و لا اختلال ، و قد يؤتي الحكيم من نقص في الإدراك ، و قد يؤتى العقل الوازع من نقص في الحكمة ، و لكن العقل الرشيد ينجو به الرشاد من هذا و ذاك " [1] .

و بعد أن تحدثنا عن العقل و معانيه لدى بعض كبار الفلاسفة و العلماء، نرى أنّه من الأهمية بمكان أن نربط هذا الحديث بمفهوم القلب الذّي يتداخل مع العقل تداخلا يجعله مرادفا له أحيانا . و من ثمّ نجد أنفسنا مضطرّين إلى الدخول في مفهوم العقل و القلب كما رآهما بعض العلماء و تعاملوا معهما، لأنّ آراءهم ذات قيمة فكريّة يمكننا أن نستفيد منها في بحثنا هذا. و تلقي الضوء على الأبعاد التّي فهمها العلماء من خلال نظراتهم للآيات التّي ذكر فيها العقل و ما يتّصل به في القرآن الكريم، و سنتطرق لذلك في ما يلي :

ــ يفصل أبو حامد الغزالي مفاهيم العقل و الرّوح و النّفس و القلب، و يعطي لكلّ واحد منها معنيين ، ثمّ يخلص أخيرا إلى أنّها : " ألفاظ أربعة مترادفة تطلق على معنى واحد" [2] . و يقرّر في قول آخر ما نصه : " نحن حين أطلقنا في هذا الكتاب [معارج القدس في معرفة النّفس] ألفاظ : النّفس و الرّوح و القلب و العقل نريد النّفس الإنسانيّة التّي هي محل المعقولات " [3].

فالغزالي يرى أنّ الإرادة و القدرة و الحواس إنّما هي جنود تخدم القلب الذّي يذكر فيه جوهر الإنسان بكامله. و يذكر أنّ القلب مخلوق لعمل الآخرة طلبا لسعادته ، وسعادته في معرفة ربّه عزّ و جلّ ، و له عسكران ــ عند الغزالي ــ :

ــ عسكر ظاهر : و هو الشهوة و الغضب و منازله في اليدين و الرجلين والعينين و الأذنين و جميع سائر الأعضاء.

ــ و عسكر باطن : و هو قوى الخيال و الفكر و الحفظ و التذكّر و الوهم ومنازله الدماغ. و لكلّ قوة من هذه القوى عمل خاص، فإن ضعف واحد منهما ضعف حال الإنسان في الدّارين.

---

[1] العقاد: مرجع السابق ، ص : 7 .

[2] الغزالي أبو حامد : إحياء علوم الدين ، المرجع السابق ، ج :8 ، ص:34.

[3] الغزالي أبو حامد : معارج القدس في معرفة النفس ، دار الأفاق الجديدة بيروت ، لبنان، ط 5 ،1981م ، ص : 47 .

و جملة هذين العسكرين في القلب و هو أميرهما ؛ " و ليس القلب هـــذه القطعـــة اللّحمية التّي في الصّدر من الجانب الأيسر، لأنّه يكون في الدوابّ. و أما حقيقـــة القلـــب فليس في هذا العالم ، لكنّه من عالم الغيب، فهو في هذا العالم غريب " [1].

و يرى أبو الحسن الماوردي (ت : 450هـ) أنّ العقل مرادفا للقلب ؛ و ذلك علـــى عكس ما جاء به الغزالي مستندا إلى قوله تعالى :﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَـــهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** ﴾(الحج: 46) ، فهو يرى أنّ هذه الآية تدل على أمرين :

ـــ أحدهما أنّ العقل عمل .

ـــ و ثانيهما أنّ محله القلب .

كما يذكر الماوردي أنّ الهوى تقيض العقل ، حيث يقول : "...و الهوى عن الخـير صاد و للعقل مضاد، لأنّه ينتج من الأخلاق قبائحها و يظـــهر مـــن الأعمـــال فضائحـــها ويجعل ستر المروءة مهتوكا و مدخل الشر مسلوكا" [2] .

أما العقل ـــ عند الماوردي ـــ فهو رقيب مجاهد للهوى يلاحظ عثرته و يدفع بـــادر سطوته ، ثمّ يفرّق بين الهوى و الشهوة على الرّغم من اجتماعهما فـــي العلّـــة المعلـــول، واتفاقهما في الدلالة و المدلول، فالهوى مختص بالآراء و المعتقدات، و الشهوة مختصـــة بالملذات فصادت الشهوة من نتائج الهوى [3] .

و بعد عرضنا لهذه العيّنات من آراء العلماء و الفلاسفة ـــ حول العقل و القلـــب ـــ يمكننا أن نستنتج أنّ هناك تداخلا بين هذه المصطلحات، بل تداخلت مع الهوى و الشـــهوة والملذات لتضيف مصطلحات جديدة مترادفة أو متداخلة مع المصطلحات الأخـــرى التّـــي بذاتها تحتاج إلى انفراد و شرح.

---

[1] الغزالي أبو حامد : كيمياء السعادة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1988 م ، ص: 20 .

[2] الماوردي علي بن محمد : أدب الدين و الدنيا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1987م ص : 3 .

[3] الماوردي : المرجع نفسه، ص : 5 .

ج ــ العقل و القلب في القرآن الكريم :

إنّ من نعم الله التّي لا تحصى أن وهب الإنسان العقل فكرّمه به على كثـــير ممّـــن خلق ؛ و لذا نجد القرآن الكريم قد تميّز بدعوته الملحّة و المتكرّرة إلى إعمال العقل، فدعا الإنسان إلى التفكر و التدبّر و النّظر والتأمّل والاعتبار في أرجاء الكون، ليتذكّر ــ دائمـــا ــ الخالق المدبّر و يدرك أنّ كلّ شيء وفق إرادته و حكمته سبحانه و تعالى ، و ذلـــك فـــي مواضع متعددة، و بأساليب متنوعة ، تتحد في أنّ العقل هو الوسيلة التّي يفهم بها الإنســـان و يتأمل و يتفكّر و يتعلم و ...

و يمكن أن نمثل لهذا الاحتفاء القرآني بالعقل و مشتقاته في ما يلي [1]:

و ردت كلمة العقل و مشتقاته في القرآن الكريم كالتالي :

1 ــ بصيغة الماضي " **عقلوه** "جاءت مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿**كَـــانَ فَرِيـــقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾(البقرة:75)

2 ــ بصيغة المضارع في جمع المخاطب " **تَعْقلُون** " تكرّرت أربعة وســـتين(64) مرة و معظمها جاء على صورة الرجاء " **لَعَلَّكُمْ تَعْقلُون** " و على صورة الاستفهام " **أَفَلاَ تَعْقلُون** "

3 ــ بصيغة المضارع في جمع الغائب" **يَعْقلُون**" تكررت اثنين وعشرون(22)مرة ، عشرة (10) صيغ بدون نفي ، و اثنتا عشرة(12) صيغة جاءت منفية بلا النافية "**لاَيَعْقلُون**".

4 ــ بصيغة المضارع في جمع المتكلّم " **نَعـــقلُ** " جاءت مرة واحـدة فـــي قولـــه تعالى:﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ**﴾ (الملك :10).

5 ــ بصيغة المضارع في مفرد المؤنث الغائب " **يعقلها** " جاءت مرة واحدة فـــي قوله تعالى : ﴿**...وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ...﴾ (العنكبوت : 43).

---

[1] حصرنا هذه الإحصائيات من عند :

– مكرم عبد العال سالم : المرجع السابق ، ص : 11 و ما بعدها.

و – أحمد محمد الحوفي :القرآن والتفكير،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1975م ، ص:12ومابعدها

و – محمد علي الباقي : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، المرجع السابق، مادة " عقل " .

أما ما ورد في القرآن الكريم من مدلولات قريبة الصلة بالعقل و الوظائف المتعددة التّي يقوم بها فنذكر منها ما يلي :

- جاءت مادة " العلم " مرادا بها علم النّاس لا علم الله في نحو ستمائة آية (600).
- و الرأي في نحو ثمانين آية (80).
- و النظر في نحو ثلاث و عشرين آية (23).
- و الأبصار في نحو ثلاث و عشرين آية كذلك (23).
- و القلب بمعنى العقل في مائة و ثلاث و ثلاثين آية (133).
- و النّهى بمعنى العقل في آيتين (02).
- و الفؤاد بمعنى العقل في ست عشرة آية (16).
- و الألباب بمعنى العقل في ست عشرة آية كذلك (16) .
- ووردت مادة " الفكر " في ثماني عشرة آية (18) .
- و تكررت مادة الفقه بمعنى الفهم في عشرين آية (20).
- و التدبير في أربع آيات (04).
- و الرشد في تسع عشرة آية (19).
- و الذكر في نيف و مائتين من الآيات.
- و الحكمة في عشرين آية (20) [1].
- و العبرة في سبع آيات (7).

و في ما يلي نورد بعضا من الآيات الكريمة التّي وردت فيها أفعال مشتقة من العقل و التفكر و النظر على سبيل المثال لا الحصر، و من ذلك قوله سبحانه و تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة : 164).

---

[1] للتوسع حول معاني الحكمة و العقل في القرآن و الأدب العربي يراجع :

بلبشير ميلود : الحكمة الشعبية في رباعيات الشيخ عبد الرحمان المجذوب، رسالة ماجستير،(مخطوط).

ـ ﴿...وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـــهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(الأنعام :145).

ـ ﴿وهو الذي يحي ويميت وله اختلاف اليل والنهار أفلا تعقلون﴾ (المؤمنون : 80).

و من الآيات التي ذكرت النظر قوله تعالى :

ـ ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ (يونس: 101) .

ـ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ (ق : 06).

ـ ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ (الغاشية : 17).

و من الآيات التي ذكرت التفكر قوله تعالى :

﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران: 191).

ـ ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيـة لقوم يتفكرون ﴾ (النحل :11).

ـ ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بين همـــا إلا بـالحق وأجل مسمى ... ﴾ (الروم:08).

و من الآيات التي ذكرت الألباب قوله عز و جل :

ـ ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولـوا الألباب ﴾(البقرة:269).

ـ ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله ياأولي الألبـاب لعلكم تفلحون ﴾(المائدة :100).

ـ ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هـم أولـوا الألباب ﴾(الزمر: 18).

كما وردت مادة "القلب" و " الفؤاد" في آيات كثيرة نذكر منها قوله سبحانّه وتعالى:

ـ ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ (الحج : 46).

ـ ﴿ **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً** ﴾ (الفرقان: 32).

و بعد الإشارة إلى هذه الآيات الكريمة نرى أنه من المفيد أن نذكر ما يلي :

ـ إنّ المتتبع لآي القرآن الكريم يجد أنّ الآيات التّي تحدّثت عن العقل و التعقّل والتفكير و التدبّر و ما تفهم منه هذه المعاني قد تجاوزت المئات ، إلاّ أنّ ما يلفت النظر هو أنّ " القرآن الكريم لم يتحدث عن العقل بصفة العقل ، و إنّما ذكر التعقل ، أي الوظيفة أو العمليّة التّي هي : تَعْقِلُون و يَعْقِلُون و عَقَلُوه و نَعْقِلُ "[1] ،و قد ذكرت هذه الوظيفة للإنسان في القرآن في تسعة و تسعين موضعاـ كما أشرنا سابقاـ و لم يعن بها أبدا عضوا أو جوهرا اسمه العقل.

و من هنا يمكن القول : إن القرآن الكريم يتناول العقل من حيث وظيفته التّي هي التعقّل و التفهم و التدبّر، فيدعو إلى ذلك، و ينعى على من لم يستخدمه الاستخدام الصحيح من حيث سلامة المقدمات ، للوصول بها إلى سلامة النتائج ، فيقول عز و جلّ: ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ (البقرة :242).

ـ لقد تكررت الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم بحيث يشمل معناه كل الوظائف العقليّة لدى الإنسان على اختلاف أعمالها و خصائصها ، و من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (المائدة:100) و قوله:﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...**﴾ (ق : 37)، و قوله كذلك : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ** ﴾ (الأعراف:179).فهذه الآية جاءت متضمنة دعوة الإنسان إلى استخدام حواسّه التّي وهبه الله إيّاها من سمع و بصر وغيرهما

---

[1] الكردي راجح : نظرية المعرفة ، المرجع السابق : ص : 604.

و ذلك ليكون هذا الحسّ بعالم الواقع و الشهادة مقدمة في عمليّة التفكير قبل إصدار الحكم في الواقع و الأحداث ، و يعيب عليهم إن لم يستعملوها[1].

ــ لا يذكر العقل في القرآن الكريم على وجه العموم إلاّ في مقام التعظيم و التنبيه إلى العمل به،والرجوع إليه ،وذلك لأنّ العقل لكلّ فضيلة أسّ، و لكلّ أدب ينبوع ، و هو الذّي جعله الله للدين أصلا ، و للدنيا عمادا، فأوجب الله التكليف بكماله، و جعل الدنيا مديرة بأحكامه ، و العاقل أقرب إلى الله تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل[2].

و نلاحظ أنّ القرآن الكريم عندما ينعى على الكفار ، إنّما ينعى عليهم تعطيل عقولهم ، و الاكتفاء بما ورثوه عن آبائهم و أجدادهم من معتقدات دينيّة باطلة، كما نرى في مثل قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (البقرة :170).

ــ إنّ العقل يعد أساس التكليف في الدين الإسلامي ، فإليه يتوجه الخطاب الإلهي، و عليه يعرض النّص الديني، فللمعرفة العقلية ــ التّي تحصل بواسطة العقل ــ دور في فهم الدين ، و هذا من الضروري و المشروع ، إلاّ أنّه من الضروري أيضا أن يكون ذلك الدور سالكا مسلك الرشد في استخدام هذه المعارف في تحديد المراد الإلهي[3]

ــ نلاحظ أنّ القرآن الكريم يتناول القلب كجهاز للإدراك ، و آلة للفهم ، مثل قوله تعالى : ﴿... **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا...**﴾ (الأعراف : 179)؛كما يتناول الفؤاد على أنّه موئل الفكر، و جهاز الإدراك أيضا، يقول عزّ و جلّ : ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا**﴾ (القصص : 10).

كما نجد أنّ القرآن الكريم يربط بين صمم الآذان و عماية الأبصار و إقفال القلوب، و كأنّ ذلك يحدث في وقت واحد ممّا يؤكد الصلة بين الحواس و القلب ، يقول تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ(6)خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (البقرة : 6 ــ 7).

---

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن ، المرجع السابق ، ج :3 ، ص :11.

[2] القرطبي : تفسير القرطبي ، المرجع السابق ، ج 8، ص : 1831.

و ــ العقاد عباس محمود ، المرجع السابق ، ص : 8 و9 .

[3] النجار عبد المجيد : في فقه التدين فهما و تنزيلا ، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر، 1401هـ، ج:1 ، ص:89 و ما بعدها

و إذا رجعنا إلى كلمة العقل وجدنا الظاهرة نفسها حيث يأتي الصمم و البكم والعماية مع نفي صفة العقل [1]، يقول تعالى:﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾(البقرة :171).

و هذا ما يؤكد ارتباط العقل بالقلب، و ارتباط الاثنين معا بالحواس، فإمّا هي مغلقة جميعا و إمّا هي مفتوحة على الحق و النور و الهداية .و ممّا سبق يمكننا أن نقول إنّ العقل في القرآن الكريم جهاز الإدراك أو ملكة الإدراك التّي يناط بها الفهم و التصور، ونور يهدى به الإنسان لتحقيق المقاصد التّي شرعها الله سبحانه و تعالى. و لذلك فهو الحكم في كل شيء.

كما يمكننا القول : " إنّ العقل الذّي نعنيه هو تلك القوة الإدراكية المعيارية في الإنسان التّي على أساسها حمّل أمانة الخلافة ، و التّي على أساسها خوطب بالوحي ليتحمله فهما و تطبيقا " [2].

و القرآن الكريم بإيلائه هذه الأهمية للعقل إنّما يشير إلى التكريم الإلهي للإنسان بالعقل و جعله مناطا للتكليف، و لهذا قام التفكير الفقهي و التجريب العلمي على مدار العصور على قاعدة عقلية هي الاستقراء و الاستنباط [3].

و قد أعد علماء الإسلام و فقهاؤه العقل من الضروريات الخمس[4] التّي يتوقف عليها حياة النّاس الدينية و الدنيوية ، بحيث إذا فقدت اختلت الحياة في الدنيا ، و شاع الفساد وضاع النعيم الأبدي و حلّ العقاب في الآخرة.

---

[1] الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير ، المرجع السابق، ج :1 ، ص : 38 و 114 .

[2] النجار عبد المجيد : خلافة الإنسان بين الوحي و العقل ، المرجع السابق ، ص :58 .

[3] نجد هذه القواعد (الاستقراء و الاستنباط) عند علماء أصول الفقه مثلا ، للتوسع يراجع :

ـ الغزالي أبوحامد:المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر،1322هـ، ج:1، ص: 51وما بعدها.

[4] سبقت الإشارة إلى هذه الضروريات . ينظر :

الزحيلي وهبة : أصول الفقه الإسلامي ، المرجع السابق ، ج :2 ، ص: 1020 .

و مما سبق يمكن القول : إنّ القلب في القرآن يبدو مغايرا للمفهوم الشائع الذّي يرى بأنّ القلب يمثل العاطفة، و بأنّه منطقة ذات نفوذ مناقض لنفوذ العقل، فالقلب في القرآن اتسعت معانيه و تعددت جوانبه حتى لم يعد بإمكانها حصره في المعاني العاطفية أوفي المعاني العقلية.

فالقرآن الكريم نجده يعبّر عن القوة المدركة في الإنسان ــ حسب الظاهر ــ بالعقل أو القلب أو الفؤاد ، فهل يقصد بهذه الألفاظ الثلاثة المضغة المعروفة بالقلب، المودع في الصدر الإنسان؟.

للإجابة عن هذا السؤال، نحاول معرفة جهود المفسرين في تفسير بعض الآيات [1] التّي بها نقطة الالتقاء بين العقل و القلب .

ففي قوله تعالى: ﴿...فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾(البقرة : 97) .نجد الآلوسي يذكر أنّ القلب ــ في الآية ــ هو القابل الأول للوحي ، إن أريد به الرّوح ، ومحل الفهم و الحفظ ، إن أريد به العضو، و قيل : كنى بالقلب عن الجملة الإنسانيّة، كما يكنى ببعض الشيء عن كله [2].

و في تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ...﴾(البقرة :88) يقول : " أي قلوبنا مغشاة بأغطية و أغشية خلقية مانعة من نفوذ ما جئت به ، و إلى مثل ذلك يذهب في تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ....﴾ (فصلت : 5). فيرى أنّ المعنى أنّ قلوبهم مغشاة بعلوم من التوراة ، أراد بقلوبهم أوعية العلم[3].

---

[1] آيات القلب في القرآن 133 آية ، لهذا اقتصرنا على بعض الآيات التي بها نقطة الالتقاء بين العقل و القلب.

[2] الآلوسي أبو الفضل : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، المرجع السابق، ج:1 ، ص : 323 .

[3] الآلوسي أبو الفضل : المرجع نفسه ، ج:1 ، ص :311 .

و– الصابوني ، المرجع السابق ، ج:1 ، ص :79 .

و في تفسير قوله عزّ و جلّ:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ... ﴾(الأنعام :46) ، يذكر الآلوسي أنّ الختم كان بأن غطى عليها، بما لا يبقى لهم معه عقل و فهم أصلا [1].

و في قوله تعالى :﴿... لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾ (الأعراف :179) يرى الآلوسي أنّه أريد بالقلب: اللطيفة الإنسانيّة (الرّوح) ، و بالفقه : الفهم [2].

و هكذا نجد الآلوسي يستبعد أن يكون المراد بالقلب تلك العضلة المعروفة في صدر الإنسان ، و يفهمها على أنّها تعني الرّوح التّي بها حياة الإنسان تارة و محل الفهم والحفظ تارة أخرى.

و لعل الآية القرآنية التّي تمثل نقطة الالتقاء بين العقل و القلب ــ في نظرنا ــ هي قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج : 46).

من هذه الآية الكريمة يمكننا أن نستشف عدة أمور منها :[3]

ــ دعوة إلى السير في الأرض ، سير الباحثين عن الحقيقة ، المتأملين في مظاهر الوجود ، الدارسين للتاريخ الإنساني بما مضى فيه من أحداث و عبر و مواعظ و مواقف.

و لكن من الذّي يقوم بالتأمل و الدرس و المعرفة و الاتعاظ ؟ .

إنّه القلب الذّي يعقل ، لأنّ القلب أسند إلى فعل العقل في هذه الآية فقال تعالى : ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾، فأطلقت القلوب على تقاسيم العقل لأنّ القلب هو مفيض الدم على الأعضاء الرئيسة و أهمها الدماغ الذّي هو عضو العقل،و لذلك قال تعالى:﴿ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ و إنّما آلة العقل هي الدماغ و لكن الكلام جرى أوّله على متعارف أهل اللّغة [4]، ثم أجرى

---

[1] الآلوسي ، المرجع السابق ، ج:1 ، ص:152 .

[2] الآلوسي ، المرجع نفسه ، ج:9 ، ص:119 ..

[3] للتوسع يمكن الرجوع إلى :

ــ ابن عاشور ، تفسيرالتحرير و التنوير، المرجع السابق ، ج:17 ، ص :287

وــ المراغي ، تفسير المراغي ، المرجع السابق ، ج:17 ، ص :122

وــ الصابوني، المرجع السابق ، ج: 2 ، ص : 293.

[4] عرفنا ذلك سابقا في تعريف القلب لغة : (هو مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط).

عقب ذلك على الحقيقة العلمية فقال تعالى : ":﴿ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ يعقلون بها " فأشار إلى أن القلوب هي العقل.

لهذا نجد الآلوسي يقول : " كون ذلك مما يقوم بالقلب أو غيره، ممّا لا يجب عقلا ، و لا يمتنع، لكنّ دل الشرع على قيامه بالقلب، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق: 37) و قوله تعالى:﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد : 24)، ثمّ يقول " و لا يخفى أنّ الاستدلال بما ذكر على محلّية القلب للعلم، لا يخلو عن شيء و لا ينكر دلالة الآيات على أنّ القلب الإنساني ــ لما أودع فيه ــ مدخلا تاما في الإدراك ، و الوجدان يشهد بمدخلية ما أودع في الدماغ في ذلك أيضا... و من هنا لا أرى للقول : بأن لأحدهما مدخلا ــ دون الآخر ــ وجها، و كون الإنسان قد يضرب على رأسه فيذهب عقله، لا يدل على أنّ ما أودع في الدماغ لا غير مدخلا في العلم، كما لا يخفى على من له قلب سليم ، و ذهن مستقيم" [1] .

و مما سبق ندرك أنّ الآلوسي كان يرى أنّ عضلة القلب شريكة للدماغ في كونهما يكونان جهاز الإدراك و الفهم و التدبّر لدى الإنسان.

غير أنّ الثابت علميا أنّ مركز التفكّر و التفكير ، و مقر إرادة مملكة الجسم الإنساني، إنّما هو في المخ و ليس في القلب[2]. مثلما أنّ الوفاة الحقيقية للإنسان، إنّما هي بموت خلايا المخ.

و أن علماء الطب قد وصلوا إلى إعادة الحياة و الحركة للقلب بعد موت خلايا المخ فزرعوه في شخص آخر و لم يستطيعوا إرجاع الحياة للجسم ، إذ لا حركة لعضو من الأعضاء إذا مات القائد و الآمر و الحاكم و المدبر لهذا الجسم ، و هو المخ.

---

[1] الآلوسي ، المرجع السابق ، ج: 17، ص: 169 .

[2] للتوسع ينظر :

ــ فايفر جون : العقل البشري، ترجمة: محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1955م ، ص : 10 و ما بعدها.

و ــ عدنان الشريف : من علم الطب القرآني ، المرجع السابق ، ص : 313 و ما بعدها.

و من هنا يمكن القول : إنّ القلب سبب حياة المخ ، الذّي هـــو جـــهاز التفكـــير ، وسبب السبب في شيء ، سبب في ذلك الشيء ، فإذا أسند التفكير إلى عضلة القلب فقـــد أسند إلى السبب البعيد، و إذا أسند إلى المخ فقد أسند إلى السبب القريب ، و الإسناد إلـــى كلّ منهما صحيح.

ثانيا: البعد العقلي في طبيعة الإنسان.

ينشأ عن وجود العقل قوة إدراكية في طبيعة الإنســـان يغذيـــها دافـــع الاســـتطلاع والمعرفة و التفكير و التدبّر ، و ذلك لأنّ الإنسان كائن عاقل ؛ يميل إلى فعـــل الخـــير إذ لديه رؤية واضحة بما يجب عليه عمله.

و بعد أن تحدثنا عن العقل عند العلماء و في القرآن الكريم ، و أهميته في طبيعـــة الإنسان، فإنّه يجدر بنا أن نتحدث عن البعد العقلي لدى الإنسان ، و سنحاول التطرّق إلـــى أهم الأبعاد التّي نراها تتمثّل في المعرفة و التفكير .

1 ــ المعرفة : [1]

لقد اصطلح في الدراسات الفلسفية على تسمية البحث الذّي يجعـــل مـــن المعرفـــة موضوعا للدراسة بـــ " نظرية المعرفة " (Epitemology) [2] ، و يمكن إعطـــاء تعريـــف للمعرفة بأنّها " العلاقة الذهنيّة الّتي تتكون لدى الإنسان بين عقله و بين موضوع خارجي ، أو العلاقة التّي نكوّنها بين قوى إدراكنا و بين الأشياء التّي ندركها [3] .

و بما أنّ الإنسان مجبول على حب الاستطلاع و يتميّز عن سائر الكائنات بـــالعقل فهو يريد أن يعرف كلّ شيء في هذا الكون ؛ لذلك نجده قد شغل نفسه منذ القديم بتساؤلات تتعلق بمدى قدرته على المعرفة ، فتساءل : هل في استطاعته أن يدرك جميع الأشـــياء ؟

---

[1] البحث في نظرية المعرفة هو في مجموعه بحث فلسفي ، و قد عني الباحثون بالدراسة و البحـــث و الحديـــث عـــن تعريف المعرفة و أنواعها و مصادرها ، و سنقتصر على نظرية المعرفة في القرآن الكريم متجاوزين كثيرا مـــن الآراء الفلسفية التي كانت مثارا للجدل بين الباحثين . و للتوسع حول "نظرية المعرفة عند المفكرين" يمكن الرجوع إلى :

ــ الطويل توفيق : أسس الفلسفة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1955 م، ص : 15 و ما بعدها .

و ــ غلاب محمد : المعرفة عند مفكري المسلمين ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، مصر ، 1966 م، ص : 9 و ما بعدها .

[2] مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، مطبوعات المجمع ، دمشق ، سوريا ، 1979 م ، ص : 11 .

[3] محمد فؤاد جلال : الترجمة القومية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، د.ت ، ص : 27 .

هل في استطاعته أن يطمئن إلى صدق إدراكه و صحة معلوماته ؟ و هل قدرته على المعرفة محدودة بحدود معينة أم مطلقة ؟ [1].

و إنّ موقف الإسلام من هذه القضية ، يظهر من خلال العديد من الآيات القرآنية التّي تأمر الإنسان أن يسعى في هذا الكون باحثا منقّبا و متعلّما ، مستغلا في ذلك مختلف أدوات المعرفة التي وهبها الله سبحانه و تعالى إيّاه .

فالقرآن الكريم يحمل الإنسان مسؤولياته العملية في طلب المعرفة و استيعاب ثمراتها ، و هو يخاطب أولي الألباب الذّين يعقلون و يتفكرون و يتذكرون ، و أولى آياته نزولا قوله تعالى :﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾(العلق : 1 إلى 5) .

هذه الآية كانت"أوّل رحمة رحم الله بها العباد،و أوّل نعمة أنعم الله بها عليهم ، ... [لأنّ] من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم ، فشرّفه و كرّمه بالعلم ... و العلم تارة يكون في الأذهان ، و تارة يكون في اللسان ، و تارة يكون في الكتابة بالبيان ذهني ولفظي و رسمي [2].

و من ثمّ فكل إنسان مكلّف بأن يسير في طريق المعرفة ، و هو تكليف فيه من المرونة ما يجعله يتفق مع ظروف كلّ إنسان ، فهو يتفق مع ظروف الأمي الذّي لا يعرف القراءة و الكتابة و يحثّه على تعلّمها فتزول أميته ، كما يتفق مع ظروف من كان على بعض العلم ليسير في طريق هذا العلم إلى منتهاه ، لأنّ العلماء يؤمرون بألا يتوقفوا عن تحصيل العلم ، يقول صلّى الله عليه و سلم : " **اطْلُبُوا العِلْمَ منَ المَهْدِ إلَى اللحْدِ** " ، و لأنّ العلم في الإسلام لا حدود له ، يقول سبحانه و تعالى : ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (الإسراء : 85).

و من هان نجد القرآن الكريم يثير طاقة العقل الإنساني و يوجهه إلى المشاهدة والملاحظة و الإدراك لشتى ظواهر الكون و نواميسه المعجزة التّي يسبر غورها أهل العلم

---

[1] إما عبد الفتاح إمام : مدخل إلى الفلسفة ، سلسة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1979 م ، ص : 140 .

[2] ابن الكثير : تفسير ابن الكثير ، المرجع السابق ، ج4 ، ص : 528 .

و التدّبر [1] . و يقول عزّ و جلّ :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(البقرة : 164) .

نلاحظ أنّ هذه الآية قد أشارت إلى قضيّة وجود الله الواحد الأحد ، ثمّ نبّهت وأرشدت إلى طريق معرفته عن طريق التأمّل و التفكير في مخلوقاته . و أكدت أنّ هذا الطريق يكون فقط لمن يستعمل عقله .

إنّ دراسة مثل هذه الآيات تكشف لناعن حقائق أساسية يمكن أن نوجزها في مايلي:

ـ إنّ الله حين أمر العقل بالنظر في الكون للتعرف عليه إنّما كان ذلك منه سبحانه و تعالى إشارة إلى أنّ العقل الإنساني له من القدرة ما يجعله يدرك ـ و لو بالتدريج ـ أبعاد هذا الكون بمن فيه و ما فيه من كائنات .

ـ إنّ العقل الإنساني سوف يدرك من حقائق هذا الكون مقاصد المولى عزّ و جلّ من خلق هذا الكون بمن فيه و ما فيه . كما سوف يدرك من كيفية بناء الله لهذا الكون ، والسنن و القواعد التّي أقام الله جلّ شأنه عليها هذا البناء المحكم من حيث هو صنع الله الذّي أتقن كلّ شيء . و إذا كانت سنن الله لا تتغير و القواعد التّي أقام عليها هذا البناء ثابتة أبد الدهر ، فقد أصبح في إمكان العقل الإنساني الاهتداء إلى هذه القواعد و ممارسة الحياة على أساس منها .

ـ إنّ العقل الإنساني لن يدرك كلّ حقائق الكون بمن فيه دفعة واحدة ، و إنّما سوف يدرك هذه الحقائق في مراحل مختلفة من الحياة ، و معنى ذلك أنّ العقل الإنساني لن يكف عن البحث و الدراسة ما دامت هناك أشياء لا تزال مجهولة ، و لا يزال هو يجدّ في البحث عنها[2].

---

[1] محمد فتحي عثمان : القيم الحضارية في رسالة الإسلام ، مقال بمجلة منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الإسلام و الحضارة و دور الشباب المسلم ، أبحاث و وقائع اللقاء الرابع، الرياض، المملكة السعودية، 1981 م ، ج:1 ، ص : 112 .

[2] للتوسع ينظر : محمد أحمد خلف الله : الأسس القرآنية للتقدم ، مطبعة الأهالي ، القاهرة ، مصر ، 1984 م ، ص : 47 و ما بعدها.

و من هنا نرى أنّ استمرارية السعي في المعرفة واجبة و هذا ما أكـــده الرّســـول صلى الله عليه و سلم في قوله : " **طَلَبُ العلْم فَرِيضَةٌ عَلَى كُـــلّ مُسْـــلم** " [1] ، و مـــا دام القرآن العظيم قد وضع أسس السير في سبيل تحصيل المعرفة ، فما على الإنســـان إلاّ أن يتبع هذه الأسس لتنمية قدراته و مهاراته بما يكفل له بلوغ ما شاء الله تعالى له من الكمال الإنساني .

أ ــ مصادر العلم و المعرفة :

من فضل الله تعالى على الإنسان أن زوّده باستعداد فطري للتّعلم و اكتساب المعرفة و العلوم و المهارات و الصناعات مما يزيد من قدرته على تحمل مسؤولية الحيـــاة علـــى الكون .

و يكتسب الإنسان العلم و المعرفة من مصدرين أساسيين : مصدر إلهي و مصـــدر بشري . و هذان المصدران متكاملان حيث يمكن ردهما إلى الله سبحانه و تعالى لأنّه هـــو الذّي خلق الإنسان و ركّب فيه إمكانيات الوصول إليهما و أمره أن يستخدمهما في النفـــع العام [2] . بدليل أنّ الرّسول صلى الله عليه و سلم كان يقول في دعاء من أدعيته " **اللّـــهُمَ إنّي أَعُوذُ بكَ منْ علْم لاَ يَنْفَعْ ...** " [3] .

ا ــ المصدر الإلهي :

و منه يتم تدفق المعرفة من الله عزّ و جلّ إلى أنبيائه و رسله ليقف الإنســـان مـــن خلالهم على ما بد من معرفته و تعجز أدوات حسّه وعقله عن إدراكه .

و لهذه المعرفة سبل خاصة قصرها ربّ العالمين على من اختـــاره مـــن أنبيائـــه ورسله . و هذه السبل يمكن حصرها بالوحي أو الإلهام أو الرؤيا الصادقة [4].

---

[1] رواه البخاري ، صحيح البخاري ، المرجع السابق ، ج:1 ، ص : 170 .

[2] عبد الفتح جلال : من الأصول التربوية في الإسلام ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، القاهرة ، مصر ، 1977 ، ص : 94 .

[3] رواه مسلم ، صحيح مسلم ، ج:10 ، ص : 139 .

[4] نايف معروف : الإنسان و العقل ، المرجع السابق ، ص : 114.

و – نجاتي محمد عثمان : علم النفس في حياتنا اليومية ، دار القلم ، الكويت ، ط 11 ، 1984 م ، ص : 326 .

فالوحي [1] ــ كما عرّفه أهل الاصطلاح ــ " إعلام من الله تعالى إلى أنبيائه بشرعه و دينه الذّي اختارهم الله لتبليغه " [2] يقول عزّ و جلّ : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(النساء : 163).

و يأتي هذا الوحي بصور مختلفة بيّنتها الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى : 51) .

و بناء على تعدد صور الوحي في القرآن ، نذكر عددا من ذلك [3].

فقد جاء الوحي بمعنى الإلهام الغريزي للحيوان ، كما في قوله تعالى:﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل : 68) .

و جاء بمعنى الإلهام للإنسان كما في قوله تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص : 7) ، و جاء الوحي بمعنى الإشارة في قوله تعالى :﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم : 11) .

و إذا كان الوحي في أصل معناه الطريقة التّي يتلقى بها الوحي من عند الله ، فإنّه أصبح يطلق ــ أيضا ــ على القرآن والسنّة النبوية،و بهذا يكون الوحي بمعنى الموحى[4]، فالقرآن وحي من الله في لفظه و معناه ، و السنّة وحي من الله في معناه [5] ، و لفظها من الرسول صلى الله عليه و سلم ، يقول عز و جل : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم :3 ــ 4) .

---

[1] الوحي لغة : " الإشارة و الكتابة و المكتوب و الرسالة و الإلهام و الكلام الخفي ، و كل ما ألقيته إلى غيرك " .
ــ يراجع الفيروزي الآبادي " القاموس المحيط ، المرجع السابق ، مادة " وحي " .

[2] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، الرياض ، السعودية ، د.ط ، د.ت ، ج:1 ، ص : 8 .

[3] الصابوني محمد علي : المرجع السابق ، ج:2 ، ص : 133 و149 .

[4] النجار عبد المجيد : خلافة الإنسان بين الوحي و العقل ، المرجع السابق ، ص : 68 .

[5] ابن حزم محمد بن علي : الاحكام في أصول الأحكام ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 1404 هـ ، ج:1 ، ص : 93 و94 .

و من هنا نجد أنّ الكندي (ت : 873 هـ) يقول : " إنّ ما يأتي به الرسول عن طريق وحي إلهي لا يأتي للفيلسوف ... بل إنّ الفيلسوف قد لا نجد عنده إجابات عن مسائل أجاب عنها الرسل في إيجاز و إحاطة شاملة بالمطلوب " [1] .

أما الجويني (ت : 478 هـ) فيسمي المعرفة التّي تأتي من المصدر الإلهي بـ"السمعيات " و هي تحصل عن طريق المرشد و الأدلة السمعية ، و المرشد هو الذّي يقول بكلام صادق ، و يدعو الخلق إلى قبول هذا الكلام المعجز ، و ليس للعقل في ذلك نصيب ، أما الأدلة السمعية فهي الكتاب و السنّة [2] .

و قبول " السمعيات " لابدّ أن يسبقه اقتناع المرء أنّ الذّي يعلم بكلام الله يعلمه عن طريق الإيمان ، كما أنّ المعجزة تقتضي صدق من ظهرت على يديه ، فالمعجزة خارقة بطبيعتها للعادات إذ أنّ من يدّعي النبوة يلزمه أن يأتي ببعض المعجزات ، فيقول مثلا : إنّ الله قادر على ما يشاء ، و إنّه يستطيع بقدرة الله أن يحيي العظام و هي رميم ، فإذا وقع هذا كله كان ذلك معجزة ، لأنّ إحياء الموتى خارج عن قدرة الإنسان ، و ينفرد بالقدرة عليه صاحب الخلق و الإيجاد [3] .

و لكن كيف يتسنى للإنسان الوصول إلى هذه المرتبة من المعرفة ؟ .

يقول الغزّالي : " إنّ على القلب غشاوة من شهوات الجسم و مشاغل الدنيا ، و متى انقشعت تلقى القلب العلم بإلهام إلهي على سبيل المكاشفة! فالطريق إلى بلوغ هذه المرتبة هو تقديم المجاهدة ، و محو الصفات المذمومة ، و الإقبال على الله ، حتّى ينكشف الأمر كما انكشف للأنبياء ، و فاض النّور على صدورهم بالزهد في الدنيا ، و تفريغ القلب من شواغلها . فإنّ العلم يجيء بارتفاع حجاب الحس المرسل بين القلب و اللوح المحفوظ[4] ".

---

[1] الكندي : رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1950م ، ج:1 ، ص : 103 و104 .

[2] فوقيه حسين محمود: الجويني، إمام الحرمين، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة، مصر، 1965 م، ص:44

[3] فوقية حسين محمود : المرجع نفسه ، ص : 145 .

[4] نقلا عن : رمزي نجار: الفلسفة العربية عبر التاريخ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1979 م ، ص : 248 و249 .

2 ــ المصدر البشري :

و نعني به مصدر المعرفة الإنسانيّة المكتسبة ، و العلم الذّي ينتج من خبرات الإنسان في الحياة ، و من اجتهاده الخاص في الاستطلاع و الملاحظة ، و محاولة حل ما يجابهه من مشكلات في الحياة سواء أكان ذلك عن طريق التربية و التعليم من والديه ومن المؤسسات التعليمية ، أم عن طريق البحث العلمي [1] ، غير أنّ هذه المعرفة التّي يحصل الإنسان عليها نتيجة اجتهاده هي أيضا مستمدة من الله تعالى ، لأنّه هو الذّي أمده بأدوات الإدراك الموصلة إلى المعرفة ، و هو الذّي أودع فيه مزايا التفكير و العقل ، بعد أن أنعم الله تعالى عليه بالمعلومات الأولى التّي كانت نقطة البداية للعقل الإنساني مع آدم عليه السلام ، فقال عزّ و جلّ : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ (البقرة : 31 ــ 32).

و مهما اختلف في شأن ما علّمه ربّ العالمين لآدم عليه السلام ، فإنّ المفسرين لا يختلفون في أنّ الله تعالى قد علّمه ما يصلح به شأنه في هذا الكون [2] .

و في الآية إشارة إلى أنّ الله سبحانه و تعالى منح الإنسان القدرة على تسمية الأشياء لتمييزها و التصرف فيها ، و على خلق المعاني و معرفة المسمّيات ، ذلك أنّه تعالى عظمت قدرته ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا...** ﴾ ، و أقدره على التصرف في كلّ ما يجده من حوله من الأشياء و الحيوانات . و قد أودع الله في نسله المكرّم مثل هذا الاستعداد .

و إنّ في التعبير : بـ "الأسماء " لأمارة على وجود مسمياتها ، و لا ريب أنّها كلّها لم تكن موجودة في طور البشرية الأولى ، و إنّما وجدت بالتدرج مع تعاقب الأجيال ، و هذا يؤكد أنّ في تعليم آدم الأسماء كلّها تصريحا بوراثة بنيه ، استعدادا لمعرفة شاملة

---

[1] نجاتي محمد عثمان : القرآن و علم النّفس ، المرجع السابق ، ص : 157 .

[2] لمعرفة أقوال العلماء في هذا الشأن يراجع:

فاروق أحمد الدسوقي:استخلاف الإنسان في الأرض، المرجع السابق، ص : 36 .

لكل الحقائق و فاعلية مطلقة في كلّ الميادين ، و قدرة لا حدّ لها على وضع المصطلحات لكلّ ما يجدونه في أصالة و إبداع [1] .

إذن المعرفة الأولى جاءت عن طريق الإنسان الأوّل ــ آدم عليه السلام ــ استكمالا لحياة هذا الكائن الذّي كرّمه الله ،و خلقه في أحسن تقويم .أما بقية النّاس ــ جميعهم ــ فإنّهم يولدون من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا بدليل قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾(النحل : 78).

فهذه الآية تبيّن أنّ في الإنسان قوى مدركة للأشياء ،و أنّ من هذه القوى : السّمع و البصر و الفؤاد ــ أي العقل ــ و أنّ المعرفة الإنسانيّة تعتمد على هذه القوى و ذلك فهي مكتسبة [2] .

و من هنا نستطيع القول إنّ المعرفة المتحصل عليها عن طريق " المصدر البشري " نوعان : معرفة حسيّة و معرفة عقليّة [3] ، فالأولى تدرك بالحواس الجسمية المعروفة من لمس و شم و إبصار و إحساس ، و الثانية تدرك بالعقل ، و في ذلك يقول ابن رشد (ت: 595) : " فعندما نظر الفلاسفة إلى جميع المدركات وجدوا أنّها صنفان : صنف مدرك بالحواس ، و هي أجسام قائمة بذاتها مشار إليها ، و أعراض مشار إليها في تلك الأجسام . و صنف مدرك بالعقل ، و هي ماهيات تلك الأمور المحسوسة و طبائعها ، أي الجواهر و الأعراض ، و وجدوا التّي لها ماهيات بالحقيقة فيها هي الأجسام ، و أعني بالماهيات للأجسام صفات موجودة فيها ، بها صارت تلك الأجسام موجودة بالفعل ، ومخصوصة بصدور فعل من الأفعال يصدر عنها و خالفت هذه الصفات الأغراض عندهم بأن وجدوا الأعراض أمورا زائدة على الذات المشار إليها أي إلى الأعراض " [4] .

---

[1] الشيباني عمرمحمد التومي : فلسفة التربية الإسلامية ، المرجع السابق ، ص : 84 .

[2] نجاتي محمد عثمان : الإدراك الحسي عند ابن سينا ، دار المعرفة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1961م ، ص : 19 .

[3] للتوسع ينظر :

ــ الكردي راجح عبد الحميد : نظرية المعرفة بين القرآن و الفلسفة ، المرجع السابق ، ص : 545 و 611 وما بعدهما .

[4] العراقي محمد عاطف : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1968 م ، ص: 62 .

و بهذا فإنّ الحس يدرك الأجسام المشار إليها و المركبة من الصور و المادة ، أما العقل فيدرك ماهيات هذه الأجسام ، و هي تصير معقولات إذا جرّدها العقل من الأمور القائمة بها ، أعني الموضوع و المادة [1] .

و يؤكد الفارابي أهميّة الحس في نظرية المعرفة ، فيقول : " المعارف إنّما تحصل عن طريق الحس " [2] .

إلاّ أنّ الفارابي لا ينكر دور العقل في الحصول على المعرفة ، بل يؤكده أيضا ، لأنّه يرى أنّ المعرفة لا تحصل للإنسان بمجرد مباشرة الحس للمحسوسات ، و لكن بعد تدخل قوى نفسية ، و في هذا الصدد يقول : " و قد يظن أنّ العقل تحصل فيه صورة الأشياء عند مباشرة الحس للمحسوسات بلا توسط ، و ليس الأمر كذلك ، بل بينهما وسائط، و هو أنّ الحس يباشر المحسوسات فتحصل صورها فيه ، و يؤديها إلى الحس المشترك ، حتّى تحصل فيه ، فيؤدي الحس المشترك تلك الصور إلى التخيّل و التخييل إلى قوة التمييز ليعمل التمييز فيها تهذيبا و تنقيحا و يؤديها منقحة إلى العقل " [3] .

و هكذا فالمعرفة تكون عندما تقع الحواس على المحسوسات فتأخذ صورها ثمّ تتعاقب عليها قوى النّفس المختلفة واحدة بعد أخرى لتقوم بتنقيتها من الشوائب و تصفيتها من علائقها الحسيّة و عوارضها المشخصة حتّى تبلغ بها مرتبة التجريد الخالص [4] .

و إذا رجعنا إلى الآية السابقة (النحل : 78) أو غيرها كقوله تعالى : ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ (الحج : 46) ، نجد أنّ فيهما دعوة واضحة إلى الاعتماد في تحصيل المعرفة الحسيّة على قوى الإحساس المباشرة ، كما نجد أنّ الظاهر من تلك الآيات أنّ هذه المعرفة تكتسب من التجربة ، باستخدام تلك الأعضاء المدركة في حقل وظائفها الطبيعية المخصصة لكلّ منها ... لكن السياق الوارد في الآيتين هو الذّي يحدّد مضمونها و دلالتها . إذ يبدو منه أنّه يدل على أنّ

---

[1] العراقي محمد عاطف : المرجع نفسه ، ص : 63 .

[2] نقلا عن ــ حنا الفاخوري و خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1966 م ، ص : 407 و408 .

[3] نقلا عن ــ حنا الفاخوري و خليل الجر : المرجع نفسه ، ص : 409 .

[4] محمد عبد الرحمان مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص : 386 .

المطلوب من المعرفة الحسيّة التّي تؤدّيها القوى المدركة المذكورة ، هو أن تقدّم العقل من مشاهد الكون ، و ظاهراته العظيمة المحسوسة ما يدعم الإيمان لدى الإنسان [1].

و يبدو أنّ الحواس و العقل مجالا واسعا من الحقائق التّي في إمكانهما النفاذ إليها، و تصل الإنسان بموضوعات المعرفة الخارجية و الداخلية ،و بها يكون إدراك حقائق تلك الموضوعات .وما يجب على الإنسان في هذا الشأن هو ترقية آلة الحس بإعمالها في تعرف المحسوسات ، وإكسابها الخبرة المطّردة في ذلك حتّى ترتقي صعودا في القدرة على استكشاف مظاهر الكون و رصد دقائقه الحسيّة الظاهرة و الخفيّة، و كذلك ـ بالموازاة مع ذلك ـ ترقية آلة العقل بإعمالها في إدراك الدّلالات المجرّدة للمحسوسات، و إكسابها القدرة على النفاذ إلى الحق انطلاقا من تحليل دلالات الحس[2] .

و ممّا سبق يمكن أن نستنتج أنّ الإنسان ركّبت في طبيعته قوى إدراكية مختلفة ومنها العقل و الحواس ،كما له منفذ خارجي ينقل له الحقيقة من الله سبحانه و تعالى و هو الوحي ، وهذا خاص بالرسل و الأنبياء ، و يفهمه من بعدهم الرّاسخون في العلم.

و للوصول إلى الحقيقة،على الإنسان أن يعدل بين هذه المصادر المعرفية الإلهية والبشرية،لأنّ القرآن لم يقيّد الإنسان و إنّما ترك له المجال واسعا للاجتهاد و البحث حتّى يبقي العقل الإنساني ـ دائما ـ يصبو إلى طلب العلم و المعرفة ،قال تعالى:﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (الإسراء :75).

إنّ التوازن بين هذه المصادر المعرفية ، والتكامل في وظائفها للوصول إلى الحقائق بعد البلوغ بها في الكفاءة مداها هو المظهر الجلي للتّرقّي المعرفي وفق منهج خلافة الإنسان، فهي عندما يقوم كلّ منها بوظيفته الطبيعية في المعرفة عن طريق رصد المشاهد المحسوسة بالحواس ،و التأمّل و الاستنتاج بالعقل، و التّلقّي من الوحي في مجاله المخصوص، فإنّها حينئذ تبلغ بالإنسان درجة من إدراك الحقائق تجعله قريبا من الله تعالى

---

[1] مروه حسين : النزعات المادية في الفلسفة العربية و الإسلامية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1981 م ، ج:1 ، ص : 368 .

[2] النجار عبد المجيد: العقل و السلوك في البنية الإسلامية،المرجع السابق ، ص:134.

بمعرفة حقيقة خلقه التّي تقتضي معرفة وجوده و صفاته، و بهذه المعرفة يصبح الإنسان قادرا على تعمير الأرض و إحكام السلطة عليها ، وذلك من صميم ممارسة الخلافة[1].

و نجد ماجد الكيلاني يشير إلى طبيعة التكامل بين أدوات المعرفة الثلاث:(الوحي و العقل و الحس)، فيقول :"... فالوحي للعقل بمنزلة الشمس أو الضوء للبصر، فكما أنّ البصر لا يبصر الأشياء إذا انفردت في الظلمة، كذلك العقل لا يبصر الحقائق إذا انفرد في البحث عنها ، و لذلك سميت آيات الوحي في القرآن الكريم "بصائر" [2].

و نحن نرى أنّه على حق في ذلك و دليلنا في ذلك قوله تعالى﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ** ﴾(الأنعام 104)،و قوله عزّ و جلّ ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأعراف 203) .

2ـ التفكير :

إذا كان القرآن الكريم قد أشار في آيه إلى أنّ الإنسان يتوق إلى معرفة الله ، فإنّ هذه المعرفة كامنة في الفطرة الأصليّة ، فطرة الرّوح الإنسانيّة على حالتها الأولى ، قبل أن تظهر في هذا الكون و تستخدم فيه هذا المركب البديع ، الذّي هو الجسم ، و ما له من حواسّ ظاهرة و باطنة ، و من جوارح ، و لذلك نجد القرآن قد وجّه عقل الإنسان إلى الطريق السوي لمعرفة الله ، فنبهه إلى التفكير في بديع خلق الله ، و النظر في السماوات والأرض ، و النفس و جميع ما في الكون من المخلوقات ، و دعاه إلى ملاحظة الظواهر الكونية ، فقال تعالى :﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض**... ﴾ (آل عمران : 191) .

و بتحديد مجال النظر العقلي للإنسان يصون القرآن الكريم الطاقة العقلية من التبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل لعقل الإنسان أن يحكم فيها... يدرب الطاقة العقلية على

---

[1] للتوسع حول التكامل المعرفي ينظر:

ـ النجار عبد المجيد:المرجع السابق، ص: 141 و ما بعدها.

و ـ الهمداني عبد الجبار:المغني في أبواب التوحيد والعدل ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة، مصر،1965،ج:12، ص:57 و ما بعدها.

[2] الكيلاني ماجد عرسان : فلسفة التربية الإسلامية ، المرجع السابق ، ص: 232 .

طريقة الاستدلال المستمر ، و التعرف على الحقيقة من خلال وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ، و هو تدبّر نواميس الكون و تأمّل ما فيها من دقة و ارتباط [1] .

و قد دعا القرآن الكريم الإنسان دعوة صريحة إلى التفكير فقال تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...**﴾ (سبأ : 46) .

كما دعاه إلى النظر في ملكوت السماوات و الأرض و ما خلق الله من شيء في هذا الكون الذّي يشتمل على كلّ موجود ذي حياة أو غير ذي حياة [2] ، و يفهم هذا المعنى من الآيات العديدة التّي تحض الإنسان على التفكير و تدفعه إلى دراسة ما في الكون من مظاهر مختلفة و من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(20)وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ** ﴾(الذاريات 20 ــ 21)،و قوله كذلك :﴿ **أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ (سبأ : 09) و قوله أيضا :﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ...**﴾ (العنكبوت : 20) .

و بتدقيق النظر إلى قوله تعالى :﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَولَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ...** ﴾ (فصلت : 53) ، نرى أنّ كلمة "الآفاق " تعني ما ينظرون إليه ثمّ ما ينظرون فيه أو ما يشاهدونه بعين البصر ثمّ بعين الذهن المعتمد على الحسّ ، كما نرى في قوله تعالى : ﴿**وَفِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ هو المدرك بالشعور الباطن أو الفعل المجرد من كلّ غواشي الحسّ وعلائق المادة حتّى يتبيّن لأولئك وهؤلاء أنّه الحق [3].

وهكذا جاء القران الكريم لا يهتم بالعقل فقط، و لكن ليعيد تشكيله من جديد بما يتفق و الوظائف الملقاة على عاتق الإنسان بسببه فيه ، ولذلك فإنّه " من خلال التمعّن في نسيج كتاب الله ، نجد كيف منحت آياته البيّنات العقل ... رؤية تركيبية للكون و الحياة والإنسان و الوجود ، تربط ــ وهي تتأمّل وتبحث وتعاين وتتفكر ــ بين الأسباب والمسببات... تسعى إلى أن تضع يدها على الخيط الذّي يربط بين الظواهر و الأشياء ، في هذا العقل أو ذاك ، وفي هذه المساحة أو تلك . لقد أراد القرآن أن يجتاز بالعقل

---

[1] قطب محمد : منهج التربية الإسلامية ، المرجع السابق ، ج1، ص : 15 و16 .

[2] العقاد عباس محمود : التفكير فريضة إسلامية ، المرجع السابق ، ص : 85 .

[3] الزنداني عبد المجيد عبد العزيز : الإيمان ، الدار السلفية ، الجزائر ، ط2 ، 1994م ، ص :30 .

مرحلة النظر التبسيطية المسطحة المفككة التّي تعاين الأشياء و الظواهر ، كما لو كانت متقطّعة معزولة ، منفصلا بعضها عن بعض " [1].

ويتضح حرص القرآن الكريم على دعوة الإنسان إلى التفكير من ورود كثير من الآيات التّي تتضمن مثل هذه العبارات : " **أَفَلاَ يَتَفَكَّرُون** " ،" **لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونْ** "، "**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونْ** " ، وقد وردت مشتقات "الفكر " في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة [2].

وقد بيّن القرآن أهميّة التفكير في حياة الإنسان ، ورفع العلم و العلماء ، فقال الله عزّ و جلّ :﴿ ...**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ (الزمر:09)، أما أولئك الذين لا يحبّون التفكير بعقولهم ، فهم ـ في القرآن ـ صمّ بكم ، بل إنّهم يلغون إنسانيتهم كلّها ، فيكونون شرا من الدواب ذاتها: فقال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ (الأنفال :22)

أ ـ منزلقات التفكير :

إنّ في القرآن الكريم أمرا بالتفكير والتدبير في آيات عديدة،ـ كما سبق أن رأينا ـ إلاّ أنّ هذا التفكير قد تعترضه بعض العوائق فتحرفه عن الطّريق السوي ، و تحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة . وإذا تراكم على الإنسان كثير من عوائق التفكير أصيب تفكيره بالجمود ، و أصبح غير قادر على تقبّل الآراء و الأفكار الجديدة . وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فقد التفكير قيمته العظيمة في حياته ، فلم يعد يؤدي وظيفته الطبيعية في عملية التمييز بين الحق و الباطل ، و بين الخير و الشرّ ، و في اكتشاف الحقائق و اكتساب العلوم ، و الترقي بالإنسان في مدارج الرقي و الكمال [3] ، و إذا تعطل تفكير الإنسان و جمد يفقد الإنسان الميزة الرئيسية التّي تميزه عن الحيوان ، و يصبح كالحيوان أو أضل سبيلا . يقول تعالى:﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ (الفرقان: 44) .

---

[1] عماد الدين خليل : حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، المرجع السابق ، ص: 48 و 49 .

[2] الحوفي أحمد محمد: القرآن و التفكير ، المرجع السابق ، ص :12 .

[3] نجاتي محمد عثمان : القرآن وعلم النّفس ، المرجع السابق ، ص:148 .

وقد ذكر القرآن ن الكريم أهم المنزلقات التّي تعوق التفكير و تؤدي إلى جمـــوده ، فتحول بينه و بين معرفة الحقيقة ، و بين إصدار الأحكام الصحيحة فيما نظـــر فيـــه مـــن الأمور و من هذه المنزلقات ما يلي :

ا ــ التقليد [1] و الأوهام و الخرافات :

جمع القرآن الكريم في باب النهي عن التقليد ، و الاستسلام للأوهام وجوه الجـانب السلبي من تعطيل العقل ليحوطه بسياج واق من العلل التّي تنتج من الجهالة أو الضالة أو التقليد ، وفي أي من هذه الآفات تعطيل لمنفعة العقل ، ووقف لتطور العالم في حين يؤدي عدم اتباع الغير إلاّ بدليل إلى عدم الإبقاء على ما لا يصلـــح و العمـــل لا يجـــاد الدليـــل الصالح ، وهذه وسيلة التقدم وعمارة الأرض[2] .

إنّ التقليد يغير دليل من العوامل التّي تسبّب جمود التفكير و تجعله عاجزا عن نقـل ما يعنّ له من أفكار جديدة .و الإنسان يميل عـــادة إلـــى التمســـك بالعـــادات و التقـــاليد والأعراف و الإقتداء ــ الأعمى ــ بأعصاب السلطة الدينية .

والقرآن الكريم لا يقبل من الإنسان تعطيل عقله عن التفكير و الاكتفاء بسنّة آبائـــه وأجداده ،و لا يقبل منه تقييده خنوعا لمن يسخّره باسم الدين في غير ما يرضـــي العقـــل والدّين، كما يرفض أن يكون عقله معطّلا بسبب هبة من بطش الأقوياء و طغيان الأشداء، ولا يكلّفه في هذه الأمور ما لا يقدر عليه ، لذلك نجد القرآن يذكر في غير ما موضـــع أنّ الله تعالى لا يكلّف نفسا بما لا طاقة لها به ، ولا يأمر عباده بغير ما يستطيعون ، و هـــذا في مثل قوله تبارك و تعالى: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**...﴾ . (البقرة:245) .

ولقد كان أشدّ ما يثير أهل الجاهلية من الدّعوة الإسلامية و يزيد من حنقهم علـــى رسولها تسفيه أحلام الآباء و الأجداد ،فكثيرا ما كانوا يقولون في مقام الغضب منه صلى

---

[1] نقصد بالتقليد : قبول قول الغير دون معرفة الدليل ، يراجع ــ ابن جزي: المرجع السابق ، ص : 158.

[2] جلال عبد الفتاح : الأصول التربوية في الإسلام ، المرجع السابق ، ص : 111 .

الله عليه وسلم والتحريض عليه : إنّه يسفّه أحلامنا ويستخفّ بعقولنا،وكان ذلك بسبب أنّ الدعوة الإسلامية جاءت رافضة و محاربة لعادات و تقاليد الجاهلية التّي لا تتماشى مع مبادئ الدّين الجديد،وذلك مثل الفخر بالأنساب...[1]

والقرآن الكريم يأبى على الإنسان أن يحيل أعذاره على آبائه وأجداده ، كما يأبى له أن تحال عليه الذنوب والخطايا من أولئك الآباء والأجداد ، وإنّه لا ينبغي على الذين يستمعون الخطاب أن يعفوا أنفسهم من مؤونة العقل لأنّهم ورثوا من آبائهم وأجدادهم عقيدة لا عقل فيها [2].والآيات في ذلك كثيرة كقوله تعالى :﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (البقرة : 170) . وقوله عزّ و جلّ:﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾(الأعراف:28). وقوله تعالى : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (المائدة : 104) .

و لما كان جمود التفكير مضرّا بالإنسان لأنّه يفقد الاستفادة من الخاصية الرئيسية التّي خصّه الله تعالى بها وميّزه عن كثير من المخلوقات ، ولأنّه يهبط به إلى مستوى الحيوان ، فقد حرص القرآن على حثّ الإنسان على التّحرر من القيود التّي تكبّل تفكيره ، و تعطّل عقله . ووجّه نقدا لاذعا للمشركين الذّي كانوا يقلّدون آباءهم في أفكارهم وعقائدهم ويلغون عقولهم ، ويعطلون تفكيرهم ، فيرفضون كلّ فكرة جديدة دون أن يحاولوا التفكير فيها تفكيرا متحررا من قيود التقليد [3].

كما حذر القرآن الكريم الإنسان من فساد الكهّان و الأحبار والأوهام و الخرافات التّي تعطل التفكير و تعوقه عن معرفة الحقيقة إذ بدأ بالتحذير الشامل من هذا الفساد ، فاسقط الكهانة و أبطل سلطان رجال الدين على الضمائر ،و نفى عنهم القدرة على التحريم و التحليل و الإذانة و الغفران ، ثمّ نبّه إلى سيئاتهم وعاقبة الذين استسلموا لخديعتهم وكثير منهم خادعون . كما في قوله تعالى :﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا**

---

[1] العقاد عباس محمود: المرجع السابق، ص :25 .

[2] العقاد: المرجع نفسه ، ص: 26.

[3] البهي محمد: الإسلام في حياة المسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1973م ، ص: 167.

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة :31) .

2 ــ الحكم بدون أدلة :

من منزلقات التفكير التّي يمكن أن يقع فيها الإنسان إصدار الأحكام ، واستنتاج النتائج دون توفر الأدلّة الكافية التّي تؤيّد صحة هذه الأحكام أو الاستنتاجات .

فليس من المتيسر للإنسان أن يفكر تفكيرا سليبا في موضوع ما، دون أن تكون لديه البيانات الكافية ، و المعلومات الضرورية المتعلقة بالموضوع الذّي يفكّر فيه .

و من هنا فإنّه لا يستطيع أن يصل بتفكيره إلى حكم صائب دون أن تتجمّع لديه الأدلّة و البراهين اللازمة التّي تؤيد صحة ما يصل إليه من أحكام و استنتاجات .

و لهذا نجد القرآن الكريم قد دعا الإنسان إلى التّثبّت من كلّ حركة و كلّ ظاهرة قبل إصدار الحكم عليها لأنّه متى استقام القلب و العقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم و الخرافة في التفكير الإنساني ، و لم يعد هناك مجال للظن و الشبهة في عالم الحكم و القضاء و التعامل ، كما لم يبق هناك مجال للأحكام السطحية و الفروض الوهمية في عالم البحوث و التجارب و العلوم [1] .

و قد أشار القرآن الكريم إلى أهمية معرفة الموضوع للوصول إلى الحق فيه ، ونهانا عن الكلام و إبداء الرأي في ما ليس لنا به علم . كما نهانا عن اتّباع ما نسمعه من أقوال و أراء دون أن يكون لدينا علم بها ، و دون أن تتّضح لنا الأدلّة و البراهين على صحّتها . فقال عزّ و جلّ :﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ (الحج :08) . و قوله سبحانه و تعالى :﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**﴾ (الحج : 03) ، و قوله كذلك:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾(الحجرات:06)، و قوله أيضا : ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ (الإسراء : 36) .

---

[1] قطب سيد : في ظلال القرآن ، المرجع السابق ، ج: 4 ، ص : 2227 .

ففي هذه الآيات نلمس دعوة إلى اتباع منهج علمي معتمد على فرضيات انطلاقا من حقائق علمية ، كما نرى فيها أمرا بالمشاهدة الصحيحة و التفكير الصحيح ، و حثا على التّمسّك بالنظر العلمي من أجل الوصول إلى الحقيقة عن هذين الطريقين : المشاهدة و التفكير .

و هكذا تتضافر الآيات على تقرير ذلك المنهج المتكامل الذّي لا يأخذ العقل وحده بالتحرج بأحكامه و التثبت في استقرائه، إنّما يصل ذلك التحرج بالضمير في خواطره وتصوراته ، و بالنّفس في مشاعرها ، فلا يقول اللسان كلمة و لا يروي حادثة و لا ينقل رواية ، ولا يحكم العقل حكما و لا يبرم الإنسان أمرا إلاّ و قد تثبت من كلّ جزئية و من كلّ ملابسة و من كلّ نتيجة ، فلم يبق هناك شك و لا شبهة في صحتها .

3 ــ الأخذ بالظن :

قد لا تتوفر للإنسان جميع البيانات الهامة المتعلقة بالموضوع الذّي يفكر فيه ، فيلجأ إلى افتراض الحلول التّي يحتمل أن تكون صحيحة أو خاطئة . و كثيرا ما يلجأ الإنسان إلى الظن في حكمه على الموضوع دون أن يكون على بيّنة من صحة ظنه ، و قد يتبيّن له فيما بعد خطأ ظنه [1] . و لذلك فالوقوف عند مجرد الظن و الحدس و التخمين لا يوصل الإنسان إلى العلم و المعرفة ، بل يؤدي به إلى الخطأ ، و في ذلك يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾(يونس : 36) ، و يقول أيضا:﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ (يونس : 66) .

و هكذا يتبين أنه يجب على الإنسان أن يتجلى عن الظن إذا أراد التفكير السليم ، لأن الظن لا يغني عن الحق شيئا ، و لا يمكن أن يقوم مقام الحق و اليقين ، قال تعالى : ﴿**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾(النجم:28) .

إنّ التفكير في الإسلام [1] يقوم على حقائق عقلية تنتج عن واقع مشهود أو مسلّم به، و يفهم هذا من قول الله تعالى :﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**

---

[1] نجاتي محمد عثمان : المرجع السابق ، ص : 152 .

[1] الجندي عبد الحليم : القرآن و المنهج العلمي المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، ط 2 ، 1984 م ص:31 .

أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج : 46) ، و القرآن لا يقبل التفكير بالظن و الهوى، و يتجلى ذلك من قول الله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** (الجاثية : 23) .

و ممّا سبق ندرك أنّ القرآن الكريم يأمر الإنسان بالسير في الأرض و نزاهة الفكر لتحصيل المعرفة ، بالاستقراء و الاستنباط عن طريق العقل الذّي يستعين بالحس و السمع و البصر ، و جميع الحواس.

كما يتبيّن لنا أنّ القرآن الكريم قد اعتمد مبدأ التفكير العلميّ أسلوبا لحلّ المشاكل ، و كشف الحقائق ، و اتخاذ القرارات ؛ و ذلك لأنّ أسلوب التفكير العلميّ يتّسم بالدقة والأمانة و الإتيان بالدليل والبرهان ، و التخلّي عن الأثرة و الذاتية و التحيّز و التعصّب ، و من ثمّ فهو الوسيلة الوحيدة لدى الإنسان لتحقيق النظرة الموضوعية و الوصول إلى الحقائق العلمية، قال تعالى :﴿ **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** (البقرة : 111) .

و هكذا يتضح لنا أنّ القرآن الكريم يرشد الإنسان إلى النظر و التدبّر في ملكوت السماوات و الأرض و ما خلق الله من شيء ليعرف أسرار الله في كونه ، و إبداعه في خلقه ، و ذلك كي تمتلئ القلوب إيمانا بعظمته عن طريق النظر و الاستدلال ، لا عن تقليد و مجاراة أو وهم و خرافة أو حكم بدون دليل أو أخذ بالظّنّ .

و هكذا يكون القرآن الكريم قد فتح بهذا الإرشاد باب البحث عن خواص الأجسام في الكون ، لينتفع الإنسان بها في حياته و يستخدمها في مقاصد التعمير و الإنشاء [1].

ولما كان العقل و الحواسّ سبيل الإنسان لمعرفة الحقائق بكلّ دقّة و أمانة فقد حثّ القرآن الكريم على استعمالهما في كلّ تفكير للتثبت من الحقائق و الوصول إلى المعرفة العلميّة .

---

[1] شلتوت محمد : الإسلام عقيدة و شريعة ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط11 ، 1403 هـ / 1983 م ، ص:400 .

و صفوة القول فإنّه يمكن تلخيص أهمّ ما توصّلت إليه في هذا الفصل في ما يلي:

- إنّ لكلمة "العقل" و مرادفاتها تداخل في المعاني ،و على الرّغم من ذلك فإنّ تلك المرادفات تبدو كأنّها تعبّر عن شيء واحد من الناحية اللغوية .

- لقد اختلفت أقوال الدارسين في تعريفهم للعقل من فلاسفة و متكلمين و فقهاء و علماء الأصول (أصول الفقه) ، و معظم الآراء الفلسفية تركزت حول كينونة العقل .

- إنّ في القرآن الكريم آيات كثيرة تحدّثت عن العقل و التعقّل و التفكير والتدّبر و ما في معانيها ، بحيث قد تجاوزت المئات ، و ما يلفت النظر إليه هو أنّ اصطلاح "العقل" نفسه بهذه التسمية اللفظية غير وارد في القرآن الكريم ، بل عوضته مرادفات أخرى ذات نبر دلالي و جمالي مما جعلها تؤثر تأثيرا قويا في العقول و الأسماع ، و من ذلك لفظ " القلب" و "الألباب"... .

- إنّ القرآن الكريم لم يتحدث عنه العقل بلفظه ، و إنّما ذكر التعقل و هو الوظيفة أو العملية التّي يقوم بها ، و يتجلّى ذلك في هذه الأقوال :" تعقلون" ، "يعقلون" ، "عقلوه" ، و "تعقل" .... .

- يعدّ العقل نعمة عظيمة أنعم الله سبحانه و تعالى على الإنسان و به يتميز عن غيره من مخلوقاته ، فالإدراك الحسي وظيفة قد يشترك فيها كل من الإنسان والحيوان ، غير أنّ الله سبحانه و تعالى قد خصّ الإنسان بوظيفة إدراكية أخرى في طبيعته ، و هذه لا تكون إلاّ عن طريق العقل .

- يعدّ القرآن العقل عنصرا من عناصر تكوين طبيعة الإنسان ، و سّرا من أسرار تكريمه و لذلك أسجد الله تعالى الملائكة لآدم تشريفا له .

- إنّ طبيعة الإنسان ذات تكوين عقلي ، و مطلبها و حقها في إشباع حاجاتها من المعرفة بمصدرها الإلهي و البشري .

- إنّ الإنسان وحده هو القادر على القيام بالعمليات العقلية العليا عن طريق التفكير و التأمّل و التدبّر ، و التبصّر ، و النّظر العلمي بقصد الكشف عن الحقيقة، و وضع القوانين و النظريات العلميّة ؛ و ذلك لأنّه يمتلك ملكة التحليل و التركيب و التّجريد ، و من ثمّ يستطيع التّحرّر من منزلقات الفكر القائمة على التقليد والأوهام ، و الخرافات ، و الحكم بدون أدلّة و الأخذ بالظّنّ .

الخاتمة

بعد تطرّقنا لطبيعة الإنسان في القرآن الكريم من خلال هذا البحث المتواضع تبيّن لنا أنّ الإنسان مكوّن أساسا من المادّة و الرّوح و العقل .

و بامتزاج هذه العناصر تتحقق الحياة ، فالرّوح فكرة مجرّدة غير محدّدة ، و لكن هذه الفكرة المجرّدة هي سرّ الحياة ، و إذا ما تلبّست بالجسد ــ الذّي هو مادّة محدودة ــ أصبح المزيج إنسانا .

كما أنّ العقل نعمة أنعم الله سبحانه و تعالى بها على الإنسان الذّي كرّمه و فضله على سائر المخلوقات و بذلك كان أساس كلّ فضيلة و ينبوع كلّ أدب .

كما نبيّن لنا أنّ القرآن الكريم قد تعرّض لطبيعة الإنسان من جوانب كثيرة و ذلك في آيات عديدة اعتمد عليها العلماء لشرح مصطلح "التسويّة"ــ تسوية الإنسان وتعديله ــ، و قد عبّر القرآن الكريم عن طبيعة الإنسان بذكر عناصر تكوينه الذّي عرضه في مرحلتين : إذ تتعلق المرحلة الأولى بخلق الله تعالى المادة و جعلها مستعدة لفيضان الرّوح عليها و هو المعروف بالتسويّة .

أما المرحلة الثانية فتتعلق بإيجاد الرّوح ، و إفاضتها على هذه المادة المسوّاة لتصير بشرا سويّا ، و هو ما عبّر عنه بنفخ الرّوح .

و قد أشار القرآن الكريم إلى المرحلتين فقال تعالى :﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾(ص:71 ــ 72).و قال جل شأنه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ (الحجر : 28 ــ 29).

و قال أيضا :﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ(7)ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(8)ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ (السجدة :7 ــ 8 ــ 9).

و بمرحلة نفخ الرّوح في الجسد تمّ تكوين آدم عليه السلام، فقد سوّى الله سبحانه وتعالى مادته الأرضية ، و جعلها مستعدة لنفخ الرّوح فيها ، أي إضافة عنصر الحياة في المادة القابلة لها ؛ و تعدّ هذه آخر مرحلة في تكامل الكيان الإنساني ،فالنفخ عبارة عن إشعال نور الرّوح في فتيلة النطفة .

فبعد أن خلق الله الإنسان من تراب ، و جعله سويّا مستقيما ، و قوّم أعضاءه وعدّلها ، و أتمّها ، نفخ فيه الرّوح التّي هي من أمر الله عزّ و جلّ .

و هكذا يمكن القول إنّ الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم ، طبيعة مزدوجة ، مكونّة من حقيقتين مختلفتين : إحداهما، مادية أرضيّة ، قبضة من طين؛ و الأخرى روحيّة سماويّة من عند الله .

و إذا كانت هذه الطبيعة، تبدو ذات وجهين مختلفين ــ لكون الإنسان يتكوّن من عنصر ترابي معروف التركيب ، و عنصر روحي لا يعرف كنهه ــ فإنّ هذا الاختلاف لا يترتّب عنه تناقض في كينونة الإنسان ، بل هو اختلاف يفضي إلى وحدة في هذه الكينونة . و يعود وجود الإنسان إلى طبيعته الأولى التّي فطر عليها ، و يقيمه على أساس من التعادل بين الكمّ و الكيف ، بين الرّوح و المادة ، بين الغاية و السبب ، و بكلمة بين العلم و الضّمير .

و قد نتج عن هذا التركيب مجموعة من الصفات ، يرجع بعضها إلى طبيعة التكوين المادي ، و بعضها الآخر إلى طبيعة التكوين الرّوحي ، و بعضها الثالث إلى خاصية هذا التركيب الذّي من خلاله تتحقق طبيعة الإنسان بتحقّق التنسيق بين القوى الماديّة و الروحيّة في حياة الإنسان ، وبين النّظام المادي و النّظام الرّوحي في حياته الخلقيّة ، و توجيه السلوك و تحقيق الغايات .

فالمادة و الرّوح يمثلان وحدة واحدة في كيان الإنسان، و لو مال هذا القوام التكويني الوحدوي ، إلى أحد الطرفين على حساب الآخر ، لسقط الإنسان في أحد وضعين مرذولين ، فإمّا روحانيّة مغرقة، يضطهد فيها الجسم فلا ينزع إلى عمل تعميري و لا يقوى عليه ، و إمّا ماديّة مغرقة تكلّ بها الرّوح عن أن تتصل بربّها لتستلهم هداه ، وتصل الإنسان به على حبل من العبادة ؛ و في كلا الوضعين يتعطّل الدور المنوط بالإنسان في هذه الحياة .

و قد وصف القرآن الوضع الأوّل ــ الإغراق في الإشباع الرّوحي ــ في قوله تعالى : ﴿ ...**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**...﴾(الحديد : 26) .

كما أشار إلى الوضع الثاني ــ الإغراق في شهوات الجسم ــ بقوله تعالى:
﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾(النساء:27) .

و من هنا يمكننا القول ، إنّ كلاّ من الميل إلى الرّوحانيّة المعبّر عنها بالرّهبانيّة ــ و هو شأن جلّ المذاهب الصوفيّة الغالية و الاتجاهات الرّوحيّة ــ ، و الميل إلى الجسمانيّة المعبّر عنها باتّباع الشهوات ــ و هو شأن جل المذاهب الماديّة ــ ؛ كلّ منهما لا ينتهي إلاّ إلى تشويه الوجود الإنساني و اغتيال وحدته الطبيعيّة التكوينيّة .

فالإنسان بطبيعته المزدوجة تكون لديه القدرة على تحقيق رسالته ، و يحقّق أفضل ما يستطيعه من جوانب الخير على عكس سائر المخلوقات الأخرى التّي تتحدر إلى مستوى أدنى نحو تحقيق الرغبات الماديّة و الشهوات .

و ممّا سبق يمكننا القول إنّ كلّ من يدرس الإنسان في القرآن ، يمكنه أن يلاحظ أنّ كثيرا من الآيات جاءت إمّا معرّفة لمكانته في العالم ، و إمّا معرّفة لذاته كما هي ، وهذا من أجل أن يرقى الإنسان إلى منزلة ساميّة يشعر فيها بالكرامة و يحس بالقيم في سموّها و انحطاطها ، و يعرف أنّه أفضل من الحيوان الذّي لا يملك المعرفة التّي تجعله يخجل من المساس بالقيم .

و لكي يتجاوز الإنسان أيّ خلل في الميل لأحد أبعاده الطبيعية ــ سواء المادية أم الرّوحيّة ــ يجب أن يحكّم البعد العقلي في طبيعته ، الذّي هو القدرة الكاشفة و المخططة .

و بهذا يمكن القول إنّ طبيعة الإنسان تتكون من ثلاثة أبعاد هي : الجسم ، الرّوح ، العقل. و بقدر ما يكون التوافق و الانسجام بين هذه العناصر ، يكون تكامل شخصيّة الإنسان ، و يكون تقدّمه و سعادته في الدنيا و الآخرة .

و لعلّ المخطط الموضح(الشكل رقم : 12) يعرض التطور الشامل للدراسة .

و أخيرا ، فإنّ هذا الموضوع في حاجة إلى دراسات و بحوث أخرى لتوضيح جوانب مختلفة من مجمل القضايا المرتبطة بأبعاد طبيعة الإنسان ، كما أنّه في حاجة إلى تظافر جهود الباحثين لوضع أسس نظرية لفهم طبيعة الإنسان فهما قابل لاستنباط النظريات و إقامة التطبيقات عليها .

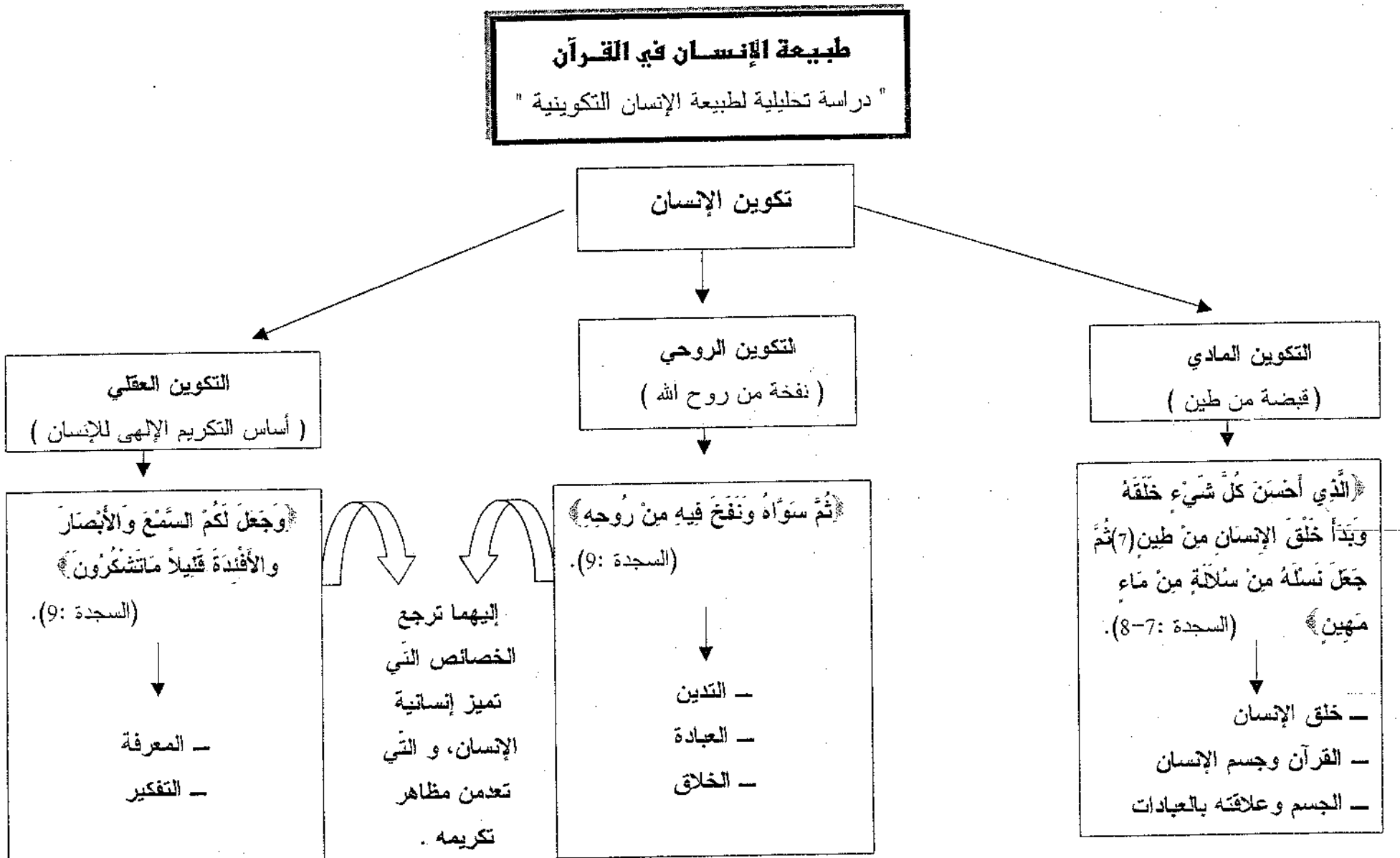

(الشكل رقم : 12) مخطط يعرض التصور الأساس لعناصر البحث .

المصادر والمراجع

أ.المراجعة العربية

1 ــ القرآن الكريم

2 ــ التوراة

(أ)

ــ إبراهيم (مصطفى إبراهيم):

3 ــ مفهوم العقل في الفكر الفلسفي،دار النهضةالعربية،بيروت ،لبنان،د.ط، 1993م

ــ أوتو (كلينبرع):

4 ــ علم النفس الاجتماعي،ترجمة:حافظ الجمائي ، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،ط 2،1967م

ــ أحمد(حسن فرحات):

5 ــ الخلافة في الأرض،دار الأرقم،الكويت، د.ط ، 1983م.

ــ أكبر (أحمد):

6 ــ نحو علم الإنسان الإسلامي،تعريف و نظريات واتجاهات،ترجمة :عبد الغني خلف الله،دار البشير،عمان،الأردن،1990م.

ــ ألبير(نصري نادر):

7ــ النّفس البشرية عند ابن سينا،دار المشرق،بيروت،لبنان،ط 3، د.ت.

ــ الأولوسي (أبو الفضل):

8 ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني،دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،ط 4 ،1985م.

ــ إمام(عبد الفتاح إمام)

9 ــ مدخل إلي الفلسفة،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ،الكويت ، 1979م.

ــ الأنباري (أبو البركات كمال الدين):

10ــ الأضداد ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت،لبنان،د.ط،1407هـ / 1987 م.

ــ الأعسم (عبد الأمير):

11 ــ المصطلح الفلسفي عند العرب، منشورات مكتبة الفكر العربي،بغداد،العراق،1983م.

ــ الأشقر (عمر سليمان):

12 ــ عالم الملائكة الأبرار ، قصر الكتاب ، البليدة،الجزائر ، د.ط ، د.ت .

ـ الأعشى .

13 ـ ديوان الأعشى ، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان ، د.ط ، 1400هـ/1980م.

(ب)

ـ الباش (حسن) :

14 ـ الإنسان في ميزان القرآن ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا،ط 2، 1992 م.

ـ الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيّب):

15ـ كتاب التمهيد ، المكتبة الشرقية ،بيروت ،لبنان ، 1975 م

ـ البار محمد (علي) :

16 ـ الوجيز في علم الأجنة القرآني ،الدار السعودية للنشر و التوزيع ، جدة المملكة العربية السعودية ، د.ط ، 1985م.

17 ـ خلق الإنسان بين الطب و القرآن الدار السعودية للنشر و التوزيع، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط 6 ، 1986م.

ـ بدوي (السيد محمد):

18 ـ الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع ، دار المعارف ، القاهرة، مصر، 1980

ـ بدوي (عبد الرحمان):

19 ـ موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ،د.ط 198 م

20 ـ مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1971 م .

ـ البهي (محمد) :

21 ـ الإسلام في حياة المسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر، ط 2 ، 1973

ـ بودر (ربيع):

22 ـ معجزة التسعة اشهر ، دار الشهاب ، الجزائر ، د.ط ، د.ت

ـ البوطي (محمد سعيد رمضان):

23 ـ كبرى اليقينيات الكونية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1389 هـ .

24 ـ منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، دار الفكر ، دمشق، سوريا، 1982 م

25 ـ ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ، مكتبة رحاب ، الجزائر ،د.ط.

ـ بوكاري (موريس):

26 ـ ما أصل الإنسان ؟ ترجمة ونشر : مكتبة التربية العربية لدول الخليج العربي،الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1985م .

27 ـ التوراة و الإنجيل والقرآن و العلم ، ترجمة : نخبة من العلماء ، دار الكندي ، بيروت ، لبنان ، 1978م.

ـ البيانوني (أحمد عز الدين):

28 ـ هذا الإنسان ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، حلب ، سوريا ، 1406هـ / 1986 م .

ـ البيومي (محمد الحريرى) :

29 ـ الروح و ماهيتها ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، د.ت.

ـ البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله) :

30 ـ أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، 1926 .

ـ بكري (بن سعيد أعوشت):

31 ـ القرآن و مذهب داروين ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر،1404/1983 م

ـ بلبشير (ميلود) :

32 ـ الحكمة الشعبية في رباعيات الشيخ عبد الرحمان المجذوب،رسالة ماجستير(مخطوط) .

ـ البستاني (بطرس) :

33 ـ محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيرو ت ، د.ط ، 1987 م .

ـ أبو البقاء (الكفوي) :

34 ـ الكليات ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، د.ط ، د.ت .

ـ بركة (عبد الفتاح عبد الله) :

35 ـ العقيدة و بناء الإنسان،دار التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت ، د.ط .

ـ البخاري (محمد بن إسماعيل) :

36 ـ صحيح البخاري ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر ، د.ت .

ـ البخاري (عبد العزيز بن أحمد) :

37 ـ كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ,1394هـ

(ج)

ـ الجاحظ (عمر بن بحر) :

38 ـ البيان والتبيان،تحقيق :عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، مصر، د.ت ، د.ط

39 ـ رسائل الجاحظ، تحقيق :عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط 1979

ـ الجوهري (محمد) :

40 ـ الأنثروبولوجيا ـ أسس نظرية و تطبيقات عملية ـ، دار التضامن للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر، ط 2 ، 1980م.

ـ الجوز (الشيخ محمد علي) :

41 ـ مفهوم العقل و القلب في القرآن و السنة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،1980م .

ـ ابن جزي (أبو القاسم محمد بن أحمد) :

42 ـ تقريب الوصول إلى مسائل الأصول ، تحقيق ،محمد علي فركوس ، دار التراث الإسلامي الجزائر ، 1990 م.

ـ جيمس (وليم) :

43 ـ إرادة الاعتقاد : ترجمة : محمد زيدان ، منشورات عويدات، بيروت ، لبنان ، د.ط.د.ت

ـ جيمس (روس) :

44 ـ الأسس العامة لنظريات التربية ، ترجمة : صالح عبد العزيز ، دار المعرفة ، القاهرة ، مصر، د.ت.

ـ جيمس (فريزر) :

45 ـ الغصن الذهبي ، دراسة في السحر و الدين ، ترجمة : أحمد أبي زيد و آخرين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة ، مصر ، 1971م

ـ جمعه (محمد لطفي) :

46 ـ تاريخ فلاسفة الإسلام ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، مصر ، 1345هـ .

ـ الجندي (عبد الحليم) :

47 ـ القرآن و المنهج العلمي المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1984م

ـ الجرجاني (الشريف) :

48 ـ التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1982م .

(د)

ـ داود (سلمان السعدي):

49 ـ أسرار خلق الإنسان ، العجائب في الطب و الترائب ، دار الحرف العربي ، بيروت ، لبنان ، 1415هـ/1994م.

ـ أبو داوود (سليمان بن الأشعث السجستاني):

50 ـ سنن أبي داوود، مراجعة و تعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة، مصر ، 1935م.

ـ دياب (عبد الحميد) وقرقوز (أحمد) :

51 ـ مع الطب في القرآن الكريم ، دار علوم القرآن ، دمشق ، سوريا ،ط2، 1982م.

ـ الدمنهوي (أحمد) :

52 ـ إيضاح المبهم من معالي السلم في المنطق ، الطبعة الحجرية .

ـ الدسوقي (فارق أحمد) :

53 ـ استخلاف الإنسان في الأرض تطورات في الأصول الاعتقادية للحضارة الإسلامية ، المكتب الإسلامية ، بيروت ،لبنان ،ط2،1986م.

54 ـ مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ، المكتب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ط2،1986م.

ـ دراز (محمد بن عبد الله):

55 ـ نظرات في الإسلام ،دار المعارف ، القاهرة ، مصر،1958م.

ـ دروزة (محمد عزة):

56 ـ التفسير الحديث ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ن 1381هـ / 1962 م.

(هـ)

ـ الهمداني (عبد الجبار) :

57 ـ المغني في أبوب التوحيد و العدل، الدار المصرية لتأليف الترجمة، القاهرة، مصر، 1956م.

(ز)

ـ زهير (ابن أبي سلمى):

58 ـ ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ،د.ط ، 1399 هـ/1979م.

ـ أبو زهرة (محمد):

59 ـ أصول الفقه ، دار الشهاب ، الجزائر ،ط2،1993م.

ـ الزحيلي (وهبة):

60 ـ أصول الفقه الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1992 م.

61 ـ التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج ،دار الفكر ،دمشق ، سوريا ، 1411هـ 1991م

ـ زينة (حسني):

62 ـ العقل عند المعتزلة ، دار الآفاق ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1400هـ/1980م.

ـ زكي (نجيب محمود):

63 ـ فلسفة وفن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،مصر ، 1963م.

ـ زكريا (إبراهيم) :

64 ـ هيجل أو المثالية المطلقة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر، 1970م.

65 ـ مشكلة الإنسان ، مكتبة مصر ، القاهرة ،مصر ، 1967م.

ـ الزمخشري (محمود بن عمر):

66 ـ الكشاف عن الحقائق التنزيل ، دار الفكر ، يرون ، لبنان ،د.ط ، د.ت .

ـ زعراط (محمد) :

67 ـ الإنسان في القرآن ، رسالة دكتوراه ، (مخطوط) .

(ح)

ـ الحامد (عبد الله بن حامد):

68 ـ شعر الدعوة الإسلامية ، دار الرياض ، المملكة السعودية ، د.ط ،1394هـ/1974م.

ـ الحبابي (محمد عزيز):

69 ـ تأملات في اللغو واللغة ، الدار العربية للكتاب ،ليبيا ، د.ط، 1980م.

ـ الحوفي (أحمد محمد):

70 ـ القرآن والتفكير ، المجلس الأعلى للتنوير الإسلامي ،القاهرة ،مصر ،1975م.

ـ ابن حزم (على بن أحمد) :

71 ـ الملل و النحل ، طبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، مصر ، د . ط ، 1961م.

ـ أبو حيان (التوحيدي):

72 ـ المقابسات ، تحقيق : حسن السندوي ، مطبعة القاهرة ، 1929م.

ـ حنا (الفاخوري) و خليل (الجر):

73ـ تاريخ الفلسفة العربية ،مؤسسة بدر للطباعة و النشر ، بيروت ،لبنان ،ط2،1966م.

ـ ابن حنبل (أحمد):

74 ـ مسند أحمد بن حنبل ، دار صادر ،بيروت ،لبنان ، د. ط ،د .ت.

ـ أبو الحسين (مسلم بن الحجاج مسلم القشيري):

75ـ صحيح مسلم ،شرح النووي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2 1392هـ/1972م.

(ط)

ـ الطبري (محمد بن جرير):

76 ـ جامع البيان في تفسير القرآن ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ،مصر ، د.ط ، 1373هـ/ 1954م .

ـ الطويل (توفيق) :

77 ـ أسس الفلسفة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1955م.

ـ الطوسي (علاء الدين):

78 ـ تهافت الفلاسفة ، تحقيق : رضا سعادة ، الدار العالمية للطباعة و النشرو التوزيع ، بيروت ،لبنان ، 1981م.

(ك)

ـ كار يل (الكيس):

79 ـ الإنسان ذلك المجهول تعريب : شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ،بيروت، لبنان، 1980م.

80 ـ تأملات في سلوك الإنسان ، ترجمة : محمد القاص ، مكتبة المعارف ، بيروت،لبنان ، د .ط،1980م.

ـ كارنيجي (ديل):

81 ـ دع القلق وابدأ الحياة ،ترجمة : عبد المنعم الزيادي ،مكتبة رحاب، الجزائر 1996.

ـ الكيلاني (ماجد عرسان):

82 ـ أهداف التربية الإسلامية ـ دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة ـ ، دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2،1988م.

ـ كمال (محمد عيسى) :

83 ـ كلمات في الأخلاق الإسلامية ، دار المجتمع ، جدة ، المملكة السعودية ، 1988

ـ الكندي (أبو يوسف يعقوب):

84 ـ رسائل الكندي الفلسفية ،تحقيق : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1950م.

ـ كعب (بن مالك) :

85 ـ ديوان كعب بن مالك ، تحقيق : سامي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، العراق، د.ط 1966 م .

ـ الكردي (راجح) :

86 ـ نظرية المعرفة بين القرآن و الفلسفة ، مطبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،فرجينيا ، أمريكا ، 1412 هـ / 1992 م .

ـ كرم (يوسف) :

87 ـ تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، مصر ،ط2،د.ت

ـ ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) :

88 ـ تفسير القرآن العظيم ، مطبعة صاحب المنار ، القاهرة ، مصر ، 1348 هـ

ـ الماوري (علي بن محمد) :

89 ـ أدب الدين و الدنيا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987 م .

ـ مالك (بن أنس) :

90 ـ الموطأ ، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، شرح جلال الدين السيوطي ، دار الباز للنشر و التوزيع ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، د.ط ، د.ت.

ـ مجمع اللغة العربية :

91 ـ المعجم الفلسفي ، مطبوعات المجمع ، دمشق ، سوريا ، 1979 م.

ـ موسوعة المعرفة :

92 ـ اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة ، المجلد 5 ، مطابع الأهرام التجارية، د.ط،1971م .

ـ المحاسبي (الحارث بن أسد) :

93 ـ العقل و فهم القرآن ، تحقيق : حسين القوتلي ، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1391 هـ/ 1991 م

94 ـ رسالة المسترشدين ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، سوريا،1412 هـ/1991م.

ـ محمد (أحمد خلف الله) :

95 ـ الأسس القرآنية للتقدم ، مطبعة الأهلي ، القاهرة ، مصر ، 1984م.

ـ محمد (عبده) :

96 ـ الإسلام و النصرانية بين العلم و المدنية ، منشورات الأنيس ، الجزائر 1984 م

97 ـ تفسير المنار، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، د.ت .

ـ محمد (فؤاد جلال) :

98 ـ التربية القومية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، د.ت .

ـ محمود (السيد سلطان) :

99 ـ مقدمة في التربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، 1993 م .

ـ محمود (قاسم) :

100 ـ دراسات في الفلسفة الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت .

ـ مكرم (عبد العال سالم) :

101 ـ الفكر الإسلامي بين الوحي و العقل ، دار الشروق، بيروت ، لبنان، د.ط ، د.ت .

ـ المليجي (يعقوب) :

102 ـ الأخلاق في الإسلام ـ مع المقارنة بالديانات السماوية و الأخلاق الوضعية ـ ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1985 م .

ـ منى (فريد عبد الرحمان) :

103 ـ التطور ، دار المعرف ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، د.ت .

ـ منصور (علي ناصف) :

104 ـ التاج الجامع ، الأصول لأحاديث الرّسول ، دار الفكر ، القاهرة ، مصر ، د.ت ، 1975 م .

ـ منصور (علي رجب) :

105 ـ تأملات في فلسفة الأخلاق، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، مصر، د.ط ،1961م .

ـ ابن مسكويه (أبو علي أحمد) :

106 ـ الفوز الأصغر ، مطبعة الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان ، 1966م .

107 ـ تهذيب الأخلاق و تطير الأعراف ، تحقيق: قسطنطين زريق ، مطبعة الجامعة الأمريكية ، بيروت، لبنان ، د.ط ،1986م.

ـ مفيد(محمد قميحة):

108 ـ الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1980م.

ـ المفيد(الشيخ):

109 ـ العقل في أصول الدين،الدار العلمية،بيروت،لبنان،1412هـ/1992م.

ـ المصباحي(محمد):

110 ـ من المعرفة إلي العقل، دار الطليعة، بيروت،لبنان،د.ط،1990م.

ـ مقداد(يالجن):

111 ـ فلسفة الحياة الروحية،دار الشروق، بيروت ،لبنان،1985م.

ـ المراغي(أحمد مصطفي):

112 ـ تفسير المراغي ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،د.ط،د.ت.

ـ مروه (حسين):

113 ـ النزاعات المادية في الفلسفة العربية و الإسلامية، دار الفارابي، بيروت،لبنان، ط 4،1981م.

ـ مرحبا(محمد عبد الرحمان):

114 ـ من الفلسفة اليونانية إلي الفلسفة الإسلامية ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، 1970م.

(ن)

ـ نابق (معروف):

115 ـ الإنسان و العقل، دار سبيل الرشاد، بيروت ، لبنان ، 1415هـ/1995م.

ـ النجار(عبد المجيد):

116 ـ العقل و السلوك في البنية الإسلامية، مطبعة الجنوب،تونس،1980م

117 ـ في فقه التدين،فهما و تنزيلا، وزارة الشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر ،1401هـ.

118 ـ خلافة الإنسان بين الوحي و العقل،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،1407هـ/ 1987م.

ـ نجاتي (محمد عثمان):

119 ـ الإدراك الحسي عند ابن سينا ، دار المعرفة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1961 م .

120 ـ علم النفس في حياتنا اليومية ، دار القلم ، الكويت ، ط11 ، 1984 م .

121 ـ القرآن وعلم النفس ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط5، 1993 .

ـ نجار (رمزي):

122 ـ الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الثقافة الجديدة، بيروت،لبنان،ط 2 ، 1979م.

ـ نديم (الجسر):

123 ـ شبابنا المثقف أمام الإيمان و التدين،الشركة المصرية للطباعة و النشر،1971م.

ـ النويري(شهاب الدين):

124 ـ نهاية الأدب في فنون الأدب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر،د.ط، د.ت.

ـ نوفل(عبد الرزاق):

125 ـ بين الدين و العلم، مكتبة وهبة، القاهرة ، مصر.

(س)

ـ سابق (سيد) :

126 ـ فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان د.ط ، د.ت.

ـ سالم(عبد العزيز محمود):

127 ـ محاضرات في الأنثروبولوجيا ، مطبوعات الملك عبد العزيز، الرياض،المملكة العربية السعودية ، د.ط،د.ت.

ـ سيد(أحمد عثمان):

128 ـ المسؤولية الاجتماعية و الشخصية المسلمة، مكتب الأنجلو المصرية ، القاهرة، مصر ،د.ط،1979م.

ـ السيوطي(جلال الدين):

129 ـ جمع الجوامع،مجمع البحوث الإسلامية،جامع الأزهر،القاهرة مصر،1403ه/1973م.

130 ـ لبالب النقول في اسباب النزول، دار الرشيد ، دمشق ، سوريا ، د.ط ، د.ت .

ـ السيوطي(جلال الدين)و المحلي (جلال الدين) :

131 ـ تفسير الجلالين ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، 1980م.

ـ ابن سينا :

132 ـ النجاة ، طبعة محي الدين صبرى الكردي ،القاهرة ، مصر ، 1957هـ/1938م .

133 ـ الشفاء ، تحقيق : جورج قنواتي و آخرين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ،د.ت .

(ع)

ـ عائشة (بنت الشاطئ) :

134 ـ القرآن و قضايا الإنسان ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1972م.

ـ ابن عاشور (الطاهر):

135 ـ التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1965م.

136 ـ مقاصد الشريعة ، دار التوزيع و النشر ، تونس ، 1966م.

ـ عبد الباقي (محمد فؤاد) :

137 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، المكتبة الإسلامية ، دار الخياطة ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

ـ عبد الفتاح (جلال) :

138 ـ من الأصول التربوية في الإسلام ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، القاهرة ، مصر ،1977م.

ـ عدنان (الشريف) :

139 ـ من علم الطب القرآني ، دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان ، 1990م.

ـ العوا (عادل) :

140 ـ معالم الكرامة في الفكر العربي ، دار الفكر ،دمشق ،سوريا ، 1989م.

ـ أبو العينين (على خليل):

141 ـ فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، مكتبة الحلبي ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط3 ، 1988م.

ـ عكاشة (أحمد):

142 ـ التشريع الوظيفي النفسي ، دار المعارف ، الظاهرة ، مصر ، ط3،1975م.

ـ علي (عبد العظيم):

143 ـ فلسفة المعرفة في القرآن الكريم، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر، القاهرة ، مصر ، 1973م.

العسكري (أبو هلال) :

144 ـ الفروق في اللغة ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان، 1411 هـ/ 1991م.

ـ العسقلاني (الحافظ بن حجر):

145 ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، الرياض ، المملكة السعودية ، د.ط ، د.ت.

ـ عفيفي (فوزي سالم):

146 ـ السلوك الاجتماعي بين علم النفس و الدين ،، وكالة مطبوعات الكويت ،1980م

ـ العقاد (عباس محمود) .

147 ـ الإنسان في القرآن ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، د.ط ، د.ت.

148 ـ التفكير فريضة إسلامية، دار القلم ، القاهرة ، مصر ، د.ط، د.ت.

ـ للعراقي (محمد عاطف) :

149 ـ النزعة العقلية في الفلسفة ابن رشد ، دار المعارف ، القاهرة ،مصر ، 1968م.

ـ ابن العربي (محي الدين):

150 ـ تفسير القرآن الكريم ، تحقيق و تقديم : مصطفى غالب ، دار الأندلس، بيروت،لبنان، ط3،1401هـ/1981م.

ـ عثمان (أمين) :

151 ـ ديكارت ،مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ،مصر، ط5، 1965م.

(ف)

ـ فايفر (جون):

152 ـ العقل البشري ،ترجمة : محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،مصر، 1975م .

ـ فاروق(إسماعيل):

153 ـ الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، مصر ، 1984م.

ـ ابن فارس (أبو الحسين بن زكريا):

154 ـ معجم مقاييس اللغة ، تحقيق و ضبط : عبد السلام هارون ، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 1399هـ/1979م.

ـ فوقية (حسين محمود) :

155 ـ الجويني إمام الحرمين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة،مصر،1965م.

ـ فهمي (محمد علوان) :

156 ـ القيم الضرورية و مقاصد التشريع الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1989م.

(ص)

ـ الصابوني(محمد علي) :

157 ـ صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 1402هـ/1981م.

158 ـ روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، ط 4 ، 1410هـ/1990م.

ـ صابر (طعيمية):

159 ـ العقيدة و الفطرة في الإسلام ،دارالجيل، بيروت ،لبنان ،1398هـ/1978م.

ـ الصالح (صبحي):

160 ـ النظم الإسلامية، دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1965م.

(ق)

ـ القاسمي (محمد جمال الدين) :

161 ـ محاسن التأويل(المعروف بتفسير القاسمي) مطبعة لبابي الحلبي ، القاهرة ،مصر ، د.ط ،1376هـ/1957م.

ـ قطب (محمد) :

162 ـ الإنسان بين المادية و الإسلام ، دار الشروق ، بيروت، لبنان ، 1985م.

163 ـ دراسات في النفس الإنسانية ،دار الشروق ،القاهرة ، مصر، ط2 ، 1984 م.

164 ـ منهج التربية الإسلامية دار الشروق القاهرة مصر ،ط7، 1983م.

ـ قطب (سيد):

165 ـ في ظلال القرآن، دار الشروق ،بيروت ،لبنان ، ط15 ، 1408هـ/1988م.

ـ ابن القيم (الجوزية) :

166 ـ زاد المعاد في هدى خير العباد محمد صلى الله عليه وسلم، المكتبة الأميرية، القاهرة ،مصر ،د.ت.

167 ـ التبيان في أقسام القرآن ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، مصر ،د.ط، 1933م .

168 ـ الروح ، تقديم و تعليق: محمد علي قطب و برهان الدين البقاعي ، المكتبة العصرية ، صيدا ،بيروت لبنان ، 1409هـ/1989م.

169 ـ الفوائد : مكتبة النهضة ، الجزائر، د.ط ، د.ت .

ـ القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري):

170 ـ الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي ،القاهرة ، مصر 1376هـ/1957م.

ـ القرضاوي (يوسف):

171 ـ الإيمان و الحياة،دار الشهاب ، الجزائر، 1987م.

172 ـ العبادة في الإسلام مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ،ط3، 1413هـ/1993م.

173 ـ الخصائص العامة للإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ،ط3، 1405هـ/1985م.

ـ قتيبي (حامد الصادق):

174 ـ الكون و الإنسان في التصور الإسلامي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، 1400 هـ/1980م.

ـ الرازي (فخر الدين)

175 ـ التفسير الكبير ، دارالكتب العلمية ، طهران ، إيران، ط2، د. ت .

ـ الراغب (الأصفهاني) :

176 ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ،

177 ـ تفصيل النشاتين و تحصيل السعادتين ، الإنسان وجودا و غاية و قيمة ، تحقيق و تقديم : عبد الحميد النجار ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، 1988م.

ـ الرافعي (مصطفى):

178 ـ حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ،منشورات دارالكتاب اللبناني للطباعة و النشر ، ط 2 ،1968م.

ـ الرافعي (مصطفى صادق):

179 ـ وحي القلم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط، د.ت.

(ش)

ـ شايف (عكاشة):

180 ـ الإعجاز و الغيب في ضوء المنهج الذاكرتي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988م

181 ـ الدين في ضوء العلم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988م.

ـ الشاطبي (أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي):

182 ـ الموفقات في أطول الشريعة ، تحقيق ، عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ط، د.ت .

ـ الشيباني (عمر التومي) :

183 ـ مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،د.ط ، 1990م.

ـ شلتوت (محمد):

184 ـ الإسلام عقيدة و شريعة ،دار الشروق ، بيروت ، لبنان، ط11، 1403هـ/1983م.

ـ الشنتيري (الاعلم):

185 ـ شرح ديوان امرئ القيس ، تصحيح : ابن أبي شنب ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ،د ط، 1394هـ/ 1974م.

ـ الشعراوي (محمد متولي):

186 ـ معجزة القرآن، مكتبة رحاب ، الجزائر ،د.ت ،د.ت.

ـ الشرقاوي (حسن) :

187 ـ الأخلاق الإسلامية، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، مصر ، 1985م.

(ت)

ـ التهانوي (المولوي محمد أعلى بن علي):

188 ـ موسوعة اصطلاحات الفنون ، المكتبة الإسلامية ، منشورات شركة خياطة ، بيروت ،لبنان ،1966.

ـ التومي (محمد) :

189 ـ المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، ط2،1990م.

ـ توفيق محمد سبع) :

190 ـ نفوس و دروس في إطار التصوير القرآني ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، القاهرة ، مصر ، 1971م.

ـ أبو تمام (حبيب بن أوس):

191 ـ ديوان أبوتمام ،مراجعة : محمد عزت نصر الله ، دار الفكر ، القاهرة مصر ، د.ط ، د.ت.

ـ الترمذي (أبو عيسى):

192 ـ سنن الترمذي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، 1975م.

ـ الترمذي (محمد بن علي الحكيم):

193 ـ بيان الفرق بين الصدر و القلب و الفؤاد و اللب ، تحقيق : نقولا هير ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر، د.ط ، 1958م.

(خ)

ـ خان (وحيد الدين):

194 ـ الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان ، مراجعة،عبد الحليم عويس، دار النفائس ، بيروت، لبنان ، ط 3 ، 1984 م .

ـ الخولي (البهي)

195 ـ آدم عليه السلام ، فلسفة تقويم الإنسان و خلافته ، مطبعة وهبة ، القاهرة ،مصر، د. ط ، 1974 م .

ـ ابن خلدون (عبد الرحمان) :

196 ـ المقدمة : المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 م .

ـ ضميرية (عثمان جمعة) :

197 ـ التصور الإسلامي للكون و الحياة ، دار الكلمة الطيبة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1985 م .

(غ)

ـ غامري (محمد حنى) :

198 ـ مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة ، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991 م .

ـ الغزالي (أبو حامد) :

199 ـ إحياء علوم الدين ، دار الشعب، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 1957 م .

200 ـ معيار الفن في فن المنطق ، دار الأندلس ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1981 م

201 ـ المضمون الصغير ، على هامش كتاب " الإنسان الكامل " للجيلاني مطبعة حجازي ، القاهرة، مصر، د.ط ، 1328 هـ / 1949 م

202 ـ المستصفى في علم الأصول ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، مصر، 1322هـ

203 ـ تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1955م.

204 ـ كيمياء السعادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1988 م .

ـ الغزالي (محمد السقا) :

205 ـ نظرات في القرآن ، دار الشهاب ، الجزائر ، د.ط ، 1992 م .

206 ـ خلق المسلم ، مكتبة رحاب الجزائر ، ط15 ، 1987 م .

ـ غلاب (محمد)

207 ـ المعرفة عند مفكري المسلمين ، الدار المصرية للطباعة و التأليف والترجمة،القاهرة ، مصر، 1966م.

ب ــ المراجع الأجنبية

208 - Burber, Martin , I and Thon , ,With a post script by the author. Added translated by Ronald Gregor Smith .New York.1958

209 - Cassier, Ernest , An Essay on Man : An Introduction to Philosophy of Human Culture ; Double Day and Company ,New York1956

210 - John S Brubacker , Modern Philosophy of Education ,fourth Edition, Data MC Graw –HILL Publishing CO. P.V.T. L.T.D. Bombay New Delhi

211 - Marinow Ski.Bmagic Science and Religion Iher Essays Double Day and Company I.N.C. Garden City Ny 1955

212 - Palph Beals and Harry Hoyer, Introduction To Anthropology, Fourth Edition ,The Mac Million Company, New York , 2 nd priuling, 1973.

213 - Stewart, E.W.E. ,Vol VING Life Styles .M.C. Granwill Book CO N.Y ,1973

ج . الدوريات

ـ ايكينا نزيميرو :

214 ـ النظرة المستقبلية لعلم الأنثروبولوجيا لعام 2000 ، مقال بالمجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، تصدر عن اليونسكو ، باريس ، فرنسا ، العدد : 116 ، ماي 1988 م.

ـ جوزي ماتوس مار :

215 ـ الأنثروبولوجيا في القرن الحادي و العشريين ،مقال بالمجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، تصدر عن اليونسكو،باريس ،فرنسا، العدد:116 ، ماي :1988 .

ـ وورو كانج :

216 ـ علم الأنثربولوجيا القديم و الجديد،مقال بالمجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، يونسكو،باريس،فرنسا ، العدد:116، ماي،1988م.

ـ الزحيلي وهبة:

217 ـ الإنسان في القرآن الكريم: مقال بمجلة الحضارة الإسلامية ، تصدر عن المعهد الوطني للحضارة الإسلامية ،وهران ، العدد: 04 شعبان1419هـ الموافق لـ: نوفمبر 1998م.

ـ زعراط محمد :

218 ـ الإنسان في القرآن:مرحلة الخلق نموذجا ، مقال بمجلة الحضارة الإسلامية ، تصدر عن المعهد الوطني للحضارة الإسلامية ، وهران ،العدد: 04 شعبان1419هـ الموافق لـ: نوفمبر 1998م .

ـ كاسير أرنست :

219 ـ مقال عن الإنسان : تقديم أحمد حمدي محمد ، مقال بمجلة التراث الإنسانية ،وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، القاهرة ، مصر ، د.ع ، د.ت ، ج: 1 .

ـ موسوعة الشباب :

220 ـ سلسلة علمية تصدر عن دار دلفين للنشر، ميلانو، إيطاليا، 1982م ،عدد خاص .

ـ النجار عبد المجيد:

221 ـ الإنسان في القرآن الكريم، مقال بمجلة الموافقات ، تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، العدد: 3 ، ذو الحجة 1414هـ الموافق لـ: جوان1994م.

ـ ابن عرفة علي:

222 ـ قراءة الكتاب :"قيمة الإنسان"لعبد المجيد النجار، مقال بمجلة إسلامية المعرفة، تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا،العدد:11، 1818هـ الموافق لـ :1998م.

ـ عثمان محمد فتحي:

223 ـ القيم الحضارية في رسالة الإسلام ، مقال بمجلة منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإسلام و الحضارة و دور الشباب المسلم ، أبحاث و وقائع اللقاء الرابع ، الرياض،1981 ،عدد خاص .

ـ صالح عبد المحسن :

224 ـ الجدول العام لتطور أسلاف الإنسان ، مقال بمجلة الدوحة،وزارة الشؤون الإسلامية ، قطر ، العدد:82، 4 أكتوبر،1982م.

ـ القرني عبد الحفيظ علي:

225 ـ التقوى أسمى غايات الصوم،مقال بمجلة الأزهر، القاهرة، مصر: رمضان 1418هـ الموافق لـ : يناير1998م.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

شكر وتقدير

إهـــــــداء

المـــقدمـــــة ..... أ

الفصل الأول : ماهية الإنسان 01

أولا : مفهوم الإنسان 02

أ – مفهوم الإنسان لغة 02

ب – مفهوم الإنسان اصطلاحا 05

ج – مصطلح الإنسان في القرآن الكريم 11

ثانيا : مكانة الإنسان في القرآن الكريم 15

أ – غاية وجود الإنسان 15

ب – الإنسان و سائر المخلوقات 22

ج – الإنسان و الكون 29

ثالثا : الاتجاهات الفلسفية حول طبيعة الإنسان 38

أ – الاتجاه المادي 38

ب – الاتجاه الروحي 40

ج –الاتجاه الواقعي 40

خلاصة الفصل الأول 42

الفصل الثاني : التكوين المادي في طبيعة الإنسان 44

أولا : خلق الإنسان 45

1 ــ عناصر خلق آدم 48

الطور الأول : طور التراب 48

الطور الثاني : طور الطين 49

الطور الثالث : الحما المسنون 50

الطور الرابع : الصلصال الذي يشبه الفخار 50

2 ــ خلق الإنسان : 54
أ – مرحلة النطفة 59
ب – مرحلة العلقة 61
ج – مرحلة المضغة 61
د – مرحلة الهيكل العظمي 64
هـ – نظرية التكوين العضلي اللحمي 64
3 ــ نظرية التطور و خلق الإنسان 73
ثانيا : البعد الجسمي في الطبيعة المادية لدى الإنسان 78
1 – اهتمام القرآن بجسم الإنسان 78
2 ــ الجسم و علاقته بالعبادات 81
أ ــ الصلاة 81
ب – الصوم 85
3 ــ أهمية النوم للجسم الإنساني 88
4 ــ الجسم الإنساني و المرض 89

خلاصة الفصل الثاني 91

الفصل الثالث : التكوين الروحي في الطبيعة الإنسانية 92

أولا: مفهوم الروح 94

أ ــ مفهوم الروح لغة 94

ب ــ مفهوم الروح اصطلاحا 95

ج ــ الروح في القرآن الكريم 97

ثانيا : خصائص الروح الإنسانية ومظاهرها 102

1 ــ التدين 105

2 ــ العبادات 111

3 ــ الأخلاق 114

خلاصة الفصل الثالث 126

الفصل الرابع : التكوين العقلي في طبيعة الإنسان 127

أولا : مفهوم العقل والقلب 128

أ ــ مفهوم العقل والقلب لغة 128

ب ــ مفهوم العقل والقلب اصطلاحا 133

ج ــ العقل في القرآن الكريم 143

ثانيا :البعد العقلي في طبيعة الإنسان 152

1 ــ المعرفة 152

أ ــ مصادر العلم والمعرفة 155

ا ــ المصدر الإلهي 155

2 ــ المصدر البشري 158

2 ــ التفكير 162

أ ــ منزلقات التفكير 164

1 ــ التقليد والأوهام والخرافات 165

2 ــ الحكم بدون أدلة 167

3 ــ الأخذ بالظن 168

خلاصة الفصل الرابع 170

الخـاتمـــــــــة 172

فهرس المصادر والمراجع 177

أ ــ المراجع العربية 178

ب ــ المراجع الأجنبية 195

ج ــ الدوريات 196

فهرس الموضوعات 198